إلى سير الموت

إكسير الموت: رواية
الكاتب: هادي هليل
تصميم الغلاف: أحمد الصباغ
تدقيق لغوي وإخراج داخلي: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 8050 / 2018
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 664 - 123 - 3

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع والترجمة

E_mail: Logarithpublish@gmail.com

Tel.: **01015642559**

المدير العام: إيناس ناصر
ألمدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

إكسير الموت

الكاتب

هادي هليل

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution

إكسير الموت

كثيرًا ما نقابل الناقمين الراغبين في الموت، ولكن هل هم على استعداد للانتحار حقًّا؟! معظمهم لا.. فغريزة البقاء تقوم بدورها وتجعل حتى أكثر المتشائمين والناقمين يفعل المستحيل ليعيش.. فالحياة حقًّا تجربة تستحق أن تحارب من أجلها!

ولكن إلى أي مدى؟ وما هي حدودك؟

ماذا لو أصبح الموت هو السبيل الوحيد للحياة؟!

تأخذك هذه الرواية في رحلة نفسية تغوص في أعماقها، فتستكشف خبايا نفسك البشرية بلا أقنعة أو شعارات مزيفة، لتجد نفسك أمام أسئلة لست شجاعًا بالدرجة الكافية للإجابة عنها.. هل أنت الملاك حقًّا أم أنك الشيطان ولا تدري؟!

فالإنسان يحلم منذ قديم الأزل بإكسير الحياة المانح للخلود.. ولكن هل الخلود في هذه الحياة نعمة؟! قد تكون الحياة نفسها نعمة، ولكن الخلود فيها هو لعنة بالتأكيد! والإكسير الوحيد الذي سيحلم به الإنسان حينها هو إكسير الموت!

تأليف: هادي هليل

إهداء

إلى أول من آمن بي وجعلني أومن بنفسي
إلى روح أبي رحمه الله.

* * *

غيرة

ساعتان كاملتان تفرقنا عن موعد الغروب، ولكن السحاب الكثيف المتشابك لم يسمح لأشعة الشمس بالتسلل لشوارع القاهرة، ولم تلبث أن بدأت الأمطار تهطل بغزارة، مما تسبب في حالة من الفوضي لمحاولة الكل الوصول إلى منزله لينعم بالدفء داخله، ماعدا ثلاث فتيات وثلاثة شباب في أوائل العشرينات من عمرهم، واقفين معًا أسفل عمارة تحميهم من المطر، وبدا عليهم التوتر، وقال شاب بدين نوعًا ما:

- هو ليه لازم نطلع كلنا؟!

ردت عليه فتاة جميلة قمحية اللون:

- عشان لو اتكشفنا يبقى نقع كلنا!

رد عليها في عصبية:

- يعني هو لو اتقبض عليكم يا (نرمين) من غير ما اكون معاكم هاعرف اخلع منكم مثلًا؟ ما انتو كدا كدا هتجيبوا سيرتي.. ورجلي هتيجي في الموضوع!

وفي جدية قال شاب آخر في غاية الوسامة:

- المهم دلوقتي.. لازم نقنعهم بالقصة اللي اتفقنا عليها.. تمام؟!

نظر له الشاب الثالث المرتدي بدلة في غاية الأناقة وقال:

- أنا حافظ كويس الكلام اللي هاقوله.

ونظر إلى (نرمين) وابتسم قائلًا:

- البركة في الأستاذة اللي ألفت القصة الغريبة دي.

ردت عليه (نرمين) ضاحكة:

- هيقتنعوا بالقصة وهتشوفوا كلكو إني أستاذة فعلًا!

قالت فتاة محجبة في سخرية:

- كلنا عارفين كويس إن ما حدش يقدر ينافسك في الشر يا أستاذة!

قالت الفتاة الثالثة في قلق:

- أنا مش مصدقة اللي احنا بنعمله دا.

التفتت لها (نرمين) قائلة:

- المفروض أنا يا (نور) اللي ابقى مش مصدقة.. أنا اللي فرحي يوم الخميس اللي جاي.. وبدل ما اكون مشغولة في تجهيزات الفرح عمالة أخطط معاكم لجريمة!

وفي تلك اللحظة وفي هذه العمارة تعالت ضحكات هذه الأسرة الصغيرة أمام التلفاز في ردهة شقتهم بالدور السابع، وهم يشاهدون فيلمًا كوميديًّا، وكان الوالدان في الخمسينات من عمرهم والابنة في الخامسة والعشرين والصبي في سن المراهقة، وكانت تظهر عليهم السعادة والألفة في تلك اللحظة إلى أن دوى صوت جرس المنزل، فقال الأب وهو ينهض من مكانه:

- وطوا صوت التلفزيون أما اشوف مين!

أمسكت الفتاة "بالريموت" وضغطت على زر كاتم الصوت، وفتح الأب الباب فوجد أمامه الشباب والفتيات الذين سبق لنا التحدث عنهم، فنظر لهم الأب في حيرة وقال:

- أفندم؟!

قال الشاب المرتدي بدلة:

- بعد إذن حضرتك عاوزينك في موضوع مهم.

قال الأب في دهشة:

- انتوا تعرفوني أصلًا؟!

رد عليه الشاب الوسيم:

- لأ.. بس الموضوع ما يخصش حضرتك.

عقد الأب حاجبيه في حيرة شديدة، وقال في استنكار:

- أُمال يخص مين؟!

أجابته الفتاة الوحيدة المحجبة بينهم:

- يخص الشقة دي.. ممكن نتفضل؟!

نظر الأب لملامح الستة فشعر أنه لا داعي للخوف منهم، فأشار لهم بالدخول قائلًا:

- اتفضلوا.

دخل الستة وجلسوا فنظرت لهم الابنة في شك، بينما تأمل الصبي ملامحهم وقال:

- انتو في سنة كام؟!

نظرت له (نرمين) بابتسامتها الجميلة وأجابت عليه وهي تجلس:

- احنا يعتبر خلصنا الدراسة.. دا آخر ترم لينا في الكلية.

سألهم الأب:

- إيه الموضوع اللي يخص شقتي بقى؟!

رد عليه الوسيم:

- عايزين نشتريها.

هتف الأب في دهشة واستنكار:

- نعم؟!

قال المرتدي بدلة:

- حضرتك شايف القمر دي؟!

وأشار لـ (نرمين) الجالسة بجواره التي ابتسمت في خجل، وأكمل:

- فرحنا يوم الخميس الجاي.

هتف الصبي في حماس:

- بتعزمنا يعني؟!

التفتت له شقيقته ولكزته قائلة:

- بس ياض اقعد ساكت!

أما الأب فنظر للشاب قائلًا في تهكم:

- والمطلوب مني إيه يا عريس؟!

أجابه الشاب مستعطفًا إياه:

- إحنا بنحب بعض من عشر سنين.. ساعتها كنا في إعدادي وكنت باتمشى معاها في شارع النخلة هنا.. وشاورت لها واحنا معديين على العمارة دي وقلتلها: "شايفة الشقة دي يا (نرمين) يا حبيبتي؟! في يوم لما نكبر هاتجوزك ونعيش فيها".. ومن ساعتها واحنا بنحلم باليوم دا.. واهو جه خلاص.. الخميس الجاي فرحنا.. وعاوز أكمل الوعد ونتجوز في الشقة.

نظرت له (نرمين) في حب وهي تمسك يده في رومانسية، وقالت:

- ربنا يخليك ليَّ يا حبيبي.

تبادلت الأسرة نظرات حيرة ودهشة ممزوجة بالسخرية، ثم قال الأب في عصبية:

- مبروك على الفرح.. بس الشقة مش للبيع أنا متأسف!

قالت له الفتاة المحجبة في استنكار:

- وتوافق انك تكسر فرحة الاتنين القمامير دول؟!

نظر لها الأب قائلًا في حنق:

- أنا مش عارف إيه الهيافة اللي انتو فيها دي!

قال له الشاب الوسيم:

- عندك حق.. صاحبي فعلًا تافه هو وخطيبته!! بس خليك في نفسك.. انت المستفيد!

ظهر على وجه الأب علامات الاستفهام، فقال الشاب صاحب البدلة موضحًا:

- اتنين مليون جنيه.

قال الأب في دهشة:

- نعم؟! انت بتقول ايه؟! الشقة دي لو جابت مليون تبقى معجزة!

ابتسم الشاب في ثقة وقد أعجبته دهشة الأب، وعاد يقول:

- آديك سمعت الرقم.. وما تكدبش ودانك.. اتنين مليون جنيه باقول لك!

ظهرت على الأسرة علامات الفرحة حتى أن الصبي وشقيقته نظرا لوالدهم في سعادة حقيقيه وهتفا معًا في حماس:

- وافق يا بابا!

وفي رجاء نظر الضيوف الستة إلى الأب الذي لم يدرِ أنه بموافقته فهو يعطي لهؤلاء الستة تحديدًا ما يحتاجونه ليقوموا بما خططوا جيدًا له...

ولكن مهلًا.. ما هي خطتهم اصلًا؟!

ولكن قبل أن نسأل عن خطتهم يجب أن نسأل أولًا من هم هؤلاء الستة؟!

لنجيب على هذا السؤال دعونا نعود بالزمن للوراء أسبوعين فقط، عندما بدأت قصتهم.. حينها كان هؤلاء الستة يعيشون حياة عادية جدًّا لدرجة الملل قبل أن يفاجئهم القدر فيجعلهم يدركون أن دوام الحال بالطبع من المحال!

بل هو المحال نفسه!

* * *

هل انقلبت حياتك من قبل رأسًا على عقب بسبب قرار بسيط اتخذته دون حتى أن تعطي له اهتمامًا كافيًا؟

أعتقد أن هذا حدث لمعظمنا.. فكيف لنا أن ندرك وقت اتخاذنا لهذا القرار البسيط أنه ليس ببسيط؟!

تمامًا مثل (نور) وصديقة عمرها (مريم) عندما قبلا دعوة زميلهم بالكلية لنزهة جماعية منذ أسبوعين، ولم يدركا أن موافقتهما على هذه النزهة سوف تغير حياتهما تمامًا..

(نور) فتاة جميلة لدرجة ملفتة، وكانت جالسة على هذا المقعد بالجامعة منهمكة في الحديث مع صديقتها (مريم)، حين أقبل عليهما زميلهما (ممدوح) وقاطع حوارهما ليدعوهما لنزهة جماعية بعد المغرب، فأجابته (نور) بلا تردد:

- خلاص ماشي موافقة.. هو انا ورايا إيه يعني؟!

ونظرت لصديقتها (مريم) الجالسة بجوراها، وسألتها:

- انتِ جاية معايا طبعًا مش كدا؟

على عكس (نور) كانت (مريم) محجبة، وكان يطل من عينيها ذكاء جذاب يزين وجهها الجميل، وبدا عليها أنها مشغولة بالبحث بنظرها عن شخص ما وسط ازدحام الطلاب، وهي تجيب على سؤال صديقتها:

- آه طبعًا يا (نور) حبيبتي أكيد معاكِ في أي حاجة.. باقول لك إيه هو (لؤي) مش كدا اتأخر عليكِ؟

كانت (نور) على وشك أن تجيبها، لكن (ممدوح) قال:

- بمناسبة (لؤي) صحيح.. هو فين عشان اعزمه على خروجة بالليل؟

قالت (نور) وهي تداعب بأصابعها شعرها الأسود المنساب بنعومة:

- هو اتأخر فعلًا بس زمانه جاي دلوقتي.. امشي انت يا (ممدوح) لو عاوز وانا هاقول لـ (لؤي) على الخروجة لما ييجي.

ثم أكملت في رومانسية وهي تحتضن الكتاب الذي تمسكه:

- وهو أكيد هيوافق.. ما انا أصلًا مش هاجي الخروجة غير لو هو معايا.

قالتها دون أن تلاحظ الغيظ الذي ظهر على وجه صديقتها (مريم)، بينما ضحك (ممدوح) لـ (نور) وقال:

- أكيد طبعًا وهي دي تبقى خروجة بالنسبالك من غير حبيب القلب؟!

ظهر الضيق على (مريم) من هذا الحوار، لكن هذا سريعًا ما تحول إلى لهفة وسعادة بمجرد أن لمحت عيناها (لؤي)، فوجدت نفسها تلوح بيدها له وصاحت:

- (لؤي).. احنا هنا اهو.

ثم انتبهت أن لهفتها عليه واضحة فحاولت أن تخفيها، بينما التفت (ممدوح) و(نور) إلى (لؤي) الذي أتى على صوت (مريم) وأقبل عليهم بابتسامته الساحرة فكان أشبه بنجوم السينما وهو ينظر لـ (نور) ويقول:

- اتأخرت عليكِ يا حبيبتي؟

ابتسمت (نور) له في حياء وحب وأجابت:

- ولا يهمك يا حبيبي.

رسمت (مريم) في تلك اللحظة على وجهها ابتسامة صفراء، رغم أنها في أعماقها كانت تشتعل غيرة وغضبًا، فحاولت أن تغير الموضوع فنظرت لـ(ممدوح)، وتساءلت:

- وهي (نرمين) هتيجي طبعًا مش كدا؟

اعتدل (ممدوح) في وقفته وقال للثلاثة في حماس:

- طبعًا جاية.. ماهو دا الخبر اللي بسببه عازمكم انتو التلاتة النهاردا بالليل.. أنا و(نرمين) خلاص هنتخطب كمان أسبوعين.. أنا كلمت أبوها وقابلته امبارح وموافق.. وما حبيتش بس اقول لكم على الموبايل عشان اقولها لكم وانا معاكم.

ظهرت المفاجأة على الثلاثة، وصرخت (نور) في سعادة وقالت:

- معقول؟!

بينما احتضنه (لؤي) قائلًا بصوت مرتفع:

- مبروك يا دوحة يا حبيب قلبي.

بينما قالت (مريم) في برود وهي تلعب في طرحتها:

- مبروك يا (ممدوح).

قالتها وهي تتساءل في أعماقها.. هل يمكن أن يأتي اليوم الذي تعلن فيه هي و(لؤي) خطوبتهما؟!

بالطبع لا.. فهو يعيش قصة حب مع صديقة عمرها (نور)، ولا يلاحظا عشقها المدفون بداخلها له..

- طب سلام انا بقى واشوفكم بالليل.

خرجت (مريم) من شرودها على صوت (ممدوح) يقول هذه الجملة لهم، وانصرف بعدما رد الثلاثة عليه السلام، ثم أمسك (لؤي) يد (نور) ونظر لها قائلًا في حب:

- عقبالنا يا حبيبتي.

فابتسمت (نور) في حياء ونظرت أرضًا، ولم تستطع (مريم) أن تتحمل أن تشاهد تلك اللحظة أمامها، فأشاحت بوجهها بعيدًا حتى لا ينتبها للدمعة التي سالت من عينيها في حسرة..

ولم يدرِ أحدهم أن التنزه تلك الليلة سوف يقلب حياتهم تمامًا.. وبلا رجعة!

* * *

وفي غرفتهم الصغيرة في هذا المنزل المتواضع، قال (لؤي) لأخيه (كريم) والأول يغير ملابسه:

- ها هتيجي الخروجة معانا بالليل؟

أجابه (كريم) الذي كان مشغولًا بقراءة كتاب:

- لا مش جاي.

- لكن (مريم) جاية.

- على أساس إنها بتاخد بالها من حد غيرك أصلًا طول ما انت موجود؟!

عقد (لؤي) حاجبيه في ضيق من سؤال أخيه، وهو يقوم بتمشيط شعره أمام المرآة، ونظر لأخيه خلال المرآة مجيبًا:

- يا ابني شيل الكلام دا من دماغك.. انت ناسي اني مرتبط بـ (نور) صاحبتها؟ يعني أنا و(مريم) زي الاخوات.

وضع (كريم) الكتاب جانبًا، وقال لأخيه في سخرية:

- آه ماهو دا بيكون واضح جدًّا في نظراتها ليك.. بيكون كلها أخوة!!

لم يعلق (لؤي) على سخرية أخيه، وقال لينهي الحوار:

- يعني هتيجي ولا لأ؟

- طيب مين تاني جاي؟

- غير أنا وانت و(نور) و(مريم)؟ (ممدوح) و(نرمين) بس.. أساسًا ما هو (ممدوح) اللي عازمنا بمناسبة خطوبته على (نرمين) اللي هتبقى الأسبوع الجاي.. هيعزمنا في مطعم نضيف كدا من بتوع (ممدوح).

- طيب طيب هاجي عشان بس الأكل اللي ما باشوفوش غير في الأماكن النضيفة دي!

رد عليه (لؤي):

- يعني مش عشان خاطر أخوك الصغير يا معفن؟ ماشي ياعم.

قال (كريم) في تهكم:

- الصغير؟! انت عشان أصغر مني بسنة تبقى صغير؟ طب هو فيه صغير بيقول لأخوه الكبير (يا معفن) يا معفن؟!

رد (لؤي) وهو يضحك:

- وكمان هاخليك تجرب تشرب ويسكي معايا النهاردا.

نظر له (كريم) في غضب، وقال في جدية:

- مستحيل طبعًا أشرب الزفت دا.. أستغفر الله يا عم ربنا يهديك.

واصل (لؤي) ضحكه، وقال:

- والله انت الخسران ياعم.. ما تشربش براحتك.. بكرة تندم.

نظر (كريم) له في استنكار ومط شفتيه ضاربًا كفًا على كف كأنه يقول له (غُلبت فيك)، وقال مغادرًا الغرفة:

- دا انت شيطان يا أخي! أشوفك بالليل بقى واحنا خارجين.

- ماشي يا عم (كريم).

قالها (لؤي) وهو لم يكف بعد عن الضحك، ثم ألقى بجسده على السرير وأمسك كتاب الطب البشري الذي كان يقرأه أخوه وفتحه وأخذ يتصفحه سريعًا للحظات، ثم ألقاه بجواره وهو يضحك وغمغم قائلًا لنفسه في تعجب:

- أنا عارف بتستحمل تقرا الحاجات دي إزاي! ربنا يهديك انت يا عم والله!

* * *

الدجال

بعد غروب الشمس بقليل، وفي هذا التاكسي حيث تجلس (نور) بجوار (مريم) ذاهبين لمقابلة باقي أصدقائهم، كانت (مريم) متوترة وهي تقوم بضبط طرحتها كالمعتاد وتقول:

- انتِ متأكدة يا (نور) إن طرحتي مظبوطة؟

- آه والله.. انتِ هتفضلي كدا على طول مقتنعة إن طرحتك مش مظبوطة.

- ما انتِ عشان مش محجبة فما تعرفيش احنا بنعاني قد إيه في ظبط الطرحة دي.

- يا بنتي والله مظبوطة وشكلك قمر.

قالتها (نور) ثم لمحت من شباك التاكسي باقي الشلة واقفين أمام باب هذا المطعم الذي يبدو أنه للأغنياء فقط!! وضربت (مريم) على كتفها ضربة خفيفة قائلة:

- خلاص وصلنا بس بقى.

أوقف السائق سيارة التاكسي، ونزلت منه (مريم) مبتسمة، ثم نزلت (نور) التي مد لها (لؤي) يده يساعدها على النزول، وقال (كريم) وهو ينظر لـ(مريم):

- والله وحشتوني.

ابتسمت له (مريم) وقالت:

- ما انت يا دكتور اللي مشغول بالكلية ومش فاضي لنا.

ضحك (ممدوح) وقال وهو يضع يده على كتف (كريم):

- دكتور؟! طب والله بانسى إنه في طب وانه أكبر مننا بسنة أساسًا.. على طول بافتكر إنه معانا في حقوق والله.

جذبته (نرمين) من كتفه وقالت:

- مش يلا بقى ندخل المطعم؟

هم (لؤي) على دخول المطعم مع (نور) التي كانت متأبطة ذراعه، وقال:

- أنا بقول كدا برضه.. أنا وحشني الويسكي.

ضربته (نور) في صدره بخفة، وقالت بغضب ممزوج بدلع:

- بس يا (لؤي).. ما تعصبنيش بقى يا رخم!

كانت (نرمين) الوحيدة تقريبًا التي تنتبه لنظرات حب (كريم) لـ (مريم)، ولنظرات حب (مريم) لـ (لؤي)، هذا لأن (نرمين) تهتم دائمًا بمشاعر أصدقائها الخفية، وتحلل نظراتهم وعلاقاتهم وتستنتج منها الكثير، هذا من الأصل ما جعلها تنجح في إيقاع (ممدوح) في شباكها، رغم أنه من عائلة فاحشة الثراء وكانت هي من أسرة محدودة الدخل، لكن (نرمين) تتطلع دومًا للقمة والثراء، وبمجرد أن جعلت (ممدوح) ينوي أن يخطبها حتى استغلت غناءه في شراء أغلى ملابس لها وموبايل حديث، حتى أنه أهداها خاتمًا ألماس الأسبوع الماضي، وأصبحت تجرب معه كل جديد..

إنها فتاة تحب الحياة ولا تضع لنفسها أي حدود تقيدها، فعلاقتها به أفضل شيء حدث لها وحقق أمانيها، ليس بسبب (ممدوح) نفسه ولكن بسبب ما وراء (ممدوح)!!

وبعد أن انتهى الستة من تناول العشاء في هذا المطعم الذي يلمع فيه كل شيء كالذهب، طلب (كريم) و(مريم) و(نور) عصائر طبيعية، بينما طلب (ممدوح) كأسًا من الويسكي، وتبعه (لؤي) الشرب، ومن ثم (نرمين) التي رشفت من كأسها وقالت وهي تنظر للفتاتين باستخفاف:

- يعني أنا البنت الوحيدة اللي باشرب خمرة عادي فيكم؟ يا ترى عشان أنا بائسة بالقدر الكافي ولا عشان أنا اللي قشطة واخدة الحياة صح؟

ردت عليها (نور) ضاحكة:

- انتِ شايفى إن دا هو الصح؟ طب بس يا حبيبتي خليكِ في الويسكي انت وجوزك وجوزي المستقبلي!

نظر لها (لؤي):

- بتجيبي سيرتي يا حبيبتي؟

- هنعمل إيه دلوقتي؟

قالها (كريم) ليغير مجري الحوار، فأجاب (ممدوح) في حماس:

- هنروح للدجال.

نظر له الجميع في استغراب ما عدا (نرمين) التي عقبت:

- لسَّا برضه مصمم على الهبل دا يا حبيبي؟

نظر (ممدوح) للجميع:

- صدقوني يا جماعة مش هتندموا ابدًا.. أنا أمي راحت له كذا مرة زمان وكانت بتقول عليه راجل واصل وساعدها في كذا حاجة كلهم خير طبعًا.. وكانت قالت لي إنه بيقدر يعرف حاجات هتحصل لك.. زي هتكمل مع حبيبك ولا لأ؟ هتخلف ولا لأ؟ هتموت قريب ولا لأ؟ وكمان ممكن يخدمك في إنه يخلي الكراش بتاعك يحبك أو إنك تنجح في حاجة معينة في حياتك.

علقت (نرمين) في مكر:

- بيتهيألي شلتنا ممكن تستفيد جدًّا منه في موضوع إنه بيقدر يخلي الكراش بتاعك يحبك دا.

نظر لها (كريم) في شك أنها تقصده، بينما نظرت (مريم) أرضًا طبقًا لمبدأ "اللي على راسه بطحة"، وقالت (نور) وقد تحمست لكلام (ممدوح):

- باحب الحاجات دي قوي.. أنا موافقة.

التفت لها (لؤي) متهكمًا:

- يعني الخمرة كخة لكن عايزانا نروح للدجال دا؟ انتِ زي الفل على فكرة!

ضحكت (مريم) لسخرية (لؤي) من (نور)، فهذا أرضى شيئًا ما بداخلها، بينما قال (كريم):

- هي الحاجات دي تخريف طبعًا.. بس ما يضرش يعني!

التفت له (لؤي) وقد زاد استغرابه:

- وانت كمان موافق يا عم الشيخ؟! ما شاء الله!

قال (ممدوح) موبخًا (لؤي):

- يعني انت بتوافق على أي حاجة ومش عايزنا نروح للدجال؟!

رفع (لؤي) يديه في براءة:

- أنا مش معترض والله! معاكم يا سيدي.. بينا على الدجال دا!!

وندموا جميعًا على هذا القرار لاحقًا..

في وقت لا ينفع فيه الندم!

* * *

ما زلنا في يوم 15 يناير.. الساعة التاسعة مساءً الآن..

وتمامًا كمشهد تشاهده كثيرًا في أفلام الرعب، في منطقة ما على طريق صحراوي مظلم، يوجد بيت مهجور، أمامه يجلس رجلٌ مرعبٌ، يبدو عليه أنه حارسٌ لهذا المنزل.. منزل الدجال بالطبع!

اقترب أبطالنا الستة منه، وهمست (نور) في رعب وهي تحتضن كتف (لؤي) ممسكة بعضلات ذراعه:

- أنا باقول إنها فكرة بايخة بجد يا جماعة.. احنا نرجع أحسن.

لم يكن (لؤي) أقل رعبًا حتى أنه لم يقدر على النطق، بينما قال (ممدوح) بصوت فيه حشرجة لحارس المنزل:

- هو حضرته موجود جوا؟

لم يجبه الحارس، ولم ينهض من جلوسه حتى، ورفع رأسه ببطء ناظرًا لـ(ممدوح):

- مستنيكم.

عقد (كريم) حاجبيه، واستجمع شجاعته ليقول بتوتر:

- على أساس إنه دجال وأكيد عارف إننا جايين يعني؟

لم يرد الحارس على هذا السؤال الساخر، ونظر بعيدًا عنهم وكأن الحوار انتهى، فلم يعرف (ممدوح) ماذا يفعل فأخذ ينظر لأصدقائه الذين بادلوه نظرات الحيرة والخوف، وأغلبهم كان يرغب بالرحيل، لكن (ممدوح) تقدم خطوة ناحية باب هذا المنزل، ومد يده ليفتحه، فوجده مفتوحًا بالفعل، فدفع الباب في بطء..

أصدر الباب صريرًا مزعجًا، ودخلوا جميعًا خلف (ممدوح) في تردد، فوجدوا المنزل مظلمًا لكن كان على بعد بضعة أمتار رجل جالسٌ يشبه دجالي الأفلام، وعلى جانبيه بعض جمار النار المشتعلة..

وقال لهم في هدوء:

- اتفضلوا.. اقعدوا.

تساءل (ممدوح) في خوف:

- نقعد فين؟

- هنا.

وشاور لهم ليجلسوا أمامه أرضًا، فاقترب الستة وجلسوا على الأرض أمامه وكأنهم سيستمعون لخطبة سيلقيها!

كانت إضاءة النار مفيدة، وكان لها دور في تهدئة خوفهم نوعًا ما، ولكن صوت هذا الدجال كان مرعبًا وهو يقول في بطء:

- شايف جواكم حاجات كتير.

قالت (مريم):

- حاجات إيه؟

- حاجات وعكسها.. بتحبوا بعض وبتكرهوا بعض.. بتتمنوا الخير والشر في نفس الوقت لبعض!

تساءلت (نور):

- مين بيتمنالي الشر؟!

صمت الدجال للحظات ولم يجب، ثم قال:

- مش كل حقيقة في حياتنا لمصلحتنا نعرفها.

تساءل (لؤي):

-أُمال احنا جايين ليه؟

- عشان كل واحد فيكم عاوز حاجة.. وانا هنا بالبي رغباتكم.. بس الطبيعة لازم تحافظ على التوازن.. يعني أي حاجة هاقدمها لكم.. لازم الطبيعة تاخد حقها قصادها.

قال (لؤي) في لهفة:

- تقدر تخليني غني؟

- أقدر على كل حاجة.. بس لازم تفهم اني هانفذلكوا طلب واحد بس.. لإنكم انتو الستة أقداركم مرتبطة ببعضها.. لازم تتفقوا على طلب واحد هانفذه ليكم كلكم.

قالت (مريم):

- يبقى خلينا كلنا أغنيا!

نظر لها (ممدوح) وقال معترضًا:

- لأ شكرًا.. عندي اللي يكفيني أنا وعيالي اللي لسا ما خلفتهمش!

قال (كريم):

- يبقى خلي كل واحد فينا يوصل لحبيبه.

ردت عليه (نرمين) معترضة:

- وإيه الجديد بالنسبالي؟ أنا مخطوبة وما بقاش عندي حتى مشكلة في الفلوس.. وبعدين لو فينا اتنين بيحبوا نفس الشخص.. ساعتها يشتركوا فيه ولا إيه بقى ياعم الدكتور؟

صمتوا بضعة ثواني، بينما ابتسم الدجال وكأنه يستمتع بالخلاف الذي بينهم، حتى قالت (نرمين):

- الخلود.

عم الصمت المكان فجأة وقد التفت الجميع لها في ترقب، فأكملت هي في نشوة:

- الخلود.. ما نموتش أبدًا.. نفضل عايشين ليوم القيامة!

ظل ينظر الجميع لها باستغراب، حتى قالت (نور):

- لا والله؟!

قال (لؤي):

- يبقى عظيم جدًّا والله.. تقدر تخلينا خالدين؟!

أجاب الدجال في هدوء وكأنه كان ينتظر السؤال مسبقًا:

- آه أقدر.. كلكم أجمعتم على الطلب دا ولا حد معترض؟

لم يعترض أحد، وأخذوا يتبادلون النظرات غير مصدقين بالطبع أن ما يقوله الدجال بإمكانه!

وتملكهم الفضول لما سيفعله الآن، وبعد دقيقة صمت تقريبًا قال الدجال:

- اقعدوا على هيئة دائرة.

أخذوا ينفذون ما يأمرهم به، وهو يملي عليهم مكملًا:

- ودلوقتي إمسكوا إيد بعض.. أيوة كدا.. غمضوا عينيكم.

كانوا خائفين جدًّا، خصوصًا لأنهم أغلقوا أعينهم، فكانوا متشبثين بأيدي بعضهم، فكانت (نور) ممسكة بيد (لؤي) محاولة أن تستمد منها طمأنينة، بينما كان (كريم) ممسكًا بيد (مريم) محاولًا أن يمدها بحنين واطمئنان لكنها لم تكن تنتظر هذا سوى من أخيه..

ظلوا على هذه الحالة بعض الوقت حتى سمعوا صوت الدجال يقول:

- إياكم حد يفتح عينيه.

وسمعوا صوت الدجال ينهض من مقعده، وشعروا به يقترب منهم، وفجأة شعر (ممدوح) بسكين يجرحه جرحًا بسيطًا في ظهر يده فشعر ببضع قطرات دم تسيل من الجرح، لكنه لم يفتح عينيه، ثم أخذ الدجال يكرر هذه الحركة مع الستة، وهو يقول:

- بأمر من القوى المطلقة إلى الطبيعة المؤمنة أن تحفظ لهذه الأرواح الستة أرواحهم خالدين إلى أن تشرق الشمس من المغرب و...

وأخذ يكمل ببعض كلمات غير مفهومة، حتى انتهى من جرح الستة، ثم قال:

- افتحوا عينيكم.

فتح الستة عيونهم، وفوجئوا بكوب في مركز دائرتهم ممتلئًا بالدماء الذي جمعها الدجال منهم، وتلفتوا حولهم ليبحثوا عن الدجال لكنهم لم يجدوا له أي أثر، وكان مقعده فارغًا..

فأين ذهب الدجال؟!

والسؤال الأهم.. ماذا فعل بهم؟!

* * *

إيه المشكلة؟!

اندفعت (مريم) إلى داخل شقتها قبل منتصف الليل بقليل، فصاحت بها والدتها:

- كنتِ فين لحد دلوقتي؟! مالكيش أهل ولا إيه؟

لم تعطِ لوالدتها أي اهتمام، ودخلت غرفتها وأغلقت بابها خلفها، فأخذت الوالدة تضرب الباب وتقول في قلق:

- (مريم)؟! حصل حاجة ولا إيه يا بنتي؟! افتحي الباب.

أتاها صوت ابنتها:

- سيبيني في حالي يا ماما دلوقتي.. وانا هابقى كويسة الصبح.

ردت الوالدة عليها في استسلام من خلف باب الغرفة:

- حاضر يا حبيبتي اللي يريحك.

وحيدة أخذت (مريم) تبكي.. جالسة أرضًا ساندة ظهرها على سريرها وتبكي.. حياتها أصبحت جحيمًا..

لم تعد تطيق أن ترى صديقة عمرها (نور) مرتبطة بـ (لؤي) وعلى وشك الخطوبة..

عشق (مريم) لـ (لؤي) عميقًا قديمًا.. فهي حتى لا تتذكر كيف بدأ؟!

فهي تعرفه جيدًا منذ الصغر بحكم جيرتهم.. ربما بدأ عشقها له منذ أن كانت تشاهده خلسة من شباك غرفتها وهو يلعب الكرة في الشارع مع شبان المنطقة.. منذ أن كان مراهقًا.. ولم تكن تمانع أبدًا أن تظل اليوم بأكمله تستمتع بمشاهدته يلعب ويجري وتتسخ ملابسه ولا يهتم.. تعشق عنفوانه وانطلاقه.. وكان أحيانًا يتشاجر مع الفريق الآخر وتفرح إذا تغلب عليهم وضربهم، وتتعاطف معه إذا ضربوه، وتتمنى لو أنها تنزل للشارع وقتها لتحتضنه وتمده بحنانها وحبها..

ولكن للأسف هو يعاملها طوال عمره وكأنها أخته.. (كريم) شقيقه الأكبر يعاملها باهتمام أكبر منه.. يااه لو كان (لؤي) هو الذي يهتم بها اهتمام (كريم)!!

هل يمكن أن يأتي هذا اليوم؟!

إنها تحب صديقتها (نور).. تحبها منذ الطفولة.. ولكن عندما دخلا الكلية معًا ومعهم (لؤي) وتعرف عليها بدأ ينجذب لها.. وبدأت (مريم) تشعر بالغيرة منها.. لدرجة أنها أحيانًا تشعر بأنها تكرهها، ولكنها سريعًا ما تنفض هذه الأفكار عنها لأنها حقًّا تحب (نور)..

لكن ماذا يمكن أن تفعل؟! ما الحل؟!

ليت كان هذا الدجال دجالًا حقًّا ويستطيع أن يستميل لها قلب (لؤي)!

لكن للأسف هذا الدجال مجنون.. لقد تسلى بهم وجرح أيديهم وأخذ يلقي عليهم بتعويذة سخيفة يفترض أن تجعلهم خالدين ثم اختفى فجأة..

وقتها انصرفوا ووصلهم (ممدوح) بسيارته الفخمة لمنازلهم، بعدما قاموا جميعًا بتوبيخ (ممدوح) على فكرة الدجال السخيفة هذه..

ظنًّا منهم بالطبع أن هذه التعويذة مجرد خدعة..

ولكن..

هل هي خدعة حقًّا؟!

* * *

السادس عشر من يناير الساعة السابعه صباحًا..

نزلت (مريم) من منزلها كالمعتاد لتذهب لجامعتها، ولكن بمجرد خروجها من المنزل حتى اتجهت ناحية منزل (لؤي) و(كريم) المجاور لمنزلها، وصعدت درجات السلم ورنت الجرس، وانتظرت قليلًا حتى فتحت لها والدة (لؤي) و(كريم) وقالت لها:

- إزيك يا (مريم) إزيك يا حبيبتي اتفضلي.. دا لسا (لؤي) نازل من شوية.. مش المفروض وراكم محاضرة دلوقتي؟

- آه فعلًا.. بس انا حبيت أعدي عليكِ الأول يا طنط (سعاد) أسلم عليكِ واتكلم معاكِ في حاجة كدا.

- حاجة إيه يا حبيبتي.. خير؟ اتفضلي.

دخلت (مريم) المنزل وسألتها بصوت خافت:

- هو (كريم) هنا؟

- آه.. عاوزاه؟

- لا يا طنط أنا بس مش عايزاه يسمعنا.

- إيه يا (مريم) قلقتيني.. تعالي أوضتي.

دخلت (مريم) مع السيدة (سعاد) غرفتها، وجلست على السرير..

- شوفي يا طنط.. بصراحة كدا.. (لؤي) واقع في ورطة.

- ورطة إيه كفى الله الشر!

- هو بيحب صاحبتي (نور).. ما اعرفش حاكي لك ولا لأ.. ونفسه إنه يخطبها لولا طبعًا زي ما انتِ عارفة إنه مستني يحوش شوية من الشغل بتاعه اللي بيشتغله جنب الكلية.

- هو قال لي إنها صاحبته وما جابليش سيرة لسا إنه ناوي يخطبها.. حصل حاجة بينهم ولا إيه؟!

- ياريت يا طنط!

- نعم؟!

- (نور) دي بنت كويسة ودي صاحبتي.. بس للأسف الحلو ما يكملش.. (نور) من سنتين قبل ما (لؤي) يحبها كانت مرتبطة بواحد كدا زميلنا اسمه (أشرف).. (أشرف) مش من القاهرة.. ومأجر شقة هنا عشان يبقى جنب الكلية.. وقاعد فيها لوحده.. وهي كانت بتروح له لوحدها بحجة إنها تذاكر له.. وفي يوم غلبهم الشيطان و...

ولم تكمل (مريم) كلامها وهزت كتفيها وحركت يدها بمعنى "وانتِ عارفة بقى"، وفهمت السيدة (سعاد) بالطبع ما تقصده (مريم)، فهتفت:

- يا خبر! هم بنات اليومين دول بقوا كدا ليه!

- المشكلة يا طنط إنه طلع واطي وبعد ما عمل عملته قال لها إنه مش بتاع جواز وكدا.. فقطعت علاقتها به طبعًا.. واكتأبت فترة.. لحد ما (لؤي) وقع في غرامها.. إداها أمل تاني في الحياة.. بس (لؤي) ما يوهنش يا طنط عليَّ إنه يقع في الوقعة السودة دي.

- وطبعًا (لؤي) ما يعرفش حاجة عن الموضوع دا؟

- أنا بس اللي اعرف موضوعها دا لإني أقرب واحدة ليها.. هي أكيد ناوية تبقى تتصرف قبل متتجوز (لؤي).. ماهو الموضوع بقى سهل يا طنط في الزمن الأغبر دا!

قالت (سعاد) في غضب:

- دا على جثتي إن دي تبقى مراة ابني!

قالت (مريم) في خبث وهي تحاول أن تهدئ من غضبها:

- بس يا طنط (لؤي) بجد بيحبها.. ولو قلتِ له موضوع (أشرف) دا مش بعيد يقتله.. ويضيع مننا عشان واحدة ما تستاهلش.

قالت السيدة في حيرة:

- أُمال عاوزاني أعمل إيه؟

- لما يجيب لك سيرة الموضوع دا قولي له إنك عاوزة تقابليها.. وساعتها اعملي معاها أي مشكلة جامدة أو قولي له إنك حسيتها لعوبة وانك مش

مرتاحالها أي حاجة المهم تقولي لُه في النهاية يختار بينك أو بينها.. و(لؤي) بيسمع كلامك وبيحبك قوي.. مستحيل يكسر بخاطرك.

أخذت والدة (لؤي) تفكر، ثم قالت بهدوء:

- خلاص.. أنا عرفت كويس أنا هاعمل إيه.

ثم ربتت على كتف (مريم) وقالت في امتنان:

- تسملي لي يا بنتي.. ما تحرمش منك أبدًا.

- ما تقوليش كدا يا طنط.. دا انتِ زي ماما.

قالتها ونهضت قائلة:

- هانزل انا بقى عشان ما اتأخرش على المحاضرة.

- بالسلامة يا حبيبتي.

وانصرفت (مريم) ولم تفارق وجهها تلك الابتسامة..

ابتسامة نصر.. وسعادة..

ضميرها يؤنبها بالطبع أنها فتنت على صديقتها وحكت سرها، ولكنها ظلت تهون على نفسها بأن هذا لم يكن بقرار سهل عليها.. كما أن سمعة (نور) لم تتلوث إلا أمام والدة (لؤي) فقط..

فإذا كان هذا هو ثمن راحتها من عذابها اليومي كلما شاهدت حب عمرها إلى جانب صديقة عمرها.. يبقى إيه المشكلة؟!

لأ بجد.. إيه المشكلة؟!

* * *

حياته ما هي إلا المذاكرة ليلًا ونهارًا.. وساعتين كل يومين يخرجهم مع شلة أخيه ليرى (مريم) حبيبته التي لا تعلم بالطبع أنه يحبها لهذه الدرجة!

كانت هذه هي حياة (كريم)..

لا يجد نفسه إلا في المذاكرة التي أدخلته كلية الطب ليكمل مشوار المذاكرة الذي لا ينتهي..

إنه ناجح جدًّا ومن أوائل دفعته، ويطمح للتعيين معيدًا بالكلية، لكن كل هذا لا يرضي (مريم).. لا يجعلها تنتبه له!!

إنها فقط تنتبه لأخيه (لؤي)..

إنه يعلم أن أخاه جذاب جدًّا لوسامته وجسده الرياضي، على عكس (كريم) فكان قصيرًا وبدينًا نوعًا ما ولكنه يعلم جيدًا أن لو (مريم) منحته فرصة ستحبه.. فإنه ذكي وناجح ويحبها بجنون وعلى استعداد أن يفعل لها ما تريد! لكن واضح أن هذا كله لم يلفت نظرها!

- كريم.

سمع اسمه بصوت والدته فخرج من شروده وهو جالسٌ على مكتب مذاكرته، ونظر لها وهي تسأله:

- تعرف (نور) صاحبة أخوك؟

- آه مالها يا ماما.

- بينها وبين أخوك حاجة؟

- نعم؟!

- ما تعملش فيها عبيط!

- ما انا مش فاهم بس تقصدي إيه؟

- أقصد اللي فهمته.. بيحبوا بعض وناويين على خطوبة وجواز وكدا؟

- آه يا ماما هو فعلًا بيحبها بس لسا مش عاوز يفاتحك في الموضوع.. انتِ عرفتِ منين؟

- مش مهم عرفت منين.. أنا عاوزاك في حاجة.

كان يبدو على (كريم) الاستغراب، وقال:

- حاجة إيه يا ماما؟

كانت (سعاد) على وشك أن تجيب ابنها، لكن منعها صوت هاتفه، فأمسكه (كريم) ونظر للاسم فأصابته الحيرة، ورد على المكالمة وقال:

- أيوة يا (ممدوح).. عاوز إيه ياعم بعد ليلة امبارح دي؟!

جاءه صوت (ممدوح) مرعوبًا ويصيح:

- عاوز اشوفك دلوقتي يا (كريم).. الموضوع خطير.

نهض (كريم) بسرعة وقال في توتر:

- في إيه؟! طب انت فين آجي لك حالًا؟!

عقدت والدته حاجبيها في قلق، وقالت:

- خير يا ابني؟

بينما انصرف (كريم) بسرعة دون أن يجيبها..

وبعد نصف ساعة كان (كريم) في فيلا (ممدوح) الذي فتح له الباب وكان وجهه شاحبًا ولم ينطق، فدخل (كريم) وقال في قلق وتعجل:

- إيه اللي حصل؟!

وما قاله (ممدوح) كان مرعبًا وغريبًا.. لأبعد الحدود!!

* * *

الثمن

- أول ما صحيت من النوم النهاردا لقيت (نرمين) بتتصل بيَّ.. وقالت لي إن الخاتم الألماس اللي اشتريته ليها الأسبوع اللي فات ضاع وانه أكيد وقع عند الدجال.. طبعًا خدت العربية ورحت للدجال بعد الظهر كدا..

ومع إني كنت في عز الشمس بس والله يا (كريم) المكان كان مرعب جدًّا زي ما هو!

ما لقيتش الحارس، ففتحت الباب من نفسي ودخلت على طول، كان المكان جوا ضلمة بس كان فيه نور بسيط داخل من الباب مخليني قادر أشوف كويس..

ما لقيتش الدجال موجود، فما عرفتش أعمل إيه!

قُلت أنا هادور على الخاتم من سكات ولما الاقيه هاخده وهامشي على طول..

وقفت في المكان اللي كنا قاعدين فيه امبارح وقعدت ادور على الخاتم على الأرض لكن ما لقيتوش وفجأة سمعت صوت حركة جاية من الأوضة الصغيرة الموجودة في المكان دا..

قُلت يبقى أكيد دا الدجال وأكيد هو كان لقى الخاتم وخده..

المهم إني قربت من باب الأوضة دي بالراحة جدًّا؛ لإني كنت خايف فعلًا من الدجال، وقلت بصوت واطي بسبب خوفي: "لو سمحت"

ما حدش رد عليَّ، مع إن كان فيه صوت واضح جاي من الأوضة، صوت واحد عمال يتحرك ويقلب في ورق كدا..

مديت إيدي أفتح باب الأوضة وانا متردد، ففتحت الباب كدا بالراحة وكانت الأوضة جوَّا ضلمة خالص، فقعدت أقول:"مين هنا؟" بس ما حدش برضه رد عليَّ...

دخلت الأوضة وحسست على الجدار عشان ألاقي زرار أنور بيه الأوضة، ولسا سامع صوت الحركة دا في الأوضة بس بقى قريب مني، وفجأة لقيت الباب اتقفل عليَّ مرة واحدة، وبقيت لوحدي في الأوضة في الضلمة دي، رجعت ناحية الباب عشان افتحه واخرج من الأوضة لكن ما كانش عاوز يفتح..

نبضات قلبي زادت وقعدت احاول أفتح الباب لكن برضه ما فيش فايدة..

وسمعت صوت الراجل بيمشي بيقرب مني، فلصقت ضهري في الباب وقعدت اخبط فيه جامد، واصرخ واقول: "ابعد عني.. سيبني أمشي"

وحسيته بقى قريب مني جدًّا وبقيت حاسس بأنفاسه حتى، وحط إيده على كتفي واتأكدت إن هو دا الدجال لما اتكلم وسمعت صوته وقال لي:

- اسمعني كويس.

ساعتها أنا سكت خالص، ولقيته حط إيده التانية على كتفي التاني وقال لي:

- التمن مش قليل.

رديت عليه وانا مرعوب:

- تمن إيه؟!

- تمن خلودكم.. خلودكم مقابل هلاك أرواح تانية.. اسمعني كويس وركز في كلامي.. انت وأصحابك مشيتو امبارح من عندي ملعونين.

ما فهمتش يقصد إيه بكلمة "ملعونين" دي، وما قدرتش أستفسر، وكان كل اللي هاممني ساعتها إنه يخلص كلامه ويسيبني أمشي، وركزت في كلامه وهو بيكمل، وقعد يتكلم كتير جدًّا، حوالي ربع ساعة..

لحد لما خلص كلامه، وبعدين شال إيديه أخيرًا من على كتفي وقال لي:

- امشي يا (ممدوح).. قدامك مهمة صعبة.

أول لما قالها فتحت الباب بسرعة، والغريب إنه ساعتها اتفتح عادي، وخرجت جري من الأوضة وبعدين من البيت دا كله..

ودخلت عربيتي وسُقتها بسرعة وانا بارتعش وهاموت من الخوف والقلق والحيرة، وحسيت إني لازم اتكلم مع أعقل واحد أعرفه، فاتصلت بيك يا (كريم).

قالها (ممدوح) وهو جالسٌ أمام (كريم) في صالة الفيلا الواسعة، فنظر له (كريم) والذي كان يبدو عليه التوتر، وقال:

- أيوة يعني الدجال قال لك إيه؟! إيه ملعونين دي؟!

ظل (ممدوح) ينظر له طويلًا وكأنه لا يدري كيف يعبر عن ما بداخله، وأخيرًا قال:

- قال لي إننا بقينا خالدين بجد يا (كريم).. لكن هنكون أموات لو ما نفذناش أوامر التعويذة.

- أُمال احنا عايشين ازاي؟!

- دا بسبب التعويذة اللي عملها لينا امبارح.. تعويذة الخلود!

- انت مصدق الهبل دا؟!

- ما اعرفش بقى.. المهم إننا حاليًا حسب كلامه المفروض خالدين.. بس التعويذة دي صلاحيتها شهر وبس.. يعني كمان تسعة وعشرين يوم مفعولها هيروح والطبيعة هتسترد حقها وهنبقى أموات من غير روح!

- نعم؟ طب ولو اعتبرنا الكلام دا صح.. يبقى فين الخلود بقى؟ الخلود لمدة شهر وبس؟

- عشان نكسب شهر إضافي لازم نعمل حاجة.. والحاجة دي لازم نعملها كل شهر عشان نخلي التعويذة تستمر لشهر زيادة كمان.. وهكذا.. وساعتها ممكن نعيش آلاف السنين عادي! بس لازم كل شهر نعمل الحاجة دي وإلا هنموت.

- حاجة إيه يا (ممدوح)؟

صمت (ممدوح) بضع ثوانٍ وأخذ يبلع ريقه بصعوبة، وبدا عليه أن ما سيقوله ليس سهلًا عليه قوله، وقال:

- نقتل!

- إيه؟!

- نقتل.. كل شهر لازم كل واحد فينا يتحمل ذنب موت روح تانية، وإلا هيموت.. دا ثمن خلودنا.

- يعني عايزنا إحنا الستة نقتل ستة كل شهر وإلا نموت!! دا مجنون!

- حسب كلامه ممكن نقتل روح واحدة بس.. لكن نكون إحنا الستة مشتركين فيها حتى لو من باب التستر.. ساعتها ذنبها هيقع علينا إحنا الستة و..

قاطعه (كريم) في عصبية:

- يعني كدا بروح أهلك قشطة يعني؟!

- لازمته إيه الغلط دا يا (كريم)؟!

- غلط؟! انت لسَّا شُفت غلط؟! انت موافق على كلام المتخلف دا؟! انت عاوز تعمل كدا فعلًا؟!

- أنا ما قلتش كدا طبعًا يا (كريم).. بس لازم تفهم إنه مش متخلف! وكلامه صح.

صاح (كريم) في غضب:

- وعرفت منين بقى إن شاء الله؟!

- لإنه قال لي إن طالما التعويذة مستمرة معانا يبقى ما فيش قوة على الأرض تقدر تموتني.. وقال لي عشان أتأكد أجرب أنتحر!

صمت (كريم) وبدأ يظهر عليه القلق، وقال بصوت متقطع:

- وجربت فعلًا؟

- بصراحة خفت أجرب.. بس بعد لما اتصلت بيك وقلت لك تيجيلي.. فضلت قاعد لوحدي مستنيك ففكرت أجيب سكينة واقطع شراييني كدا زي الأفلام واشوف إيه هيجرالي! بس خُفت أموت بجد لو كلام الدجال غلط.

- طيب.. يعني ما جربتش اهو.. أُمال مصدق كلامه قوي كدا ليه؟

- انت ما كنتش موجود معايا والدجال عمال يكلمني.. أنا مصدق الراجل دا.. انت حر ما تصدقهوش.. بس انا مصدق.. دي ورطة ووقعنا فيها.

رد عليه (كريم) بعصبية:

- أنا باقول طالما انت مصدق قوي كدا تقوم يلا تجيب سكينة من جوا وتدبح نفسك كدا.. ونشوف مش هتموت إزاي!

- يووووه.. انت هتفضل تكلمني بعصبية كدا.. ياعم دا أنا ابن كلب إني فكرت اتصل بيك أصلًا!

لم يرد (كريم) وأدرك أنه ربما بالغ قليلًا، فحاول أن يستعيد هدوءه، ويقول:

- طب والمفروض نعمل إيه دلوقتي؟!

مرت حوالي عشرين ثانية، ينظر فيها (ممدوح) لـ (كريم) بعمق مفكرًا، ثم أجاب:

- والله دا سؤال مينفعش نجاوبه لوحدنا.. ناقصنا أربعة!

* * *

مرت حوالي ساعتين، وأصبحت الشمس على وشك الغروب، وساد الصمت الموقف والستة جالسين في صالة الفيلا، ما عدا (لؤي) الذي كان واقفًا

مستندًا على الحائط، ينظر للأرض في هدوء يحمل بداخله الكثير من الغضب، ويقول:

- يعني المفروض دلوقتي مننا إننا نقتل حد قبل يوم 15 وإلا هنموت.. ممتاز! يلعن أبو دا يوم إسود مش عاوز يعدي على خير!

نظر له (كريم) في حيرة، لأنه لم يكن يعرف ما يقصد أخيه، وكذلك (نور) التي سألت (لؤي):

- وهو إيه تاني حصل النهاردا؟!

لم يجِبها (لؤي) بينما تساءل (ممدوح):

- مين مصدق كلام الدجال دا؟!

(نرمين):

- زي ما قلت لك أول ما حكيت لي.. أنا مصدقة! ومش عارفة هنعمل إيه في الورطة دي!

نظرت إليها (نور) في استنكار قائلة:

- ماهو أكيد مش هنقتل يعني يا (نرمين)!

(لؤي) في عصبية:

- أُمال نموت عادي يعني يا (نور)؟!

التفتت (نور) له غير مصدقة ما تسمعه، وكذلك (كريم) الذي قال في غضب:

- أنا مش مصدقكم والله! عاوزين بجد تقتلوا؟!

غمغمت (مريم) بصوت خافت ولكن مسموع:

- تقصد مضطرين مش عاوزين!

نظر لها (كريم) مصدومًا ولم يستطع الرد، بينما صاحت بها (نور):

- وهي الضرورات تبيح المحظورات يا (مريم)؟! عايزة تبقي قتالة قتلة؟!

قالت (مريم) في غضب:

- أنا ما قلتش نقتل.. وسيبي حد غيرك يتكلم يا (نور) في موضوع المحظورات دا!

كانت تشير إلى غلطة (نور) مع (أشرف)، وهذا بالطبع ما أدركته (نور) فورًا فشحب وجهها، وقالت في توتر:

- بتلقحي بالكلام على إيه يا (مريم)؟!

نظر الجميع خصوصًا (لؤي) إلى (نور) محاولًا أن يستشف ما تقصده (مريم) من ملامحها، وما المحظور الذي قد يكون فعلته خطيبته المستقبلية؟! لكن (مريم) لم تجب، وظلت (نور) ترمقها بنظرة نارية، حتى قالت (نرمين):

- أنا مقتنعة بكلام الدجال بحوالي تسعين في المية.

قال (ممدوح) و(لؤي) في نفس واحد:

- وانا كمان.

وقالت (مريم) سريعًا وقد شجعها قول (لؤي):

- وانا كمان.

قال (كريم) في سخرية ممزوجة بعصبية:

- ويا ترى ناويين تقتلوا مين بقى؟!

والتفت إلى شقيقه وأكمل:

- ناوي تقتل مين يا اخويا؟!

رد عليه (لؤي) بلهجة حازمة:

- ما حدش هيقتل حد يا (كريم).

أراح الرد قلب (كريم)، وكذلك (نور) التي نظرت لـ (لؤي) في اطمئنان، ولكن خاب أملهما، عندما أكمل (لؤي):

- على الأقل مش قبل ما نتأكد إننا فعلًا خالدين! عشان نعرف كلام الدجال دا حقيقي ولا للأ!

ونظر لـ (ممدوح) وسأله:

- فين المسدس بتاع أبوك اللي هنا؟!

نهض (ممدوح) من مكانه وهو يجيب:

- في الخزنة جوا.. عاوزه ليه؟!

قال (لؤي):

- هاجرب أقتل نفسي.. أنا مستعد أخاطر.. واهو لو كلام الدجال غلط هبقى ارتحت من الدنيا!

شهقت (نور) من هول ما سمعته، بينما صاح (كريم) به:

- على جثتي تعمل كدا!

أما (ممدوح) فقد قال ببرود وهو يصعد السلم الداخلي للفيلا:

- هاطلع أجيب لك المسدس من الأوضة!

قال (لؤي) لهم في هدوء:

- ما تقلقوش يا جماعة مش هاموت ولا حاجة.

سالت دموع (نور) على خديها وهي تنظر له في حسرة وألم ممزوجين بغضب، وكذلك (مريم) التي حاولت أن تكتم دموعها ولكنها فشلت، وهتفت:

- اعقل يا (لؤي).. وخليك مؤمن.. ربنا كبير!

أما (نرمين) فظلت جامدة، ولاحظت لهفة (مريم) على (لؤي)، ولاحظت غيرة (كريم) وغضبه عندما لاحظ هو أيضًا هذا!

- المسدس أهو.

قالها (ممدوح) بعدما خرج من باب الغرفة التي في الطابق الثاني من الفيلا، ونزل على السلم الداخلي، فاقترب منه (لؤي) وأخذ المسدس وتأكد أنه معمرٌ بالطلقات، وكان الجميع ينظر له في صدمة مما قد يفعله، وقال (كريم) في توتر وعيناه تذرف دموعًا:

- (لؤي).. انت عارف انت بتعمل إيه؟! طب افرض كلام الدجال غلط.. كدا هتموت كافر يا (لؤي)!!

كان (لؤي) متماسكًا بطريقة غريبة وهو يقول:

- ما تقلقوش يا جماعة.. ما تقلقش يا اخويا.

ونظر لـ (نور) وقال:

- مش هاسيبك يا حبيبتي.

ثم نظر لـ (ممدوح) وقال في هدوء:

- طالما انتو عاوزين تقتلوا روح غريبة يبقى لازم نكون متأكدين مية في المية إننا محصنين ضد الموت.. وإلا هنبقى بنودي نفسنا في داهية وعلى الفاضي كمان.. بس أكيد برضه مش هاخاطر بحياتي عشان حاجة متأكدين منها بنسبة تسعين في المية بس.. وما ينفعش أجازف إني أكون كبش الفداء وابقى قتلت نفسي في حالة إن الدجال كذاب.

ظهرت الحيرة على ملامح الجميع، ولم يفهم أحدهم ما ينويه (لؤي) الذي ما زال ينظر لـ (ممدوح) بالتحديد، وأكمل كلامه في حزم:

- لكن ينفع أجازف بحياتك انت.

وفجأة رفع المسدس وصوب فوهته ناحية رأس (ممدوح) و...

وضغط الزناد..

* * *

مبادئ

أن يكون لديك ما يجذب الناس هو شيء رائع بالتأكيد!!

لكنه يجعلك تتساءل دومًا، هل يحبونك لشخصك؟ أم أن هنالك سبب آخر؟

فلو أنك غني.. هل سيظلوا يحبونك اذا أفلست؟

ولو أنك وسيمٌ جدًّا.. هل سيتأثر حبهم لك إذا أصبحت مشوهًا؟

أم أنهم يحبونك لأنك أنت؟ لذاتك؟

هذه هي مشكلة (ممدوح) الرئيسية في حياته.. فهو فاحش الثراء!!

يملك من المال ما يكفي أحفاده المستقبليين!!

لكنه لم يشعر يومًا أن أحدًا يحبه بصدق..

حتى والده الذي يعمل بالخليج طوال عمره، لا يراه منذ طفولته إلا في بعض المناسبات..

يظن أن علاقته بابنه هي علاقة مادية فحسب!

صحيح أنه السبب في كل هذا الثراء الفاحش الذي يعيش فيه، وأن كل ما يحلم به يحصل عليه.. ولكن.. ماذا عن الأشياء التي يحتاجها وليس لها ثمن؟!

ماذا عن الأسرة السعيدة، والحضن الدافئ، والنصيحة الأبوية، "واللمة الحلوة"؟!

أشياء حرمانه منها لا يقدر بثمن!

وماذا عن والدة (ممدوح)؟! كانت تقضي معظم شهور السنة في مصر مع (ممدوح) لترعاه، ولكن في الواقع وجودها لم يكن مؤثرًا أبدًا!!

فهي مشغولة دومًا بأصدقاء النادي، والحفلات التي تقيمها بالفيلا!

لا ينسى (ممدوح) أبدًا يوم ظهور نتيجة الثانوية العامة.. كان يشعر بالغيرة عندما يسمع من زملائه أنهم خائفون من آبائهم إذا لم يوفقوا في النتيجة... كان يرغب بشدة في مثل هذا الاهتمام!

طوال حياته يبحث (ممدوح) عن شخص يحبه بصدق ويكون مهتمًا به لطيفًا معه حنونًا عليه..

ولكن أي صديق أو صديقة حصل عليهم كانوا فقط معجبين بسيارته الغالية، أو الفيلا التي يسكن فيها، أو أي شيء له علاقه بثرائه!

إلى أن وجد (نرمين).. وشعر معها بأنها تحبه حقًّا وبصدق..

بالطبع كان هذا ما يظنه هو..

وتعرف أيضًا على أصدقاء (نرمين)، وأحب جدًّا (لؤي) وبدأ يشعر أنه سيكون صديقًا حقيقيًّا له، لكن هذا الشعور تبخر تمامًا، وأدرك أنه لا شيء بالنسبة لـ (لؤي)، عندما أراد (لؤي) أن يعرف إذا كان كلام الدجال صحيحًا وتعويذة الخلود هذه حقيقية أم لا..

عندما كان الستة واقفين في صالة الفيلا، وصوب (لؤي) فوهة المسدس ناحية رأس (ممدوح) وضغط الزناد..

ودوي صوت الرصاصة في المكان..

* * *

اخترقت الرصاصة رأس (ممدوح) ثم استقرت في الحائط الذي خلفه، ووقع (ممدوح) أرضًا جثة هامدة وجحظت عيناه، وصرخت (نرمين) بينما ظلت (نور) تنظر غير مصدقة ولم يستطع أحد أن ينطق، وظل الجميع ينظر مصدومًا!

ارتعشت يدا (لؤي) لكنه ظل متشبثًا بالمسدس، شعر أن أسنانه ترتطم ببعضها من فرط الخوف وهو ينظر لجثة (ممدوح)! وبدا عليه أنه منهار ومصدوم غير واعٍ لما حدث..

لقد قتله!

ماذا فعل؟! هل قتل صديقه حقًّا؟!

بينما وقعت (نرمين) جالسة على أقرب مقعد، واتسعت عيناها غير مصدقة ما تراه..

أما (كريم) فبمجرد أن استجمع أعصابه تحرك ناحية الجثة وانحنى أرضًا ينظر لها.. وامتلأت عيناه بالدموع وأمسك قميص (ممدوح) وأخذ يقول مولولًا في نحيب:

- قُلت لك الدجال كداب ما صدقتنيش.. ما صدقتنيش ليه؟! ما صدقتنيش ليه؟!

وفجأة، شهق الجميع عندما وجدوا (ممدوح) يحرك رأسه وينظر لـ (كريم) الذي قفز من مكانه في رعب، وصرخت (نور) والتصقت بالحائط، فأمامهم جميعًا كان ينهض (ممدوح) واقفًا على قدميه وقد التأم فجأة الجرح الذي في رأسه إثر الرصاصة!

وكأن شيئًا لم يكن!

"قتلتني يا (لؤي)؟"

هتف بها (ممدوح) في كره وغضب فانتفض (لؤي) في رعب عند سماعه للصوت وبلع ريقه في صعوبة وهو يحدق في (ممدوح)..

لثوان، ساد الصمت على الجميع محدقين بالجثة التي عادت للحياة تتحدث، وعاد (ممدوح) يصيح:

- قتلتني؟!

استعاد (لؤي) السيطرة على أصعابه، وقال متلعمثًا في توتر:

- قتلتلك ازاي وانت واقف بتعاتبني؟!

ولم تكد تخرج من حالة الجمود التي سيطرت عليها حتى جرت (نرمين) ناحية (ممدوح) وألقت نفسها في حضنه وتنهدت قائلة في راحة:

- الحمد لله رجعت لي يا حبيبي.

احتضنها (ممدوح)، بينما نظرت (نور) لـ (لؤي) قائلة في سخط:

- إيه اللي انت عملته دا يا (لؤي)؟!

ونظر له (كريم) أيضًا نظرة ثاقبة فقال (لؤي) ليبعد أصابع الاتهام عن نفسه:

- اللي انا عملته هو إني خليتكم تتأكدوا إننا بقينا خالدين!

ثم حاول أن يعلي صوته ويقول في فرحة:

- هع! انتو ما شفتوش اللي حصل دلوقتي؟! كدا ما حدش يقدر يقتلنا!

ابتعدت (نرمين) عن حضن (ممدوح)، ونظروا لـ (لؤي) وقالت (نرمين):

- دا حقيقي.. كلام الدجال طلع حقيقي! اللي حصل لنا دا معجزة!

قالت (نور) في غضب:

- إيه اللي يبسط في إننا لو ما قتلناش إنسان كل شهر هنموت؟! دا ولا كأننا مصاصين دماء! مش ناقص غير إننا نشرب دم اللي نقتلهم!

نظر الجميع لها، وردت عليها (نرمين) في برود:

- اللي يبسط إننا بقينا خالدين.

نظر لها (نور) و(كريم) في استنكار ودهشة بينما رمق (ممدوح) (لؤي) بنظرة نارية، حتى أن (لؤي) شعر أن (ممدوح) سيهجم عليه ويأكله! فقال (لؤي) متهربًا:

- طب نيجي للكلام المهم بقى.. عاوز أحكي لكم على حاجة.

* * *

بعد موت والد (لؤي) و(كريم) في صغر سنهم نشأ الطفلان مرتبطين جدًّا بأمهم، فهي الأم والأب بالنسبة لهم، خصوصًا (لؤي) الذي لا يبدأ يومه قبل أن يقبل يدا أمه في الصباح، وينفذ أوامرها بلا نقاش، حتى إذا أغضب هذا أصدقاءه مرارًا وتكرارًا، فأحيانًا عندما يكون هناك رحلة جامعية وأمه

ترفض أن يشترك بها فلا يشترك بها، ويعاتبه أصدقاؤه كثيرًا قائلين أنه "ابن أمه" وما شابه، بينما هو لا يجد هذا محرجًا، فهو ابن من إذا لم يكن ابنًا لأمه؟!!

كان هذا هو المبدأ الذي يعيش به..

وعلى الرغم من تعلقه بأمه، إلا أنه أحيانًا يخفي أشياءً عن أمه، فهو لا يخبرها أنه يشرب أحيانًا الخمور، ولم يخبرها بعد أنه يحب (نور) ومرتبط بها، كما أنه لم يخبرها بالطبع أنه يعمل مع تاجر مخدرات ليحاول أن يجمع مبلغًا كبيرًا من المال في أسرع وقت ليتمكن من الزواج من (نور)..

فإن عائلة (نور) عائلة ليست غنية، ولكنها عائلة تتطلع إلى الغنى، ولن يقبلوا به زوجًا إلا إذا أتاهم على الأقل بشقة تمليك وشبكة غالية وإلخ.. تمامًا كما تزوجت شقيقة (نور)..

وهذه الأشياء تحتاج لمبالغ كثيرة لا يملك عشر ثمنها!

بهدف الوصول لحبه اضطر إلى العمل في هذه المهنة الغير شريفة، واستطاع أن يصل إلى تاجر مخدرات كبير اسمه (حسين) في الخمسين من عمره..

عمله كالآتي، يذهب كل يوم إليه يأخذ كمية من المخدرات، والمطلوب منه أن يوزعها على أناس معينين في أماكنهم، كأنه "دليفري" مخدرات! ويجمع منهم المال ويسلمه لـ (حسين) هذا..

وافق (حسين) أن يعمل معه (لؤي) لأنه يبدو محترمًا ومهذبًا، ولن يشك أحد أنه موزع للمخدرات.. وجعله موزعًا للناس المحترمة ذات المكانة المرموقة، طبيب في عيادته، أو محامٍ في مكتبه، أو حتى ضابط شرطة!!

وأثبت (لؤي) أنه شاطر، حتى أن (حسين) أعجب به كثيرًا..

حتى أتى اليوم الذي طلب فيه من (لؤي) أن يصطحب ابنه (وائل) أثناء عمله في توصيل المخدرات، من باب تعليم (وائل) الجرأة وأساليب المهنة.. على الرغم أن (لؤي) يرى أن المهنة بسيطة ولا تحتاج لكل هذا!

ولكن الأمور لم تسِر على ما يرام..

كان (وائل) مراهقًا من النوع المدلل السخيف، وأخذ يتحدث بغرور مع (لؤي) الذي أغضبه هذا كثيرًا.. كان (وائل) يغير من مدح أبيه لـ (لؤي)؛ مما جعله يعامله معاملة سيئة ويتطاول عليه بالألفاظ، وكان (لؤي) يخشى أن يرد عليه بالمثل فيغضب والده ويطرده من العمل..

حتى جاء هذا اليوم، عندما دخل (لؤي) مقر "الديلر" (حسين) الذي كان يجلس وسط رجاله ممسكًا بالشيشة، وقال:

- إيه اللي جابك؟!

- النهاردا المفروض يوم القبض يا زعيم.

- قبض مين يا حيلة امك.. انت مش اتصرفت لوحدك؟!

- اتصرفت ازاي؟! تقصد إيه يا زعيم وليه اللهجة دي؟!

- أحسن لك تمشي دلوقتي بدل ما انادي على رجالتي يقلعوك ملط ويعملوا فيك حاجات صدقني هتعمل لك عقد نفسية.. مش (حسين الليثي) اللي يتقلب يا حيلتها.

- يتقلب؟! انت شاكك إني سرقت حاجة؟! بتخوّني؟!

أخرج دخان الشيشة بهدوء فملأ المكان، ثم قال:

- ابني شافك.. يعني أنا مش شاكك.. أنا متأكد يا روح أمك.

ثم صاح:

- اطلع برّا.

انتفض (لؤي) خائفًا وأسرع بالمغادرة ولمح (وائل) ابن الزعيم ينظر له في شماتة، وكأنه يقول "أيوة انا اللي عملت فيك كدا"، فنظر له (لؤي) سريعًا بنظرة ماقتة قبل أن يخرج من المكان..

- انت بتحكي التفاصيل دي ليه؟!

قالتها (نرمين) وهم واقفين في صالة الفيلا، فأجابها (لؤي):

- عشان بيتهيألي (وائل) اختيار مناسب.

عقد (كريم) حاجبيه ونظر لأخيه وصاح في سخط وغضب:

- بغض النظر إنك طلعت أساسًا تاجر مخدرات.. بتحكي لنا دا عشان عايزنا نقتل؟! للدرجادي مع...

تفاجأ (كريم) بأخيه يصيح فيه بغضب مماثل مقاطعًا إياه:

- أيوة يا عم عايزنا نقتل! أُمال انت عايزنا نموت؟!!

- اتفو عليك.

صرخت (نور) فجأة قائلة هذه الجملة لـ (لؤي)، وأكملت وهي تنظر له بنظرة شعر أنها تسحقه سحقًا:

- أنا وانت خلاص! بح.. علاقتنا انتهت! بيع مخدرات بقى براحتك واقتل اللي عايز تقتله!

ونظرت للجميع قائلة في صرامة ونوع من الاحتقار:

- أنا ماشية ومش موافقة على اللي بتعملوه دا.

نظر الجميع أرضًا في استحياء، ما عدا (نرمين) التي نظرت لها في كراهية، وما عدا (كريم) الذي قال في حزم مؤيدًا لكلامها:

- يلا معايا من هنا يا (نور).

عقد (لؤي) حاجبيه في سخط، وهو يشاهد في أسًى أخاه وحبيبته يغادران معًا بعد أن رموه بنظرة احتقار، تاركينه مع (ممدوح) و(نرمين) و(مريم) التي كانت سعيدة بالتفرقة التي حصلت بين (نور) و(لؤي)، وقالت لـ (لؤي) في حنان:

- (لؤي).. ما تجيش على نفسك.. انت ما عملتش حاجة غلط ولا عايز تعمل حاجة غلط.

وأضافت (نرمين) على كلامها:

- أنا متأكدة أصلًا إنهم هيعقلوا وهيرجعوا لنا بكرة ينضموا لينا.

أما (ممدوح) فقال في أسى:

- أنا هاطلع أوضتي أنا عشان مش طايق نفسي.

تحرك ناحيته (لؤي) وقال معتذرًا:

- أنا آسف يا (ممدوح).

رفع (ممدوح) نظره إليه، وقال في عتاب وغضب وقد امتلأت عيناه بالدموع:

- انت ما فرقش معاك إني كان ممكن أموت.. تفتكر دي حاجة ممكن تتأسف عليها؟!

لم يستطع (لؤي) الرد وأمسك في كتفه، بينما تبادلا (مريم) و(نرمين) النظرات وهما يشاهدان هذا الموقف، وصاح (ممدوح) في (لؤي) قائلًا:

- دا انا كنت افتكرت خلاص إن بقى عندي صاحب بجد!

امتلأت عينا (لؤي) أيضًا بالدموع وقال:

- وماجاش في بالك انك لو كنت مت وكلام الدجال كان كدب إني أنا كنت خدت إعدام فيها؟! أنا ما كنتش باجازف بحياتك لوحدك! كنت باجازف بحياتي معاك.

ثم ألقى نفسه على كنبة الأنتريه وسالت الدموع من عينيه وأكمل وهو ينظر أرضًا:

- أنا يئست من حياتي.. النهاردا كان يوم أسود عليَّ! منه لله (حسين الليثي) أكل فلوسي عليَّ! حتى الطريق الشمال لما مشيت فيه ما فلحتش!

كالطفل تمامًا كان يبكي وكان هذا متناقضًا بشدة مع شكله الذكوري وطوله وقوة جسده، ونظرت له (مريم) في حنان وحب، ووجدت نفسها تندفع ناحيته وجلست بجواره وأخذ تطبطب على كتفه وظهره، وقاومت رغبتها في أن تحتضنه، وتعاطف كذلك (ممدوح) معه، وتردد قليلًا من أن يقترب منه، لكن عاطفته غلبته فجلس بجواره من الناحية الأخرى فالتفت له (لؤي) وقال باكيًا:

- انت راجل اتولدت لقيت نفسك غني جدًّا.. ما عندكش مشاكل زي اللي عندي.. ومن ساعة ما عرفتك وانا باحسدك على اللي انت فيه دا، ويمكن

اللي خلاني النهاردا في لحظة كنت فيها متحطم نفسيًّا إني أجازف بموتك وبإنهاء حياتي معاك.. بس أنا آسف جدًّا.. انت فعلا راجل وأخ ليَّ وجدع معايا طول عمرك.. بس انت صعب عليك تفهم شعوري ولا عمرك هتفهم يعني إيه تكون مضطر فعلًا تمشي في سكة شمال وتعمل حاجة عكس مبادئك! انت ما تتخيلش أنا عانيت قد إيه عشان آجي على ضميري وأخلاقي وامشي في السكة دي! وبعد كل دا كمان يتلفق لي تهمة سرقة ويطردني بطريقة مهينة وما آخدش فلوسي!

وزاد بكاؤه فجأة وهو يكمل:

- والله حرام!

هنا وجدت (مريم) نفسها تحتضنه بقوة، ولم يمنعها هو، بينما ظهر التأثر على (ممدوح)، ومرت دقيقة على هذا الوضع حتى كف (لؤي) عن البكاء، ولكن (مريم) ظلت متشبثة به وكأنها "ما صدقت" بينما نظرت (نرمين) في استغراب للموقف، وابتسمت قائلة:

- أنا باقول تنشف بقى كدا يا (لؤي)!

ثم جلست على مقعد أمامهم وهي تفرك يدها في حماس غريب، ونظروا لها وهي تقول وقد تألقت عيناها في شر:

- خصوصًا إننا هنجيب لك حقك من اللي ظلمك دا.. كنت بتقول اسمه إيه بقى ابن تاجر المخدرات دا؟! أيوة.. (وائل)!

* * *

قصر النيل

ما زلنا في يوم السادس عشر من يناير، واقتربت الساعة من العاشرة مساءً في تلك الليلة القارصة البرودة، خصوصًا على كوبري قصر النيل حيث أخذ الهواء البارد يداعب شعر (نور) في جمال وهي تفرك يديها لتستمد منها الدفء، وقال لها (كريم) وهو يسير بجوارها واضعًا يداه في جيب الجاكيت:

- أنا بالوم نفسي إني أخوه وعايش معاه في أوضة واحدة وما خدتش بالي من اللي بيعمله دا! أنا أخ زبالة!

- وهو انا يعني اللي خدت بالي.. ما هو ضحك عليَّ زي العبيطة اهو!

توقف (كريم) عن السير، فوقفت هي بدورها، فوجدته يخلع الجاكيت قائلًا:

- امسكي.

وأكمل مازحًا وهو يناولها الجاكيت:

- بس ما اعرفش هييجي على مقاسك ولا لأ.. أصلي تخين زي ما انتِ شايفة!

ظهر عليها الامتنان وأمسكت الجاكيت قائلة:

- مش لدرجة تخين يا (كريم).. بس انت كدا هتبرد جامد!

قال ضاحكًا:

- وهو يعني البرد هيعمل فيَّ إيه؟ هيموتني؟!

ردت عليه وهي تضحك أيضًا:

- وتبقى زومبي بقى زي (ممدوح).

وارتدت الجاكيت، ثم استندت ونظرت للنيل وكذلك (كريم) الذي نظر لها في تعاطف ولاحظ تغير ملامحها ففجأة اختفت الابتسامة من وجهها وظهر الأسى وهي تقول:

- هو احنا هنعمل إيه؟!

والتفتت له في بطء وسالت دمعة من عيناها قائلة:

- خلاص هنموت؟!

لم يعرف (كريم) هل يواسيها أم يشاركها آلامهما، ووجد نفسه يقول في حسرة:

- تقريبًا ما فيش قدامنا حل تاني!

دوى صوت رنة موبايل (كريم)، فأخرجه ونظر للشاشة وعقد حاجبيه قائلًا:

- دا (لؤي)!

ظهرت اللهفة والسعادة على وجه (نور)، ولكن ما لبثت أن استعادت جمودها وسألته:

- هترد؟!

- رأيك إيه؟ هيكون عاوز يقول إيه؟

- رد وهنعرف!

رد (كريم) على أخيه، واستخدم مكبر الصوت حتى تستطيع (نور) أن تسمع، وأتاهم صوت (لؤي):

- (كريم).. انت فين؟! و(نور) معاك ولا إيه؟

- آه معايا.. عايز إيه؟

- عايز أقابلكم.. لازم تسمعوني.. دا انا (لؤي) مهما كان!

تبادل (كريم) نظرة مع (نور) وظهر عليهما التردد، ولم ينطق أحدهما حتى عاد (لؤي) يقول في رجاء:

- قولوا لي بس مكانكم وهاجي لكم اهو.. مش هتخسروا حاجة لما تسمعوني.

ردت عليه (نور) هذه المرة وقالت في حدة:

- على كوبري قصر النيل.

رد عليهم بسرعة:

- جاي لكم اهو.

وأنهى المكالمة، ونظر لها (كريم) ولم يعرف ماذا يقول، ولم يكن أمامهما سوى الصبر..

ومن بعيد كان يوجد هذا الشاب صغير السن الذي يراقبهم من بعيد دون أن يلاحظه أحد.. ثم أخرج هاتفه والتقط لهما صورة.. ثم أخذ يراقبهم في اهتمام شديد جدًّا..

* * *

توقفت سيارة (ممدوح) الفخمة على كوبري قصر النيل، ثم خرج منها (لؤي) واتجه ناحية (كريم) و(نور)، بينما أكملت السيارة طريقها، وقال (ممدوح) سائقها لـ (نرمين) الجالسة بجواره:

- تفتكري ممكن (لؤي) يقنعهم ينضموا لينا؟

ردت عليه (نرمين) وهي تنفث دخان سيجارتها:

- بيتهيألي (نور) هتقتنع آه.

- انتِ شايفة كدا؟!

- جدًّا.. أنا مش ضامنة (كريم) لكن ضامنة (نور).

- ليه؟ إزاي واثقة إن (نور) ممكن توافق تقتل!

- حاجة واحدة بس تخلي أكتر واحد عنده أخلاق ومبادئ في الدنيا دي يوافق يقوم بأبشع أفعال ما يعملهاش الشيطان نفسه!

- حاجة؟! حاجة إيه؟!

- الحب!

وفي هذه الأثناء، كان (لؤي) يحاول أن يقنع (نور) و(كريم) بأنه يستحق المسامحة، وقال (كريم) وقد بدأ يتعاطف معه:

- بص يا أخويا.. مافيش بني آدم معصوم من الخطأ.. وخلاص ما نقدرش نصحح اللي فات.. لكن اللي جاي بإيدينا.

أومأ (لؤي) برأسه موفقًا، وقد أسعده أن لهجة أخيه أصبحت أقل حدة، وقالت (نور):

- بالظبط كدا.. واهو طريق المخدرات اللي كنت ماشي فيه حتى ما كملش.. ودا من وجهة نظري خير.

وأكمل (كريم) على كلامها:

- فعلًا.. ربنا ما أرادش ليك إنك تكمل في السكة دي.. صدقني دا من حب ربنا فيك.

قال (لؤي) في تأثر:

- ربنا يخليكم ليَّ.

قال (كريم):

- وبعدين أنا بيتهيألي إن اللي بيخلي الدنيا جميلة إنها قصيرة!

قال (لؤي) في ضيق:

- الدنيا مش جميلة سواء كانت قصيرة أو طويلة.. مش فارقة!

ثم اعتدل في وقفته وقال في جدية:

- بس انا مش هاسمح إننا نموت كلنا كمان تسعة وعشرين يوم!

قال (كريم) في حزم:

- أنا عندي حل.

نظرا له في فضول، وأكمل (كريم):

- الصبح هنروح للدجال إحنا التلاتة.. وهنخليه يلغي التعويذة دي.. ونبقى أنقذنا (مريم) معانا.. و(ممدوح) و(نرمين) طبعًا!

هتفت (نور) في أمل:

- تفتكر هينفع؟!

قال (لؤي) في حماس:

- هينفع إن شاء الله.. هينفع... اللي خلاه قدر في دقيقتين يمنحنا الخلود.. مش هيقدر يلغي التعويذة في ثانيتين؟!

* * *

السادس عشر من يناير.. الحادية عشر مساءً..

في ذلك الحي الشعبي كان هذا الشارع مزدحما بالناس والأطفال التي تمرح وتلعب رغم أنها كانت ليلة يوم مدرسي، واتجهت (مريم) ناحية منزلها مسرعة لأن الوقت قد تأخر ولم ترغب هي في سماع لوم والدتها..

ولكنها فجأة سمعت صوتًا يأتي من شرفة منزل يجاورهم، فرفعت نظرها فوجدت السيدة (سعاد) جارتهم تقول:

- اطلعي لي يا (مريم) عاوزاكِ.

ترددت (مريم) ولم تدر فيما تريدها والدة (لؤي) و(كريم)، وقالت في لطف:

- من عينيَّ يا طنط.. هاطمن ماما إن انا جيت وبعدين هاجي لك على طول.

- بس بسرعة يا حبيبتي.

ولم تمر نصف ساعة حتى كانت (مريم) تضرب باب شقة السيدة (سعاد) التي فتحت لها الباب وقالت:

- ادخلي بسرعة.

دخلت (مريم) وقد ظهر عليها التوتر وتساءلت:

- خير؟

أغلقت السيدة (سعاد) الباب، ونظرت لـ (مريم) قائلة:

- كنتِ فين لحد دلوقتي؟!

أدهش السؤال (مريم) وكانت ترغب في أن ترد عليها بـ "وانتِ مالك؟" ولكنها بالطبع تعاملها دومًا بلطف لأنها تريد أن تفوز برضاها إذا رغب (لؤي) يومًا بأن يتزوجها، فقالت:

- عند صاحبتي (نور) بذاكر معاها.

رفعت السيدة حاجبيها في استنكار وقالت:

- (نور)؟! معقولة؟! وإيه اللي مخليكِ مع البنت الصايعة دي لحد دلوقتي!!

- يا طنط ما تقلقيش عليا.. أنا عارفه أنا باعمل إيه و..

قاطعتها والدة (لؤي) في صرامه:

- طب خلاص خلاص.. ما تعرفيش (لؤي) فين لحد دلوقتي؟

تظاهرت (مريم) بالبراءة وهزت كتفيها قائلة:

- لا يا طنط ما شفتهوش النهاردا غير في الجامعة الصبح.

ثم قالت في قلق مصطنع:

- هو انتِ مش عارفة هو فين يا طنط ولا إيه؟ خير يارب!

- لا اتطمني اتطمني.. أنا بس قلقانة يكون مع (نور).. أنا خلاص قررت أنهي العلاقة دي بسرعة.. قبل ما البت (نور) دي تغوي ابني عشان تدبسه في جوازة.

ظهرت السعادة على وجه (مريم)، ولكنها حاولت أن تخفيها وهي تقول:

- والله دي هي كويسة يا طنط بس الشيطان بقى!

ردت عليها في عصبية:

- يبقى ما تنفعش لابني!

ثم ابتسمت وقالت في امتنان:

- عامة ما اتحرمش منك يا (مريم).. روحي بقى عشان تنامي وترتاحي.

- ماشي يا طنط.. تصبحي على خير.

وغادرت المنزل، وبمجرد أن أغلقت السيدة خلفها الباب، حتى تبدلت ملامح السيدة (سعاد) تمامًا وأصبحت جادة، وكأنها كانت تخدع (مريم)، وأخرجت هاتفها سريعًا واتصلت بشخص ما ووضعت الهاتف على أذنها قائلة بسرعة:

- انت فين يا (يوسف)؟!

أتاها صوت شاب مراهق يرد عليها:

- لسا زي ما انا يا طنط (سعاد).. على كوبري قصر النيل.. بس واضح إنهم خلاص مروحين.

- نفسي أفهم إيه اللي موقف ولادي الاتنين مع البت دي!

- أنا عملت نفسي ماشي في الشارع عادي وعديت من جنبهم.. وسمعت جملة (كريم) قالها.. إيه رأيك فيَّ؟ عجبتك؟

سألته في لهفة:

- إيه اللي سمعته؟!

- فهمت إنهم رايحين مشوار مهم جدًّا الصبح.

سكتت (سعاد) قليلًا محاولة أن تفكر أي مشوار هذا يا ترى، ثم قالت:

- يبقى انت كدا وراك مهمة الصبح يا (يوسف).. هتمشي وراهم الصبح وتعرف مشوار إيه دا!

- يا طنط بس انا ورايا درس انجليزي الصبح.. انتِ ناسية إني في تالتة ثانوي.. كدا مش هالحق هندسة!

- هندسة إيه جاتك وكسة يا واد.. ما انت بتاخد الحلاوة.. بكرة هاديك عشرين جنيه على مشوار الصبح دا.

- بس يا طنط لو ابويا عرف إني غبت من الدرس هيقطعني حتت!

- هاديك خمسين جنيه.

- خلاص ماشي يقطعني مش مشكلة!

ضحكت والدة (لؤي)، وقالت:

- طب يلا تعالى بقى عشان زمان أبوك قلقان عليك.

وأنهت المكالمة، ثم جلست تفكر..

كانت تحب هذا الولد (يوسف)، فهو شاب ذكي وطموح ابن رجل جارهم يعمل ليتكفل بمصاريف تعليم ابنه، أما والدته توفت منذ صغره ويربيه والده.. وكان (يوسف) يحب السيدة (سعاد) حقًّا فهي كانت حنونة معه منذ صغره..

وأخذت (سعاد) تفكر وتفكر وتفكر..

ماذا كان يفعل (كريم) مع (نور) وحدهما فوق الكوبري في وقت متأخر كهذا؟! ولماذا أتاهم (لؤي) فيما بعد؟!

الأمر يبدو غامضًا حقًّا! خصوصًا لأن (مريم) كذبت عليها.. فلقد أخبرتها أنها كانت تذاكر مع (نور)، في حين أن (نور) كانت مع (لؤي) و(كريم)..

فلماذا كذبت عليها (مريم)؟! هل كانت تحاول أن تحمي (نور)؟!

مستحيل! فـ (مريم) من الأصل هي من أتت بكامل إرادتها وأخبرتها بعلاقة (نور) السرية مع زميلها (أشرف) هذا، وما حدث بينهما..

وأي مشوار سيذهبون إليه هم الثلاثة؟!

أسئلة كثيرة كانت تراودها..

ووحدها في الشقة، قالت محدثة نفسها في تحدٍّ وصرامة:

- في سر كبير بينكم كلكم.. سر وانا لازم اعرفه.

وبهذا القرار أدخلت السيدة (سعاد) نفسها في قلب الأحداث.. وبقوة!

***

منذ أن وجد الإنسان، وهو يبحث عن إمكانية للخلود فهو كائن لا يريد الفناء، ويتمنى لو عاش بشكل أبدي، ويكفي للمرء أن يقرأ تاريخ الطب، ليكتشف المجهود الجبار الذي بذلته الإنسانية لإيقاف الألم ومن ثم الموت، ونحن نعلم أن العلماء المعاصرين باستخدام الهندسة الجينية يغامرون في تعديلات وراثية لتحسين النسل، على أمل ضبط جين الشيخوخة!!

فحلم إكسير الحياة ما يزال يراود البشر، ولن يتوقف هذا الحلم ما بقي إنسان على الأرض، وما دامت محاولاتنا لم تصل للمبتغى المطلوب فسنظل نحاول الوصول لطرق بديلة للبقاء والخلود.. كتحقيق البطولة، أو الوصول لمكانة كبيرة، أو التكاثر وغيرها..

ولكن هل هذا يعتبر خلودًا حقًّا؟!

* * *

السر

السابع عشر من يناير.. الساعة العاشرة صباحًا..

استيقظت (نرمين) عندما سحب شقيقها طالب الثانوية العامة الغطاء من فوق رأسها، فوضعت يداها على عينيها لتحميها من ضوء الشمس المتسلل لغرفتها، وقالت:

- يا (علي)! مش قلت لك ما تصحينيش بالطريقة دي يا رخم!

أخذ يداعب شعرها ويسحب المخدة من تحت رأسها وقال مازحًا:

- إيه اللي مرجعك امبارح متأخر يا (نرمين)؟! كنتِ فين طول اليوم يا هانم؟!

ردت عليه ضاحكة:

- لا والله؟! هتعمل لي فيها أخويا الكبير ولا إيه يا واد؟!

ضاقت عيناه وهو ينظر لها، وقال:

- طب روحي شوفي بابا عشان عاوزك.

ظهر عليها الغضب وهتفت:

- وهو ما له هو؟!

وتركته في غرفتها وذهبت سريعًا إلى والدهما الذي كان جالسًا أمام التلفاز، وكان يبدو عليه الشيخوخة، وصاحت له بصوت مرتفع:

- عاوز إيه يا بابا؟!

التفت لها، وقال في عصبية:

- بتعلي صوتك عليَّ ليه يا بت؟!

- (علي) بيقول لي انك عاوزني.

- كنتِ فين طول اليوم امبارح وليه راجعة بالليل قوي كدا؟

- وانت ما لك؟!

صاح مستنكرًا:

- هو انا مش أبوكِ يا بت؟

قربت وجهها من وجهه وقالت له في حدة وصرامة ولكن بصوت منخفض حتى لا يصل صوتها إلى أخيها:

- أبويا؟! ودا من إمتى دا يا حج؟ ومن إمتى بيفرق معاك أنا باعمل إيه أصلًا؟ انت حرمتني من أي حاجة حلوة في حياتي.. انت أوحش حاجة في حياتي.. أنا مش باطلب من ربنا غير إنه يريحني منك! انت مش خلاص ارتحت لما جبت لك عريس غني يطلب إيدي؟! واهو بيتهيألي أغنى بكتير مما كنت تتخيل! طلعني من دماغك بقى.. ما لكش عندي غير الفلوس اللي هاديها لك كل أول شهر.. أنا اللي باصرف عليك دلوقتي من فلوس خطيبي.. وأي حاجة خطيبي هيقول عليها تقول حاضر وخلاص.. كلامي واضح؟!

شعرت أنه يبلع ريقه بصعوبة وقد تملكه التوتر، فنظر أرضًا ولم يستطع أن ينظر في عينيها، ولكنه استجمع شجاعته وقال بصوت حاول أن يظهره قويًّا ولكنه خرج مكسورًا مهزوزًا:

- اخفي من قدامي.

- ولا عاوزة أشوف خلقتك.

قالتها في امتعاض وانصرفت من المكان، ودخلت غرفتها فوجدت (علي) بداخلها يتصفح رواياتها التي تقرأها، فنظرت له قائلة في حنان:

- إيه يا (علي)؟! بتقرأ في إيه؟!

التفت ناظرًا لها ببراءته التي تعشقها، وقال:

- باشوف كدا الروايات اللي عندك.

ولكنها لاحظت عيناه تمتلئ دموعًا، فاندفعت ناحيته:

- ما لك مدمع ليه؟!

- هتتجوزي وهتوحشيني قوي يا (نرمين).

احتضنته بقوة قائلة:

- أنا على طول هابقى معاك ما تقولش كدا.. أنا عمري ما هاسيبك أبدًا يا حبيبي.

ثم أبعدته عنها قليلًا حتى تستطيع أن تنظر في عينيه وأكملت:

- وزي ما قلت لك.. أي فلوس تحتاجها تيجي تاخدها مني.. ما تطلبش حاجة من أبوك خالص.

ابتسم لها وهو يمسح دموعه، ولم يدر أن ابتسامته هذه عندها بالدنيا وما فيها!

فهو بلا مبالغة الإنسان الوحيد الذي تحبه في هذه الدنيا اللعينة!
(ممدوح) إنسان طيب ويحبها من قلبه، ولكنها تجده مملًا في أوقات كثيرة، صحيح أنه خطيبها لكن بدون ماله لم تكن ستقدم على هذه الخطوة أبدًا..
أخذت ترتدي أجمل ملابسها التي تبرز جمالها، واهتمت جيدًا بأدوات التجميل، وتركت شعرها ينساب كما تحبه، ووقفت أمام المرآة تتأمل جمالها مبتسمة فخورة بنفسها، ثم غادرت المنزل وركبت سيارة "تاكسي" تأخذها لفيلا (ممدوح)..
كانت الساعة اقتربت من الثانية عشر ظهرًا عندما نزلت من التاكسي وأقبلت من بوابة الفيلا وضربت الجرس لكن ما من مجيب، فأخرجت هاتفها واتصلت بـ (ممدوح) ولكنه لم يجِب أيضًا على الهاتف..
لم تدر ماذا تفعل، وفجأة انتبهت لسيارة (ممدوح) ولمحت أن باب حقيبة السيارة مفتوحًا، فاقتربت منها ونظرت بداخلها فوجدتها فارغة..
لماذا تركها (ممدوح) مفتوحة؟! وأين هو؟!
لمحت عيناها بعض قطرات الدم داخل حقيبة السيارة.. هل هذه دماء (ممدوح)؟!
يا إلهي.. ماذا حدث؟!
انتبهت أن (ممدوح) لا يمكن أن يموت، فهذا الرجل قد تلقى رصاصة في رأسه أمس ولم تكن كافية لإنهاء حياته!
أراح هذا بالها قليلًا قبل أن تراودها بعض المخاوف مجددًا... فماذا إن خطفه شخص ما وتركه مربوطًا أو مسجونًا حتى يوم السادس عشر من الشهر القادم؟! طبقًا لشروط التعويذة فهذا سيقتله وقتها!

- (نرمين)؟

انتفضت من مكانها عندما سمعت اسمها، فالتفتت فوجدت (ممدوح) ينظر لها وملابسه متسخة.. شعرت أنه متوتر لوجودها!

- كنت فين يا (ممدوح)؟!

تلعثم وهو يجيبها:

- جوا.. باعمل حاجة في الفيلا.

- وإيه اللي وسخك كدا؟!

- كنت نايم في جنينة الفيلا!

- طب ودا من إيه دا؟

- عادي يا (نرمين)

شعرت أنه يخفي شيئًا ما لأن كلامه لم يكن منطقيًا، وقال:

- ثوانٍ.

ودخل من باب الفيلا وتركها.. لماذا لا يريدها أن تدخل معه؟! هل يخفي عنها شيئًا ما؟!

أم أنه بعدما عاد للحياة أمس لم يعد كما كان؟! هل يمكن هذا؟!

اتجهت في بطء وحذر لبوابة الفيلا ودخلت منها للحديقة لتعرف إجابة تساؤلاتها، فوجدته يغلق الباب المؤدي لبدروم الفيلا.. بابًا لا تلاحظه بسهولة.. فهو أسفل بلكونة وعلى يمين باب الفيلا الداخلي بمسافة مترين، وقبضته غير واضحة..

ووجدته يغلقه بالقفل، لا تريده أن ينتبه أنها رأته فعادت سريعًا وخرجت من باب الفيلا دون أن يلمحها لتعود مكانها..

ووقفت هكذا لثوان، حتى خرج هو من الفيلا وابتسم لها قائلًا:

- خلاص تعالي.

دخلت الفيلا وقالت له متظاهرة بالدلع:

- وانت كنت موقفني برا ليه بقى؟

- ما فيش يا حبيبتي عادي.

- لا والله.. عادي إزاي؟!

- انتِ بتشكي فيَّ ولا إيه؟

- لا بس برضه حقي أسأل.

في تلك اللحظة كانا قد دخلا وأصبحا في صالة الفيلا، وبدأ يفك أزرار قميصه المتسخ ثم خلعه، وقال لها واضعًا يده على كتفها:

- تعرفي انك واحشاني؟

أدركت أنه يحاول أن يغير الموضوع وينسيها ما حدث لأنه لا يريدها بالطبع أن تصل للإجابة، وقد تظاهرت أنها لم تفهم ذلك، فابتسمت له قائلة في حب لم يدرِ هو أنها تصطنعه:

- انت أكتر.

اقترب منها وهو نصف عارٍ، وأدنى شفتيه من شفتيها حتى أنها شعرت بأنفاسه وهو يقول بهدوء رومانسي:

- أنا محتاجك جدًّا.

قالها ثم اقترب بغتة فالتصقت شفتاه بشفتيها فبادلته هي القبلة لثوان حتى ترضيه، لكنها شعرت بأصابعه تتحرك ناحية جسدها تتحسسه فابتعدت عنه فجأة، وهتفت في حدة:

- لا يا (ممدوح).

ظهر عليه الضيق مغمغمًا:

- لأ ليه؟!

- البوسة وعديتها لكن ما ينفعش أكتر من كدا! لما نبقى نتجوز!

في الواقع لم يكن يهمها الذنب سواء الديني أو الاجتماعي، لكنها في الواقع لم تكن مقبلة عليه لهذه الدرجة، كما أنها لا تضمن ألا يعذبه ضميره بعد أن يفعلها فيكرهها ولا يتزوجها مثلًا! كيف لها أن تجازف بخسارة هذه الثروة؟! فالخلود بلا مال أعتقد أنه ممل جدًّا!

- ماشي يا (نرمين).. اللي تشوفيه.

قالها وهو يرتدي "تيشرت" ثم جلس على الأريكة فجلست هي بجواره وابتسمت قائلة وهي تهز شعرها في دلع:

- أنا عايزة بقى أتفسح النهاردا يا حبيبي واشتري هدوم كتير!

التفت لها في بطء وبدا أنه لم ينتبه مطلقًا لما قالت، وظهر عليه شيءٌ من الحزن أو الندم وغمغم بصوت خافت وقد بدا عليه أنه يخاطب نفسه:

- هو انا اهبل إني اتعاطفت مع لؤي وظروفه رغم إنه قبلها على طول جازف بموتي؟

وصمت قليلًا، فقالت له في حنان:

- بيتهيألي (لؤي) بيحبك يا دوحة.. أنا كمان اتعاطفت مع كلامه.. دي كانت مجرد لحظة غضب.. غير إن انت كنت مأكد لنا إن تعويذة الخلود دي حقيقية وانك مش هتموت.

قال هو في جمود:

- يعني انا دلوقتي عايش ولا مش عايش؟!

ردت عليه مازحة:

- دي أغنية يا حبيبي.

التفت لها وقال في عصبية تدعو للسخرية:

- انت تعرفي إن انا ما عدتش هاعرف استمتع بالأغنية دي تاني لإن كلماتها بقت تنطبق عليَّ حرفيًّا!

ضحكت هي، ولكن ملامحه استعادت حزنها وتأثرها وقال:

- التعويذة دي أحسن حاجة حصلت لي في حياتي البائسة دي!

نظرت له في شفقة، ونظر هو لها وهو يقاوم رغبته في البكاء:

- انتِ تعرفي يا (نرمين)؟ أنا باحب الشلة دي كلها والله.. أنا باحس انهم عيلتي كدا.

وحاول أن يتمالك أعصابه وقال في حزم، لكنها شعرت فيه بنوع من الرجاء:

- أنا عاوز نبقى احنا الستة مشتركين في اللي هنعمله دا.. إذا كنا هنعيش للأبد يبقى نعيش كلنا.. مش عايز (كريم) و(نور) يعاندونا فيتسببوا في موتهم عشان خاطر مش عاوزين يتحملوا ذنب قتل بني آدم!! الفيلا دي كبيرة قوي وعايش فيها لوحدي.. حتى أمي خلاص سافرت من شهرين لابويا والله أعلم هترجع إمتى! أنا باكره الوحدة جدًّا يا (نرمين).

وامتلأت عيناه بالدموع فأمسكت برأسه بسرعة وضمتها لحضنها، وقالت له بصوت يظهر فيه التأثر:

- ما تعيطش يا حبيبي.. وبعدين أنا مش هاسيبك أبدًا!

شعرت أن هذا الموقف متكرر وأنها عاشته منذ ساعتين فقط، (ديجافو) كما يقولون!، مع الفرق أنها لم تكن متعاطفة مع (ممدوح) إلى هذا الحد الذي كانت عليه مع أخيها، فـ (ممدوح) مرهف المشاعر إلى حد مبالغ فيه في اعتقادها، أو ربما لأن مشاعره لا تهمها، لكنها قالت لتجعل قلبه يطمئن:

- سيب الموضوع دا عليَّ.. مافيش حد هيسيبك.. احنا الستة هنفضل سوى وهنشترك في القصة دي.

رفع رأسه لها في أمل:

- بجد؟! إزاي!

نظرت له في ثقة ورفعت أحد حاجبيها و ابتسمت بخبث:

- زي ما قلت لك قبل كدا.. بالحب!

ابتسم لها معجبًا بأسلوبها، وتساءل:

- طب وبالنسبة لـ (كريم)؟!

- (كريم) دا بالذات أمره سهل.. وانا عارفة هاجيب رجله معانا إزاي.

أمسك يدها وقبلها في حب قائلًا:

- باحبك يا شريرة!

ضحكت حقًّا من قلبها:

- وانا باحبك يا أطيب إنسان.

ثم تذكرت ما حدث، وأنه يخفي شيئًا ما في بدروم الفيلا وأنه كذب عليها منذ قليل فتساءلت في أعماقها..

هل هو طيب حقًّا كما يبدو؟!

وما السر الذي يخفيه عنها؟!

راودتها أسئلة وشكوك كثيرة وفجأة خرجت من شرودها على صوت هاتف (ممدوح) يرن، فأخرج هاتفه ووضعه على أذنه قائلًا:

- (لؤي).. خير؟!

ثم عقد حاجبيه في استغراب لما يسمعه، ثم هتف في دهشة:

- إيه؟! بتقول (كريم) سابك مع (نور) فين؟! إيه اللي حصل بالظبط؟!

* * *

الكارت الأخير

السابع عشر من يناير.. الساعة العاشرة صباحًا.. من تاني..

القتل؟!

يا لها من كلمة صعبة!

كيف لإنسان أن ينهي حياة إنسان آخر؟! كيف يجرؤ؟!

لا يفهم (كريم) أبدًا كيف يجد أخيه (لؤي) هذا الأمر بسيطًا على عكسه فهو يراه مستحيلًا لأبعد الحدود!

وماذا عن حبيبة قلبه (مريم)؟! ماذا عن هذا الملاك البريء؟!

هل يمكن أن تقتل حقًّا؟!

لا.. لا.. لا يمكن أن توافق على شيء كهذا.. ليس (مريم) بالتأكيد!

سيجد الدجال ويجعله يكسر هذه التعويذة، وربما وقتها تعجب (مريم) به وتقع في حبه، سيهرها بالطبع عندما تعلم أنه من أنقذهم جميعًا!!

خرج في تلك اللحظة من تفكيره العميق جالسًا في الكرسي المجاور لسائق التاكسي، عندما سمع أخيه (لؤي) يقول له من المقعد الخلفي:

- سرحان في إيه يا كوكو؟!

- لا لا مافيش.. هي (نور) مش هتيجي بقى عشان نتحرك؟!

- نازلة من عند (مريم) اهو وجاية.

كانت الساعة أصبحت العاشرة والنصف عندما نزلت (نور) من منزل (مريم) وركبت التاكسي جالسة بجوار (لؤي) وقالت:

- يلا بينا.

وانطلق السائق بثلاثتهم، وبعد ساعة من تلك اللحظة وصل بهم التاكسي لمكان الدجال، فتوقف السائق في هذا الطريق الصحراوي حيث أمره (لؤي) بالتوقف ثم قال:

- خليك هنا يا اسطى عشر دقايق.. هنعمل حاجة وهنجيلك عشان ترجعنا لمكان ما جبتنا.

وخرج الثلاثة من التاكسي وأخذوا يسيرون على الرمال قليلًا حتى وصلوا لمنزل الدجال، ولم يجدوا الحارس هذه المرة..

توقفوا أمام باب المنزل وقبل أن يدخلوا قال (لؤي):

- خلونا نتفق على حاجة.

سأله (كريم):

- إيه؟

- لو فشلنا في اللي احنا جايين عشانه.. يعني لو التعويذة خلاص ما ينفعش نكسرها.. يبقى ما ينفعش نسمح إننا نموت كدا.

ثم نظر له ولـ (نور) وأكمل في حزم:

- هنقتل.

كان (كريم) على وشك أن يرد مهاجمًا كلامه، لكنه فوجئ بـ (نور) تقول بلهجة أقل حدة مقارنة بأسلوبها أمس:

- مش هنضطر نقتل.. أنا قلبي بيقول لي إن الدجال هيكسر التعويذة وهيخلصنا من الكابوس دا.. ما تقاطعش بس يا (لؤي).

شعر (كريم) بأنها بدأت تميل لموافقة (لؤي) وباقي الشلة، ولم يعد موقفها حاسمًا مثله.. يا إلهي!

هل سيتركوه يموت وحده؟!

لم يرد على ما قاله أخيه، ودخل من باب المنزل ودخلا خلفه، فوجدوا المكان بالداخل هادئًا، ولا يوجد أثر للدجال..

نظر (كريم) للمكان الذي جلسوا فيه أرضًا عندما كان يجري الدجال التعويذة، واقترب بحذر من الكرسي الذي كان يجلس عليه..

أين هو؟!

نظر لباب الحجرة التي وجد بها (ممدوح) الدجال، عندما أتاه وحيدًا اليوم التالي للتعويذة كما أخبره، وفيها أخبره الدجال بكل شيء يتعلق بالتعويذة وعن كيفية حفاظهم على استمرارها..

فأشار لباب الحجرة دون أن يتكلم، فاقترب منها (لؤي) في تردد وفتح باب الحجرة فكانت مظلمة، فأمسك (كريم) بهاتفه وأضاء الكشاف ليرى ما يوجد بالداخل..

لم يجدوا الدجال، ولكنه أخذ يتأمل ما فيها مستعينًا بضوء كشاف هاتفه فوجد الكثير من الكتب القديمة التي تشبه كتب التراث، والصناديق المغلقة بمقاسات مختلفة حتى أن أكبرهم كان بحجم التابوت ويشبهه تمامًا..

لم يبدو عليهما الاهتمام مثل (كريم) الذي وجد أخيه يقول له بصوت خافت:

- أنا باقول نمشي بقى!

- مش يمكن نلاقي حاجة تفيد!

قالت (نور) في توتر:

- حاجة إيه طالما الدجال مش هنا.. وبعدين المكان دا بيرعبني.

قال (كريم) لهم في عصبية:

- اخرجوا انتو، وانا دقيقتين وهاجي وراكم.

ترددا لثوان ثم حسما أمرهما وانصرفا، ووحيدًا أخذ (كريم) في هذه الحجرة يحرك كشافه يمينًا ويسارًا.. لكنه لاحظ شيئًا..

هناك كتب وقعت أرضًا ومفتوحة، والصناديق غير منظمة..

يشعر كما لو أن هذه آثار لمشاجرة كانت تدور هنا..

وفجأة لمع شيءٌ ما صغير جدًّا على الأرض عندما انعكس عليه ضوء الكشاف..

فاقترب (كريم) بحذر من هذا الشيء والتقطه.. كان زر قميص..

لسبب ما يجهله هو نفسه وضع (كريم) الزر في جيبه، وشعر أن هذا ما كان يبحث عنه وما كان يجب عليه أن يجده.. شعر بداخله أن هذا مهم حقًّا!

وبعد قليل خرج (كريم) من هذا المنزل أو الكوخ، فوجد (لؤي) و(نور) واقفين بالخارج، ولمح بعينيه التاكسي ما زال واقفًا على الطريق ينتظرهم حتى يعيدهم للقاهرة، وكان (لؤي) عاقدًا ذراعيه ويقول في عصبية:

- كل دا يا (كريم)؟! الساعة بقت 12.

يرد (كريم) ساخرًا:

- ماعلش!! طولت شوية وانا باحاول ألاقي حل لمشكلتنا.. بدل ما نستعجل ونقتل!!!

قال (لؤي) في حنق:

- المهم إننا كدا عملنا اللي علينا.. دا كان الكارت الأخير وخلاص اتحرق.. يبقى القتل هو الحل!

رد عليه (كريم) في ثبات:

- الموت هو الحل!! دا اختبار من ربنا! مش يمكن لما يعدي الشهر ما نموتش أصلًا؟! ولو مُتنا نقابل ربنا راضيين عن نفسنا وندخل الجن..

قاطعه (لؤي) في حدة:

- انت يمكن تكون مستعد تقابل ربنا.. إنما أنا لأ!

صمت (كريم) وقد صدمته جملة أخيه، بينما نظرت (نور) أرضًا، وتساءلت في أعماقها..

هل هي مستعدة حقًّا لمقابلة خالقها؟!

تذكرت ما فعلته مع (أشرف) فوجدت نفسها مرعوبة من هذا الذنب، خصوصًا أنها لم تشعر أنها قد تابت عنه حقًّا.. لا لا.. هي غير مستعدة على الإطلاق.. لا يمكن أن تموت الآن!!

خرجت من شرودها العميق على صوت (لؤي) وهو ينظر لأخيه قائلًا في صوت يبكي وإن لم تبك عين صاحبه:

- أنا لحد يومين فاتوا كنت بابيع مخدرات.. أنا ما باصليش خالص يا (كريم)! أنا الحاجة الوحيدة اللي شايف إن ربنا راضي عني فيها هي علاقتي بأمنا.

وهنا غلبته دمعة سالت على الرغم منه، لاحظتها (نور) فشعرت أن قلبها يبكي معه، وأكمل (لؤي) بصوت متحشرج:

- أنا مش مستعد اقابل ربنا يا اخويا!

بدا التأثر على (كريم) وبلع ريقه بصعوبة، لكنه حاول أن يكون متماسكًا وهو يقول في قسوة:

- لكن أنا مستعد يا (لؤي).

قالها وألقى نظرة على (نور) فأدرك جيدًا موقفها، فانصرف وتركهما، وبمجرد أن ابتعد عنهما حتى ترك الحرية لعينيه أن تذرف دموعها، وقد شعر أنه يودع الدنيا التي لم يتبقَّ له فيه سوى أيام.. الوداع يا أخي!! الوداع يا حبيبتي!! الوداع يا دنيا ظالمة!!

ركب (كريم) التاكسي وشعر أن الدنيا تدور من حوله وأمر السائق بصوت خرج منه بصعوبه بأن ينطلق به، فانطلق السائق بالتاكسي، تاركًا (لؤي) و(نور) وحدهما في هذه المنطقة، فانتفض (لؤي) وأخذ يجري محاولًا أن يلحق بالتاكسي وصاح:

- (كريم)!!

إلا أن التاكسي انطلق سريعًا بالطبع، وأدرك (لؤي) أنه ليس من المنطقي أنه ما زال يجري، فتوقف والتفت لـ (نور) التي لم تنطق أبدًا وظلت تنظر له في أسًى وحسرة فقد كان المشهد مؤسفًا حقًّا لأقصى درجة..

* * *

- إيه؟! بتقول (كريم) سابك مع (نور) فين؟! إيه اللي حصل بالظبط؟!

قالها (ممدوح) عبر الهاتف مخاطبًا (لؤي)، وحاولت (نرمين) أن تستشف من ملامح (ممدوح) ما حدث، وبدا عليه أنه غاضبٌ وهو يقول:

- وانتوا ازاي تروحوا للدجال من غير ما تقولوا لي؟!

وسكت قليلًا ليستمع لما يقوله (لؤي)، لكن يبدو أن ما قاله لم يعجبه فصاح:

- يكسر التعويذة؟! بمزاجكم انتو تروحوا للدجال وعاوزينه كمان يكسر التعويذة؟!

رفعت (نرمين) حاجبيها في استغراب لما يقوله (ممدوح)، الذي بدا عليه أنه توتر وهو يقول:

- لا يا (لؤي).. أكيد كنت عاوز التعويذة تتكسر لو كان ينفع! أنا جاي لكم أهو ماتقلقوش.

وأنهى المكالمة والتفت لـ (نرمين) قائلًا:

- أنا رايح انا أجيب (لؤي) و(نور) من عند بيت الدجال.. (كريم) سابهم هناك لوحدهم.. وواضح من كلام (لؤي) إن (نور) بقت في صفنا.. كدا بقينا خمسة.. (كريم) كدا هو الوحيد اللي مش معانا.

أومأت (نرمين) برأسها لتجعله يطمئن قائلة:

- ما تقلقش زي ما قلت لك.. هاعرف اجيب رجله.

- تمام.. هتيجي معايا أجيب (لؤي) و(نور) بالعربية؟!

- لا يا حبيبي.. أنا عندي مشوار تاني.

وابتسمت في مكر وغمزت له بعينيها وهي تقول:

- عشان نبقى ستة.

فضحك (ممدوح) مستمتعًا بشرها وهتف:

- على وضعك!! على وضعك جدًّا!!

* * *

ندم

السابع عشر من يناير.. الساعة العاشرة صباحًا.. التالتة تابتة..

لم يكن من عادتها أن تظل نائمة حتى الساعة العاشرة، ومع ذلك لم ترغب (مريم) في أن تستيقظ ربما لأنها لم تجد سببًا يستحق الاستيقاظ لأجله..

حتى سمعت صوت فتح باب غرفتها، فظنت أنها والدتها، لكنها فوجئت بـ(نور) تدخل وتغلق باب الغرفة خلفها، واقتربت منها قائلة في هدوء:

- إيه اللي منيمك لحد دلوقتي؟ مش عوايدك يعني.. دا انتِ بتصحي من خمسة الصبح!

خرجت (مريم) من دهشتها سريعًا وقالت:

- وانتِ من عوايدك تصحي الظهر.. إيه اللي مصحيكِ بدري؟!

- وهو بعد اللي حصل امبارح دا كان بيجي لي نوم إزاي؟! دا انا كل ما اغمض عيني أفتكر (ممدوح) وهو بياخد الرصاصة في دماغه وبيقع على الأرض!

تجاهلت (مريم) بدورها التوتر الذي كان في علاقتهما أمس عندما وجدت (نور) تتجاهله، فقالت (مريم) ضاحكة وهي تعتدل في جلستها على سريرها:

- ما هو قام زي القرد يا اختي!

ابتسمت (نور) وداعبت شعرها بأصابعها وهي تجلس على السرير، ثم تغيرت ملامحها وهي تقول في عتاب ونبرة تمتلئ بالأسى:

- (مريم).. انتِ امبارح عايرتيني بموضوع (أشرف) وما همكيش إن حد ممكن ياخد باله.. انتِ ما تتخيليش دا جرحني قد إيه!!

قالتها في صوت يبكي، فاندفعت (مريم) حاضنة (نور)، وقالت في أسف حقيقي:

- أنا آسفة يا (نور).. والله ما كنت في وعيي.

بمجرد أن وجدت (نور) نفسها في حضن (مريم) حتى انهمرت في البكاء، وأخذت (مريم) تطبطب على ظهرها قائلة في حنان وأسف:

- سامحيني أنا لا يمكن أعايرك أبدًا.. انتِ ناسية إني أنا اللي ساندتك بعدها وقلت لك ابدئي من جديد وما تسيبيش غلطة تحطمك.

وأخذت (مريم) تمسح دموع (نور)، وفي أعماقها كانت (مريم) مصدومة وهي تواجه نفسها بحقيقة ما فعلته!

لقد أدلت بسر (نور) لوالدة (لؤي).. يا إلهي!

لو عرفت (نور) ستتحطم تمامًا.. لن تتوقع الخيانة منها أبدًا..

ولكن ماذا كان بإمكانها أن تفعل؟! إنها تحب (لؤي) حقًّا وتتعذب يوميًّا وهي تراه بجانب أعز صديقة لها.. لقد كانت مضطرة!! نعم.. إنها لم تخطئ!!

- انتِ و(لؤي) ما اقدرش اعيش من غيركم.

قالتها (نور) في حب، ثم أكملت بالجملة التي أصابت (مريم) بقشعريرة باردة:

- أنا باحبك أكتر من أي حد يا (مريم).

أومأت (مريم) برأسها ولم تستطع الرد.. لقد دخلت هذه الجملة كالرمح في قلبها.. إنها تتقطع من داخلها ندمًا حقًّا.. فكرت في حل لما فعلته.. ليت بإمكانها أن تعود بالزمن للخلف!!

وبحركة لا إرادية وجدت (مريم) نفسها تضم صديقة عمرها في حضنها ثانية..

وظلت متشبثة بها، وفي أعماقها كانت خائفة حقًّا.. هل يمكن أن تنتهي هذه الصداقة العظيمة بسبب قرار غبي فعلته بدافع الغيرة؟! أم أنها ما زال بإمكانها أن تمنع وقوع هذا؟!

لكن.. بالطبع.. قد فات الأوان!

وبعد دقائق ومن شباك غرفتها، شاهدت (مريم) صديقتها (نور) وهي تخرج من باب المنزل وتركب التاكسي الذي ينتظرها بداخله (لؤي) و(كريم)، وانطلق بهم التاكسي..

لقد أخبرتها (نور) أنهم ذاهبين للدجال ليجدوا حلًّا لكسر التعويذة، فنظرت (مريم) للسماء قائلة:

- يارب!

فهي لا تتصور أبدًا أنها يمكن أن تقتل إنسانًا! لن تجرؤ أبدًا على فعلها!

- صاحبتك كانت عوزاكِ في إيه يا (مريم)؟

انتفضت (مريم) عند سماعها صوت والدتها تسألها هذا السؤال، والتفتت لها قائلة في عصبية:

- يا ماما خضتيني!

- ما اقصدش يا حبيبتي والله.. قلبك بقى ضعيف كدا ليه؟!

- اهو من اللي بنشوفه في حياتنا يا ماما!

- أنا سمعت صوت صاحبتك بتعيط.. كان مالها؟!

- يا ماما دي حاجة بيني وبين صاحبتي.

قالتها (مريم) وهي تجهز الملابس التي سترتديها، فسألتها أمها:

- هتنزلي دلوقتي وترجعي لي آخر الليل برضه زي امبارح وأول؟!

وبمنتهى البرود أجابتها:

- آه يا ماما.. بالظبط كدا!

* * *

بعد الثانية عشر ظهرًا بقليل.. وحدها في منزلها كانت السيدة (سعاد) جالسة تتحدث في هاتفها المحمول قائلة:

- (يوسف).. انت متأكد من اللي بتقوله؟!

- زي ما باقول لك كدا والله!! (لؤي) و(كريم) كانوا بيزعقوا لبعض جامد وكان معاهم (نور) دي.. وبعدين (كريم) سابهم لوحدهم وركب التاكسي ومشي وكان شكله مصدوم جدًّا ومنهار!

- يا خبر اسود!! إيه اللي بيحصل يا ربي؟

- اللي هيجنني بجد يا طنط إني مش فاهم كانوا بيعملوا إيه هم التلاتة في البيت المهجور دا!

- طب ما تدخل البيت دا وكدا وصورلي اللي جوا.

- لا يا طنط (سعاد)!! البيت مرعب!! أنا راكب العجلة بتاعتي وراجع المنطقة اهو.

- مش قبل ما تعرف (لؤي) و(نور) هيعملوا إيه!!

- حاضر يا طنط.. أنا بس كنت عايز ألحق درس الفيزيا!

ردت عليه والدة (لؤي) في عصبية:

- لو عايز الخمسين جنيه اللي اتفقنا عليها يبقى خليك عندك لحد ما تعرفني (لؤي) و(نور) هيتصرفوا إزاي.

أتاها صوت (يوسف) ضاحكًا وهو يقول:

- ما تقفشيش كدا يا سوسو.. أنا لقيت (لؤي) بيتكلم في الموبايل.. أكيد اتصرف وفيه واحد صاحبه هييجي ياخدهم بعربيته.

- سوسو؟! ما تلم نفسك يا ابني!

- والله باحبك يا طنط.

ردت عليه في جدية:

- طب وريني شطارتك بقى يا عين طنط.. عشان أنا قلقانة جدًّا من الموضوع.. وحاسة بحاجة وحشة هتحصل قريب.

ولم تدرِ السيدة (سعاد) أن إحساسها كان في محله..

في محله جدًّا!

وفجأة أتاها صوت جرس المنزل فأنهت المكالمة فجأة، واتجهت للباب وفتحته فوجدت أمامها (مريم) عابسة الوجه وتقول في ضيق:

- لازم نتكلم.

- خير يا بنتي؟! ادخلي يا (مريم).

دخلت (مريم) بسرعة وأغلقت السيدة (سعاد) الباب ثم التفتت لها فوجدت (مريم) تقول:

- (نور) صاحبتي طلعت ما عملتش حاجة مع (أشرف).

رفعت والدة (لؤي) حاجبيها في دهشة قائلة:

- نعم؟! أُمال كنتِ بتكدبي عليَّ؟!

قالت (مريم) في توتر مدافعة عن نفسها:

- لا طبعًا.. بس هي طلعت كانت بتكدب عليَّ.. ما حصلش حاجة بينها وبين (أشرف) دا.

ردت عليها في استنكار:

- وتكدب عليكِ في حاجة زي كدا ليه؟

تلعثمت وهي تجيبها:

- كانت عاوزة ت... أقصد كانت بتختبرني.. أصلها كانت فاكرة إني معجبة بـ(أشرف) دا.

نظرت لها السيدة في فراسة، وتوترت (مريم) أمامها وخصوصًا عندما وضعت السيدة يدها على وسطها قائلة بسخرية لاذعة:

- لا يا حبيبتي!! أنا مش مختومة على قفايا.. انتِ جاية تغيري كلامك وبتكدبي عليَّ دلوقتي ما اعرفش ليه.. زي ما كدبتِ عليَّ امبارح وقلتِ لي كنتِ بتذاكري عندها.. أنا مش مستريحة لك ولا مستريحة لها.. وعارفة إن فيه حاجة كبير مخبيينها عليَّ!

حاولت (مريم) أن تتماسك وهي تقول في براءة مصطنعة:

- انتِ بتقولي إيه يا طنط.. أنا بس جاية لك أصحح لك المعلومة الغلط اللي كنت قايلهالك.. (نور) دي بنت كويسة والله!

ظهر الغضب على وجه والدة (لؤي) لأنه كان من الواضح جدًّا أن (مريم) تكذب، فقالت لها في عصبية:

- طالما مصممة تكدبي عليَّ يبقى اتفضلي من غير مطرود يا (مريم)!

اندفعت (مريم) ناحية الباب وفتحته ونزلت على درجات السلم سريعًا وهي مصدومة من هذه المقابلة التي لم تسِر على ما يرام كما كانت تتصور، وفجأة وجدت نفسها تصطدم بـ (كريم) الذي انتفض في رعب ودهشة وقال بصوت خرج منه بصعوبة:

- (مريم)!

كانا كلاهما في حالة يرثى لها حقًّا، ولم تعرف (مريم) ما تقول، أما (كريم) فنظر لها في تعاطف قائلًا:

- كنتِ بتعملي إيه عندنا؟! وعاملة كدا ليه؟!

حاولت (مريم) أن تنفض عن نفسها القلق والعصبية وقالت في هدوء:

- كنت باتكلم مع مامتك شوية.

- بتتكلمي معاها في إيه؟!

لم تجِبه (مريم) وانتبهت أخيرًا أن (كريم) يبدو عليه أنه محطم ومتهالك، فقالت له في قلق:

- انت اللي شكلك عامل كدا ليه؟!

ثم اقتربت منه لتقول بصوت خافت:

- عملتوا إيه عند الدجال؟!

رد عليها (كريم) في ضيق:

- ما لقيناهوش يا (مريم).

ونظر أرضًا وهو يكمل في حسرة ومرارة:

- كان نفسي أنقذك من اللعنة دي!

بلعت (مريم) ريقها في صعوبة وربتت كتفيه في حنان قائلة:

- دي مسؤوليتنا كلنا.

ومدت يدها ناحية ذقنه لترفع رأسه حتى تستطيع أن تنظر في عينيه قائلة في قوة:

- ما تشلش الهم لوحدك يا (كريم).. انت تعرف إنك أكتر شخص باحس وانا معاه إني متطمنة.. بحس إنك أكتر إنسان بتخاف عليَّ.

وابتسمت في حنان ثم تركته ونزلت على السلم منصرفة، تاركة (كريم) يقف على السلم في حيرة وسعادة وهو يتحسس ذقنه حيث شعر بأصابع (مريم)..

وفي بطء صعد السلم حتى وصل لباب شقته فضرب الباب، فوجد والدته تفتح الباب سريعًا، ولم تكد أن تراه حتى قالت في لهفة:

- (كريم).. انت كويس؟!

بالطبع اهتم ألا يجعلها تلاحظ أي شعور بالتوتر والحزن، ونظر لها في حيرة ودهشة قائلًا:

- آه كويس يا ماما.. في حاجة؟!

- لا يا حبيبي مافيش.

دخل (كريم) وطبع قبلة على خدها قائلًا:

- اتطمني عليَّ يا حبيبتي.

ثم دخل غرفته وأغلق خلفه الباب.. وظلت (سعاد) تنظر لباب غرفته وعقلها على وشك أن يصاب بالجنون من كثرة التفكير والقلق..

اولادها في ورطة كبيرة.. إنها تعرف هذا جيدًا..

ولكنها بالطبع لم تكن تدرك حجم الورطة!!

مر عليها دقائق هكذا حتى سمعت صوت الجرس، فنهضت من مقعدها قائلة في حنق:

- هو بيت دا ولا فندق!!

وفتحت باب المنزل فوجدت أمامها فتاة لا تعرفها مبتسمة وتقول في حماس:

- إزيك يا طنط (سعاد).... أنا (نرمين).

* * *

الهوا غلاب

بمجرد أن خرجت (مريم) من باب منزل (لؤي) و(كريم) اتجهت ناحية منزلها ولكنها لمحت (نرمين) في وسط زحام الشارع، فأصابتها الدهشة واتجهت ناحيتها قائلة:

- (نرمين)؟!

التفتت لها (نرمين) وتنهدت في راحة قائلة:

- كويس اني لقيتك.. أنا بقالي عشر دقايق واقفة محتارة هو دا بيتك ولا لا؟!

- أيوة يا بنتي دا بيتي.. إيه اللي جابك؟!

- دا بدل ماتقولي لي اتفضلي!

رفعت (مريم) أحد حاجبيها قائلة في سخرية:

- وهو انتِ يا (نرمين) بتستأذني عشان تعملي أي حاجة برضه؟!

ضحكت (نرمين) في ثقة قائلة:

- عندك حق!

ثم نظرت في جدية وقالت بصوت خافت:

- (مريم).. احنا في ورطة.

أومأت (مريم) برأسها موافقة وردت:

- جبتِ التايهة يا (نرمين)! ما احنا الستة عارفين!

- لا ما اقصدش احنا الستة.

- أُمال مين؟!

- أنا اقصد أنا وانتِ و(نور).. احنا كبنات!

- أيوة اشمعنى؟!

- عشان احنا ضعاف يا (مريم).. ما نقدرش نقتل بني آدم ونقوم بجريمة لوحدنا!

تحسست (مريم) "طرحتها" في حيرة وقالت:

- أيوة عندك حق.. بس إيه اللي هيخلينا نضطر نعمل كدا لوحدنا.. ما انتِ معاكِ (ممدوح).. و(نور) لو وافقت على الموضوع عندها (لؤي).. إنما أنا بقى!

ونظرت أرضًا في أسًى قائلة:

- إنما أنا ما عنديش حد!

أشاحت (نرمين) بيدها معترضة وقالت:

- ما تبقيش هبلة يا بنتي!

نظرت لها (مريم) في استغراب، فأكملت (نرمين) وهي تجذبها من يدها لتسير معها حتى لا يلفتا نظر الناس:

- طب دا انتِ أكتر واحد عندك واحد بيحبك!

- أنا؟!

- أيوة يا هبلة.. انتِ عندك (كريم).

شهقت (مريم) قائلة في دهشة بصوت مرتفع:

- (كريم)؟! انتِ بتقولي إيه؟!

وضعت (نرمين) صابع السبابة أمام شفتيها مشيرة لصديقتها بأن تصمت، وقالت في عصبية:

- هششش.. بس يا بت ما تفضحيناش!

ثم استعادت هدوءها لتكمل:

- ركزي معايا يا (مريم).. (كريم) مش بيعشقك بس.. دا بيعبدك.

- انتِ بتقولي إيه بس يا (نرمين)!

- تبقي هبلة لو مش واخدة بالك لحد دلوقتي.. دا مستعد يعمل أي حاجة عشانك.

أشارت (مريم) لنفسها قائلة في استنكار:

- عشاني أنا؟!

- آه والله.. شوفي.. بخبرتي كدا، في حاجة اسمها حب العبودية.. ودا الحب اللي بيحبهولك (كريم).

- حب عبودية؟! ازاي يعني؟!

- حب العبودية دا إن حياتك كلها ما يبقاش فيها غير الشخص اللي بتحبه.. حياتك متوقفة عليه حرفيًا.. هو الحاجة الوحيدة المهمة في حياتك.. وأي حاجة تانية في حياتك مهما كانت مهمة فانت بتعتبرها مجرد إضافة كويسة

مالهاش لازمة لو الحاجة الأساسية دي مش موجودة... حتى نجاحاتك وأهدافك وكل حاجة بتعملها فهي عشانه مش أكتر.. هو اللي مخليك لسا محافظ على عقلك وأخلاقك.. ولو اتاخد منك تتحول لمجنون وفاشل ومحطم ومجرم كمان وحياتك مالهاش لازمة ولا معنى... مستعد تضحي بكل حاجة تملكها وبكل شخص تملكه وتضحي بمبادئك نفسها عشانه من غير تردد.. قوانينك حتى اللي ممشي بيها حياتك فهدفها إنك ترضيه حتى لو هو مش شايفك فانت بتحاول تبقى زي ما هو يتمناك في غيابه! بتتخيله بيراقبك طول الوقت.. زي بالظبط علاقة المتدين مع ربه.. عشان كدا باسميها حب عبودية.

لم تصدق (مريم) ما تسمعه..

هل يحبها (كريم) لهذه الدرجة حقًّا؟!

ستكون غير منصفة إذا قالت أنها لم تلاحظ حبه لها من قبل، لكنها كانت تقنع نفسها بأنه مجرد اهتمام زائد أو علاقة أخوية..

نظرت لـ (نرمين) وقالت في هدوء:

- وإيه اقتراحك بقى يا (نرمين)؟

- رأيي إنك محتاجاه جدًّا.. خلينا واضحين ونتكلم بصراحة.. أنا ممكن آخد (ممدوح) ونسافر.. و(لؤي) و(نور) برضه ممكن ياخدوا بعض ويسافروا.. ولو افترقنا لمجموعات يبقى كل مجموعة ساعتها مضطرة تشيل ذنب قتيل لوحدها كل شهر.. بس طالما كل واحدة فينا معاها راجل يبقى ما عندهاش

حاجة تقلق منها.. والرجالة بيشيلوا الليلة كلها.. إنما ساعتها لما نفترق انتِ هتبقي مع مين؟! هتبقي لوحدك؟! هتقدري تعيشي وحيدة وكل شهر تقتلي؟!

قالت (مريم) في قلق حقيقي:

- أقتل؟! انتِ مجنونة؟! أنا باخاف اقتل صرصار!

تألقت عينا (نرمين) قائلة في حماس:

- يبقى تستغلي حبه ليكِ.. تبقي هبلة لو ضيعتِ راجل بيحبك قوي كدا يا (مريم).. خدي اللي بيحبك وبلاش تاخدي اللي بتحبيه.

وسكتت ثانية ثم أضافت في حزم:

- يعني سيبك من (لؤي)!

تسمرت (مريم) فجأة في مكانها، وأصابتها دهشة عارمة فهي لم تظن أبدًا أن أحدًا يعرف سر حبها لـ (لؤي)، فصاحت بها في غضب:

- ما تعديش حدودك يا (نرمين).

رفعت (نرمين) يديها في براءة مصطنعة وهي تقول:

- أنا بانصحك زي اختي بس!! خدي اللي بيحبك.

قالت لها (مريم) في لهجة صارمة:

- مش معنى انك عملتِ بالنصيحة دي وخدتِ اللي بيحبك يبقى تطبقيها عليَّ يا (نرمين).

ضغطت (نرمين) بأسنانها على شفتها السفلى في ضيق، بينما مالت (مريم) على أذن (نرمين) وقالت بصوت خافت ولكن صارم:

- مش كلنا عندنا زيك القدرة إننا نعيش حياتنا كلها ننافق!

ونظرت في عينيها بقوة قائلة بنفس اللهجة:

- خصوصًا لو حياتنا دي مستمرة للأبد!

ثم أعطت لها ظهرها وتركتها وحيدة تشعر بالغيظ فزفرت (نرمين) في ضجر مغمغمة:

- بكرة هتعرفي إن معايا حق.

واتجهت ناحية منزل (كريم) وصعدت السلالم وضربت جرس الشقة، ففتحت لها والدته تنظر لها في حيرة، فرسمت (نرمين) على وجهها ابتسامة وقالت متظاهرة بالحماس:

- إزيك يا طنط (سعاد).... أنا (نرمين).

- ماعلش مش فاكراكِ يا حبيبتي؟

- أنا صاحبة (لؤي) و(كريم).

ظهرت على (سعاد) ملامح الاستغراب، ولكنها قالت وهي تفسح لها الطريق:

- أهلًا بيكِ.. اتفضلي.

دخلت (نرمين) الشقة، ونظرت لباب غرفة (كريم) المغلق قائلة:

- هو (كريم) جوا؟

أغلقت والدة (كريم) باب الشقة وهي تجيبها:

- آه يا حبيبتي هو في الأوضة.. اقعدي استريحي عما....

بترت عبارتها عندما وجدت (نرمين) تفتح باب غرفة (كريم) بلا استئذان وتقول لها:

- لا شكرًا يا طنط أنا هادخل له.

ثم ابتسمت وهي تغمز لها مكملة:

- ما تقلقيش دا زي اخويا.

ودخلت الغرفة وأغلقت خلفها الباب، وظلت السيدة (سعاد) تحدق في باب الغرفة في دهشة كبيرة وقد أصابها الذهول..

* * *

هل بدأت (مريم) تشعر ببعض العاطفة تجاهه؟!

هل هذا حب في شهوره الأولى؟!

هل يمكن حقًّا أن تقع في غرامه يومًا؟!

كان السؤال في حد ذاته يهلل أساريره لمجرد أنه قد أصبح يطرحه على نفسه، فكان يتمايل في سعادة في غرفته رغم زيادة وزنه وربما نسي نهائيًّا أمر التعويذة، ولكن فجأة وجد (نرمين) تفتح باب الغرفة وتدخل وتغلق الباب خلفها، فرفع حاجبيه في دهشة كبيرة جدًّا وهتف:

- (نرمين)؟!!

تجاهلت (نرمين) دهشته تمامًا، وجلست فوق مكتب (كريم) المخصص للمذاكرة واضعة ساقًا على ساق، وقالت وهي تتأمل الغرفة الصغيرة:

- ما كنتش اعرف إن أوضتك انت و(لؤي) كيوت كدا.

عقد (كريم) حاجبيه مستنكرًا ما تفعله، وقال:

- انتِ بتعملي إيه هنا؟!

- قُلت آجي اتكلم معاك شوية أصل عاوزاك في حوار كدا.

- من إمتى وفي بيننا حوارات يا (نرمين)؟!

رفعت حاجبها الأيسر وهي تنظر له في تهكم وقالت:

- من ساعة ما هيبقى في بينْنَا دم يا عينيا!

توتر (كريم) وقال في عصبية:

- لاحظي إن أمي في الصالة وممكن تسمعك.. وبعدين حد الله بيني وبين الدم!

ابتسمت في خبث قائلة:

- بيتهيألي الحب اللي بينك وبين الدم!

لم يفهم إلى ماذا ترمي فقال في قلق:

- أفندم؟!

ردت عليه بنفس الابتسامة:

- يعني حبيبة قلبك يا (كريم).. (مريم).. الحتة الشمال.

ثم نظرت له في عينيه في جدية وهي تكمل مستعطفة إياه:

- هتسيب (مريم) تواجه العذاب دا لوحدها؟!

أصابت الجملة جسده بقشعريرة باردة جعلته يهتز في مكانه، ولكنه حاول أن يتماسك وهو يقول:

- هاقنعها إنها ما تشتركش معاكم في الدم.. وانها تكون مؤمنة زيي ونستنى قدرنا حتى لو كان الموت بعد شهر و...

بتر عبارته عندما وجد (نرمين) تضحك ساخرة بصوت عالٍ قائلة في استهزاء:

- يا واد يا مؤمن!!

ثم نظرت له في احتقار قائلة:

- قصدي يا جبان!

في تلك اللحظة تمكنت (نرمين) من التسلل لعقله بالفعل، وقد بدا عليه أنه لم يعد مقتنعًا بكلامه وهو يرد عليها:

- دا مش جبن إني أقرر ما اقتلش و..

قاطعته قائلة في صرامة:

- جبن انك تستسلم للموت.

صمت (كريم) ولم يستطع الرد، وشعرت (نرمين) أنها نجحت فيما تريد، فسكتت ثوانٍ لتتركه يعيد النظر فيما قاله، حتى رأت الندم في عينيه، فقالت في هدوء وحزم لتجعل اقتناعه يكتمل:

- (مريم) محتاجاك يا (كريم).. لو كنت راجل وتقدر تحميها وتقف جنبها يبقى لازم تثبت لها دا.

أومأ برأسه موافقًا على كلامها، وقال في رجاء:

- يا ريت ما تحكيش لـ (مريم) على الحوار اللي بينْنَا دا ولا إني كنت متردد و...

قاطعته (نرمين) للمرة الثالثة قائلة في ثقة:

- عيب عليك! ولا كأني جيت لك أصلًا!

ثم فجأة انتبهت لزر القميص الموضوع على المكتب الذي تجلس عليه فالتقطته ونظرت له عاقدة حاجبيها في استغراب وتساءلت:

- جالك منين دا؟

قال (كريم) في براءة:

- دا لقيته في بيت الدجال لما كنت مع (لؤي) و(نور) هناك الضهر.

رفعت عينيها تنظر له في عمق وقد اتسعت عيناها غير مصدقة ما يدور بخلدها، فقالت في استنكار وكأنها تخاطب نفسها:

- مش معقول!

لم يفهم (كريم) إلى ماذا ترمي، فنظر لها في حيرة وقال:

- إيه يا (نرمين)؟

قالت له في تردد وبطء:

- الزرار دا.. يبقى زرار من قميص (ممدوح)!

قال لها في دهشة:

- نعم؟!

ثم أخذ عقله يقوم ببعض الاستنتاجات ثم هتف:

- كان بيعمل إيه هناك عند الدجال من ورانا؟!

- الموضوع دا محتاج تفكير كويس قبل ما ناخد أي خطوة.

- مش يمكن كان هناك بيحاول يلاقي حل لكسر التعويذة زي ما انا و(لؤي) و(نور) رحنا.

- لا.. دا اتضايق لما عرف إنكم رحتو للدجال أساسًا!

- يبقى عشان خاف إننا كان ممكن نكشفه!

- بالظبط.. أنا لما رحت الفيلا الصبح كانت هدومه متوسخة وفيه زرار مخلوع من قميصه.. أنا متأكدة.

قالتها في شيء من الخوف، وعقد هو حاجبيه في توتر وقد أصابهم الحوار بتوتر شديد، ثم تساءل (كريم):

- يا ترى إيه اللي حصل؟! طب هو انتِ رحتِ له الفيلا إمتى؟

- الساعة 12 كدا.. ولاحظت إن فيه دم في شنطة عربيته.

أشار لها بسبابته وقال في حماس:

- آها.. يبقى وارد جدًّا إنه راح للدجال قبلنا أنا و(لؤي) و(نور) واتخانق مع الدجال... آه!! هناك لما كنت في الأوضة في بيت الدجال استنتجت إن فيه خناقة حصلت هناك.. أكيد (ممدوح)!

ظهر على وجهها قلق شديد وهزت كتفيها في حيرة مستفهمة:

- طب وليه؟! ليه (ممدوح) يخبي علينا إنه راح للدجال واتخانق معاه؟

- وإلا...

وصمت مفكرًا ونظرت له (نرمين) في لهفة واهتمام وتوتر في نفس الوقت، حتى أكمل كلامه قائلًا:

- وإلا كان مخبي حاجة علينا يا (نرمين)!

- زي إيه؟!

- (ممدوح) هو اللي اقترح أصلًا فكرة إننا نروح للدجال من البداية.. وهو برضه اللي راح لوحده اليوم التاني بحجة إنه يلاقي الخاتم بتاعك ويومها عرف كل حاجة تخص التعويذة!

- تقصد إن يمكن (ممدوح) يكون له علاقة بكل حاجة حصلت لنا؟

- ليه لأ؟ ممكن يكون هو اللي ورا كل حاجة!

لم تعرف ماذا تقول وقد أطلقت لخيالها العنان فوجدت نفسها تتخيل بعض السيناريوهات المرعبة، حتى تذكرت شيئًا هامًّا فقالت:

- استنى.. (ممدوح) كان مخبي حاجة في البدروم ما كانش عايزني اشوفها.. انا متأكدة إن الحاجة دي هتخلينا نفهم السر اللي مخبيه (ممدوح).

رد عليها (كريم) وهو يحك ذقنه مفكرًا:

- هيكون مخبي إيه يعني في البدروم؟

كانت (نرمين) تداعب شعرها في توتر وهي تفكر أيضًا، ثم فجأة أشارت له وهتفت:

- أو مخبي مين!

قال محاولًا أن يساير استنتاجاتها:

- تفتكري خاطف شخص مثلًا؟!

قالت هي وقد بدا عليها أنها ربطت كل الخيوط ببعضها:

- أيوة.. هو راح للدجال الصبح قبلكم.. اتخانق معاه وعشان كدا انت بتقول كان واضح إن فيه خناقة في بيت الدجال.. وأثناء الشكلة في زرار اتخلع من قميص (ممدوح).. الزرار اللي انت لقيته.. وأخيرًا قدر ممدوح فعلًا إنه يخطف الدجال في شنطة العربية بطريقة ما! ودا يفسر الدم اللي لقيته في شنطة العربية لإن أكيد الدجال كان اتجرح من الخناقة.. وبعدها (ممدوح) ربطه وحبسه في البدروم.. لما ساعتها أنا رحت له الفيلا.

قال (كريم) مصدومًا:

- يا نهار! يبقى احنا لازم ندخل البدروم من غير ما (ممدوح) يكشفنا ونحرر الدجال وساعتها هنفهم منه سر (ممدوح).

أومأت برأسها قائلة:

- بالظبط كدا.. ومش هنقول لحد تاني.. الموضوع دا موضوعنا أنا وانت بس يا (كريم)!

دوى صوت هاتف (نرمين) فأمسكت الموبايل ونظرت للاسم، ثم رفعت نظرها لـ (كريم) قائلة في توتر:

- دا (ممدوح).

ظهر عليه القلق وهو يقول:

- ردي عليه.

فعلت (نرمين) ما أمرها به وقالت عبر الهاتف:

- دوحة.. ازيك يا حبيبي؟!

أتاها صوته يقول:

- أنا في العربية اهو ومعايا (لؤي) و(نور) ورايحين على الفيلا.. عملتِ إيه؟!

- كله تمام.. وانا هاجيب (كريم) و(مريم) وهنجيلكم.. سلام.

وأنهت المكالمة ونظرت لـ (كريم)، وقالت في حيرة:

- حاسة إني خايفة منه.. مش عارفة اتعامل معاه ازاي!

أما (كريم) فلم يهمه ما قالته، وابتسم قائلًا في فضول ولهفة:

- بتقولي (مريم) هتيجي معانا واحنا رايحين الفيلا؟! هنقابلها دلوقتي؟!

نظرت له في عصبية ولم تجبه، ولكنها أدركت أن الأمور تزداد صعوبة، وأدركت أيضًا أن الأيام القادمة ستكون خطيرة بشكل لم يواجهوا مثله من قبل..

خطيرة إلى أقصى حد ممكن!

* * *

أيقتل حبيبك من أجلك؟!

* * *

العصابة

ساد الصمت على أبطالنا الستة كالمعتاد في صالة الفيلا، وكانوا جميعًا جالسين ينظرون أرضًا يفكرون في عمق ماعدا (لؤي) الذي كان ينظر لأخيه في غضب، ولكن (كريم) تحاشى النظر له لأنه شعر حقًّا بالخجل منه، وكسرت (نور) حاجز الصمت عند قولها:

- اسمه (وائل).. صح؟!

التفت لها (لؤي) في بطء وأومأ برأسه قائلًا:

- آه.. هو دا.

قالت (نرمين):

- طيب يا (لؤي).. ودا هنوصله إزاي؟!

صوب (لؤي) سبابته ناحية (ممدوح) قائلًا:

- بـ (ممدوح).

أشار (ممدوح) لنفسه في تعجب وقال:

- إشمعنى أنا؟!

- لإنك تشبه معظم الزباين اللي كنا بنوزع عليهم المخدرات.. غالبًا الزبون بيكون غني جدًّا وشكله محترم لكن في نفس الوقت صاحب مزاج أو بيحب يضيع فلوس.. ما انت عارف يا دوحة.. اللي معاه قرش محيره!

رد عليه (ممدوح) في جدية:

- والمطلوب مني؟!

نهض (لؤي) واقفًا وظهرت فيه روح القيادة وهو يقول مخاطبًا الجميع:

- (وائل) أنا عارف كويس هنوصله فين.. والخطة دي هنفذها الأسبوع اللي جاي.. في يوم خطوبة (ممدوح) على (نرمين) عشان لو البوليس شك فينا يبقى معانا كلنا دليل إننا كنا في اليوم دا كلنا مشغولين في الخطوبة.. المهم في دكتور عيون أنا كنت المسؤول عن توصيل الطلب له.. ودلوقتي أكيد (وائل) بقى هو المسؤول عن دا.. المفروض معاد التوزيع بيكون بين العصر والمغرب كدا.. أنا هاقف هناك في مكان مش مرئي زي مثلًا سطح عمارة تانية.. واراقب العمارة اللي فيها عيادة الدكتور لحد ما أشوف (وائل) داخلها.. وهنا ييجي دور (ممدوح).

وأخذ يكمل الخطة التي نالت إعجابهم حقًّا وأقنعتهم، فضمان نجاحها يكمن في بساطتها، حتى تساءل (كريم) في النهاية:

- تمام.. وهنعمل الكلام دا إمتى؟

التفت له (لؤي) وقال في حدة:

- انت ما تتكلمش.

توتر (كريم) وقال معترضًا:

- ودا من إيه دا؟!

صاح به أخيه:

- دا انت طلعت عيني عند بيت الدجال بكلامك!! سميت بدني يا جدع!!

قال (كريم) مدافعًا عن نفسه:

- أنا ما قلتش حاجة غلط!

اقترب منه (لؤي) في غضب وهتف به وكان الجميع يراقب الموقف في توتر:

- بالظبط.. انت كنت الصح.. وانا اللي كنت غلط.. وما اقدرش اعترض لأني قلت انك صاحب مبدأ.. أخويا الكبير ومتدين وعايز يقابل ربنا نضيف.. وانا اللي وسخ.. ماعلش.. إنما انت هنا دلوقتي بتعمل إيه؟! غيرت رأيك ليه؟! حسستني ليه إنك أحسن مني بقى؟

ظهر على (كريم) الخوف من أخيه حقًّا لأنه يعلم بداخله أنه مخطئ، ولكنه أصر أن يدافع عن نفسه فقال:

- مش أحسن ما ابقى قاتل بالفطرة زيك كدا.. الموضوع ما خدش منك ثانيتين تفكير وكنت موافق تقتل عشان تعيش! دا انت حتى جازفت بموت (ممدوح) صاحبك في ساعتها.. بس انا المفروض ما استغربش أصلًا.. ما انت كنت شغال مع تاجر مخدرات.. ودلوقتي اهو واقف تشرح لنا خطة القتل ولا أجدع زعيم عصابة!

قال (لؤي) ساخرًا:

- خد مني ثانيتين وخد منك يومين؟! فرقت إيه؟! كلنا زي بعض يا حبي! كلنا مصيرنا جهنم في النهاية!

ثم صمت لحظة، وقال له في لهجة مستفزة:

- بس انا عارف إيه اللي خلاك تغير رأيك.

ثم أكمل بنفس اللهجة:

- صحيح.. الهوا غلاب!

نهض (كريم) من مكانه في غضب، وصاح:

- أنا ما كنتش أعرف إنك بالوساخة دي!

نهضت (نور) وكذلك (مريم) من مكانهما لأنهما خشيا أن يصل خلافهما للعنف، وقال (لؤي) في عصبية:

- انت أوسخ مني بكتير.. بتقول إني باقتل عشان اعيش؟! اعتبره دفاع عن النفس.. من وجهة نظري أنا كدا مش مجرم! انما انت بتقتل ليه.. عشان تعلا في نظر حبيبتك؟! يلعن أبو دا حب يا عم!

دفعه (كريم) في صدره بقوة لدرجة أن (لؤي) كاد يقع ولكنه تمالك نفسه ورد على أخيه بضربة قوية في فكه جعلته يقع مصطدمًا بالمقعد ووقع به، فشهقت (نور) وصرخت (مريم) في فزع، واندفع (ممدوح) يمسك بـ (لؤي) ليمنعه من فعل شيء قد يندم عليه، بينما ظلت (نرمين) تشاهد الموقف في اهتمام وشيء من الاستمتاع، وفي غضب هائل نهض (كريم) من وقعته وقفز فوق (لؤي) فوقع معه أرضًا ثم ضربه في وجهه حتى سال الدم من شفتيه، فحاول (ممدوح) أن يرفع (كريم) من فوق أخيه لكن وزنه لم يكن خفيفًا، وصرخت (نور) ولم تتحكم في أعصابها:

- بااااس.. كفاااية!

ولكن (لؤي) أطاح بأخيه بضربة قوية من قدمه جعلته يتأوه ويلقي بجسده بجواره فنهض (لؤي) ونظر لـ (كريم) الملقى أرضًا، وقال (لؤي) وهو يحاول أن يلتقط أنفاسه:

- كفاية عليك كدا.

وكان الجميع ينظر للموقف في صدمة، ونظر (كريم) لـ (لؤي) في امتعاض، بينما قال له (لؤي) في سخط وهو يبصق أرضًا بعض الدم الذي امتلأ به فمه:

- انت اتنازلت عن جزء من مبادئك.. لكن التنازل بيجيب تنازل.. وتدريجيًّا هتلاقي نفسك بقيت إنسان كنت بتحتقره زمان!

قالها وغادرهم ذاهبًا لحديقة الفيلا وظل الباقي في الصالة ينظر لـ (كريم) دون أن ينطق أحد، بينما نظر (كريم) لـ (مريم) نظرة طويلة في صمت..

صمت كان أبلغ من الكلام..

* * *

بعد مرور عشرة أيام.. السبت.. الثامن والعشرون من يناير..

مرتديًا بدلة غالية كان يقود (ممدوح) سيارته الفخمة وحيدًا وكان أشبه برجال الأعمال الأغنياء جدًّا، ثم توقف بسيارته أمام عمارة عالية ولم يخرج منها وقال:

- ها إيه النظام؟!

عبر سماعة البلوتوث الذي يضعها في أذنه انتقل صوته للطرف الآخر الذي رد عليه قائلًا:

- خليك زي ما انت.. احتمال الموضوع يطول.

رد عليه (ممدوح) وهو يمط شفتيه في ملل:

- الملل الحقيقي هو إننا خالدين ومضطرين نعمل كدا كل شهر!

ضحك الطرف الآخر الذي لم يكن سوى (لؤي) وقال:

- أوعدك بالليل لما نرجع الفيلا هاعوضك عن الملل دا.. ممكن أنا وانت نتخانق بالسكاكين مثلًا على سبيل الهزار.. ونقتل بعض بقى وكدا.

ضحك (ممدوح) قائلًا في تهكم:

- انت شكلك استحليت موضوع انك تقتلني!

فجأة أتاه صوت (لؤي) يقول في سرعة وجدية:

- (وائل) أهو!

وقتها كان (لؤي) فوق سطح عمارة أخرى مرتفعة ويراقب جيدًا الشارع، واستندت (نور) على السور وتساءلت:

- هو فين (وائل) دا؟!

لم ينتبه (لؤي) لما قالته، وقال لـ (ممدوح) عبر الهاتف:

- شايف الشاب اللي لابس بنطلون كحلي وقميص لبني وداخل العمارة أهو؟! هو دا.

أتاه صوت (ممدوح) يقول في اهتمام:

- آه خدت بالي منه.. تمام جدًّا!

قالت (نرمين) لـ (لؤي):

- تفتكر (ممدوح) هيعرف يتصرف؟!

التفت لها (لؤي) قائلًا:

- كلنا معتمدين على دا!

وبعد عدة دقائق نظر الخمسة جيدًا من هذا الارتفاع ليشاهدوا (ممدوح) يخرج من سيارته ويعدل ياقته، ثم تحرك في ثقة ناحية العمارة التي كان يخرج منها (وائل) لحظتها ليصطدم به (ممدوح) عمدًا، فصاح (وائل) به:

- متحاسب يا أخينا!

التفت له (ممدوح) وقال في لهجة حاول أن يظهر بها بعض الغرور:

- انت اللي في طريقي!

ثم نظر له (ممدوح) باهتمام وكأنه لاحظ شيئًا وقال له:

- هو انت (وائل)؟!

توتر (وائل) قليلًا وقال له وهو يتفحصه بنظره:

- انت تعرفني؟!

- آه شُفتك قبل كدا عند دكتور (حسين) صاحبي.. انت نازل من عنده صح؟!

أومأ (وائل) برأسه وهم على الانصراف، ولكن (ممدوح) أمسك به وقال:

- اصبر بس.. مش انت بتاع ال..

قاطعه (وئل) هاتفًا:

- بس يا عم انت هتفضحنا ولا إيه؟! سيبني أمشي!

ضحك (ممدوح) وقال:

- ما تخافش يا ابني.. ما انا لو عايز أفضحك كان زماني فضحتك.. دا الدكتور صاحبي وجربت معاه آخر بضاعة جبتها له وعجبتني جدًّا! أنا عايز منها.. هات لي رقمك!

بدأ (وائل) يطمئن قليلًا ثم قال في شك:

- وهو الدكتور (حسين) طلبه بيكون إيه؟!

توتر (ممدوح) لأنه لم يعرف بالطبع، ولكن (لؤي) الذي كان يستمع للحوار أنقذه وأخبره سريعًا عبر سماعة البلوتوث، فردد (ممدوح) ما قاله له (لؤي)، فعندما سمع (وائل) طلب الدكتور صحيحًا اطمأن قلبه تمامًا وتنهد في راحة قائلًا:

- اديني عنوان شغلك اللي هاجي لك عليه.

أخبره (ممدوح) بعنوان الفيلا، فعقد (وائل) حاجبيه معترضًا وقال:

- فيلا؟! لا أنا مش باروح أماكن سكن.. أنا باوزع على أماكن شغل وبس.. النظام كدا.

لم يدر (ممدوح) ما يقول وانتظر حتى يُملي (لؤي) عليه عبر السماعة بحل، وبعد ثوانٍ أتاه صوت (لؤي) يقول:

- ادي لُه أي عنوان!

فقال (ممدوح):

- طب تعالى مكتبي يوم الخميس اللي جاي في أي وقت!

- وعنوان مكتبك؟!

أخبره (ممدوح) بأول ما خطر على باله قائلًا:

- شارع النخلة العمارة رقم 15.. الشقة اللي في الدور السابع!

- انت متأكد إن دا مكان شغل مش سكن برضه؟!

- آه طبعًا.. الشقة دي مش سكن.. دي مكتبي.

- عيادة يعني ولا مكتب دعاية ولا إيه دا؟!

لم يدر (ممدوح) بما يجيب فغمز له قائلًا:

- لما هتيجي هتعرف!

نظر له (وائل) في حيرة، وفوق سطح العمارة الأخرى قالت (مريم) ساخرة وهم يسمعون الحوار عبر مكبر الصوت في هاتف (لؤي):

- لما هتيجي هتعرف؟! هو (ممدوح) اتهبل يا جدعان؟!

ضحك (كريم)، بينما قالت (نرمين):

- طب وهو إيه الجديد يعني؟!

وقتها انصرف (وائل) تاركًا (ممدوح) الذي قال لـ (لؤي):

- ها.. إيه رأيك؟!

أتاه صوت (لؤي) في السماعة يقول ضاحكًا:

- جميل جميل.. لبستنا كلنا في الحيط يا (ممدوح).

عقد (ممدوح) حاجبيه في حنق وقال مدافعًا عن نفسه:

- طب وكان المفروض أعمل إيه يعني؟! أقول له أنا ما باشتغلش واسيبه يمشي؟!

رد عليه (لؤي):

- لا بيتهيألي انت اتصرفت صح.. يا ريت بقى الحظ يخدمنا والعنوان اللي انت ألفته دا يطلع موجود بجد.

قال (ممدوح):

- أنا عارف شارع النخلة.. وأكيد فيه عمارة رقم 15 وفيها دور سابع!!

قال (لؤي) في جدية:

- تمام.. بس كدا المهمة بقت صعبة جدًّا.. ربنا يسترها معانا!!

* * *

البداية

وهكذا بدأت روايتنا..

بدأت بعد مرور أسبوعين من ذهابهم للدجال وانقلاب حياتهم رأسًا على عقب.. والآن قد نسوا شعور أن تحيا حياة طبيعية وأصبح هذا الأمر بالنسبة لهم نوعًا من الرفاهية!!

بدأت الرواية هنا في هذا الطقس الممطر، أسفل العمارة رقم خمسة عشر في شارع النخلة، حيث وقف أبطالنا الستة وبدا عليهم التوتر وقال (كريم):

- هو ليه لازم نطلع كلنا؟!

ردت عليه (نرمين):

- عشان لو اتكشفنا يبقى نقع كلنا!

رد عليها في عصبية:

- يعني هو لو اتقبض عليكم يا (نرمين) من غير ما اكون معاكم هاعرف أخلع منكم مثلًا؟ ما انتو كدا كدا هتجيبوا سيرتي ورجلي هتيجي في الموضوع!

وفي جدية قال (لؤي):

- المهم دلوقتي.. لازم نقنعهم بالقصة اللي اتفقنا عليها.. تمام؟!

نظر له (ممدوح) الذي كان يرتدي بدلة وقال:

- أنا حافظ كويس الكلام اللي هاقوله.

ونظر لـ (نرمين) وابتسم قائلًا:

- البركة في الأستاذة اللي ألفت القصة الغريبة دي.

ردت عليه (نرمين) ضاحكة:

- هيقتنعوا بالقصة وهتشوفوا كلكوا إني أستاذة فعلًا!

قالت (مريم) في سخرية:

- كلنا عارفين كويس إن ما حدش يقدر ينافسك في الشر يا أستاذة!

قالت (نور) في توتر:

- أنا مش مصدقة اللي احنا بنعمله دا.

التفتت لها (نرمين) قائلة:

- المفروض أنا يا (نور) اللي أبقى مش مصدقة.. أنا اللي خطوبتي يوم الخميس اللي جاي.. وبدل ما اكون مشغولة في تجهيزات الخطوبة عمالة أخطط معاكم لجريمة!

قال (لؤي) في حزم:

- المفروض نطلع يلا.

دخلوا الستة العمارة وكان في المؤخرة (كريم) و(نرمين) وتبادلا نظرة غامضة، ومالت عليه (نمرين) وهمست في أذنه دون أن ينتبه أحد لهما:

- أنا عرفت هو محتفظ بمفتاح البدروم فين.

رد عليها في حماس ولكن بصوت خافت:

- أخيرًا! فين بقى؟!

أجابته بسرعة:

- في الخزنة اللي محتفظ بيها بمسدس أبوه.

زفر في ضيق وقال:

- طيب وإيه الحل؟! هنوصل للمفتاح إزاي؟!

لم تستطع أن تجاوبه، لأنهم ركبوا الأسانسير جميعًا، وضغطت (نور) زر رقم سبعة، وبعد وصولهم ضرب (لؤي) جرس الشقة الوحيدة في هذا الطابق، وبعد ثوانٍ فتح لهم الأب ونظر لهم في حيرة وقال:

- أفندم؟!

رد عليه (ممدوح):

- بعد إذن حضرتك عاوزينك في موضوع مهم.

وبعد حوالي نصف ساعة من المناقشة التي دارت بين أبطالنا الستة وأفراد الأسرة الأربعة هتف الأب في دهشة:

- اتنين مليون؟!

ابتسم (ممدوح) الجالس ممسكًا بيد (نرمين) قائلًا:

- زي ما قلت لك يا افندم.. هتبقى عملت خدمة كبيرة جدًّا لينا.. وجمعت بين قلبين.. وكمان تبقى فدت عيلتك لإن بالمبلغ دا تقدر تشتري شقة أحسن من دي بكتير!

ظل الأب ينظر لأسرته غير مصدق، ثم نظر للستة قائلًا:

- وأضمن منين إنكم مش نصابين؟!

رد عليه (لؤي):

- اختار بنفسك محامي عشان يضمن لك إننا مش هناكل حقك ولا هنكدب عليك.. وكمان هندفع لك أتعاب المحامي اللي هتختاره.. بس عندنا شرط واحد بس.

تساءل الأب:

- شرط إيه؟!

أجابه (ممدوح) في صرامه وقد أدرك أن الأب قد بدأ يستجيب له:

- إن الشقة تبقى ملكي بالكتير بعد بكرة.. قبل يوم التلات الشقة تبقى ملكي وتكون انت وعيلتك وعفشك ما لكوش أثر في الشقة.. عشان ألحق أجهزها قبل فرحنا... دا الفرح يوم الخميس باقول لك! آمين؟

* * *

الثلاثاء.. الثلاثون من يناير..

والآن في صالة الفيلا اجتمع أفراد الشلة الستة أو دعنا نقول هذه المرة أفراد العصابة الستة!!

وقالت (نور) في دهشة وهي تنظر لـ (لؤي) الذي كان واقفًا ممسكًا بكأس من الخمر:

- انت بتقول إيه؟! عايزهم يتجوزوا فعلًا يوم الخميس؟! اللي هو بعد بكرة؟!

هز (لؤي) كتفيه وقال في بساطة وهو يرتشف من الكأس:

- إيه المانع؟! بدل الخطوبة يخلوها فرح ودخلة على طول!

ضاقت عينا (نرمين) وهي تحاول أن تتدارك ما يقوله (لؤي)، بينما نظر (ممدوح) لها مبتسمًا وقال:

- إيه رأيك يا نرمينتي؟!

ابتسمت ونظرت أرضًا وأومأت موافقه في حياء، على الرغم أنها بداخلها لم تكن سعيدة لهذا القرار لأن زواجها منه شيء لا ترغب به ولكنها تحتاجه، وهي لم تظن أبدًا أنها ستضطر لفعل هذا بعد يومين فقط!!

صفق (لؤي) في حماس، ونظر لـ (نور) وغمز لها قائلًا:

- عقبالنا يا حبيبتي!

فاقتربت منه في حب ووقفت بجواره فوضع يده على كتفها وضمها له، أما (ممدوح) فاندفع في سعادة ناحية (نرمين) واحتضنها فضحكت هي في دلال وصاح هو في فرحة:

- هاتجوزك يا أجمل حاجة في الكون!

أما (كريم) فابتسم على الرغم منه عندما شاهد تلك اللحظة العاطفية، والتفت ينظر في حب وشغف لـ (مريم) الواقفة بجواره، لكن هذا تحول لخيبة أمل وشعر أن قلبه يتألم عندما وجدها غير منتبهة له وتنظر في حسرة وغيرة لـ (لؤي) و(نور).. شعر أن الزمن توقف به..

إنها لا تشعر حتى بوجوده!!

آلمه هذا حقًّا لدرجة أنه شعر أن تلك الثانية مرت عليه وكأنها عمر كامل من العذاب، ولم يتحمل الموقف فغادر المكان فجأة وخرج لجنينة الفيلا وجلس وحيدًا فوق المقعد الكبير الموجود وأخذ يفكر في أسى..

فطوال الأسبوع الماضي كانت (مريم) تعامله بلطف وشعر من ناحيتها بحب حقيقي، وعندما أمسكت يده من يومين كانت هذه بلا مبالغة أسعد لحظة في حياته البائسة!

ولكن الآن يشعر أنها لم تكف أبدًا عن التفكير في (لؤي).. هل هي تحب أخيه؟! هل هو يجري وراء سراب بمنتهى الغباء؟! سراب بالطبع لن يصل أبدًا له!! لا يوجد شيء من الأصل ليصل له!!

لماذا سيقتل إذًا؟! فالخلود ليس له معنى بدون (مريم)!!

- (كريم).

انتفض فجأة في جزع عندما سمع صوت (مريم) تنادي عليه والتفت لها ونظر لوجهها الذي يعشقه بحجابها الجميل قائلًا:

- نعم؟!

وضعت يدها على كتفه وقالت مبتسمة في حنان:

- خرجت للجنينة فجأة ليه؟!

قال في ضيق:

- اللحظه كانت مؤثرة شوية بس!

ابتسمت له وقالت في تعاطف:

- فعلًا عندك حق.

ثم قالت في شيء من الحماس:

- دول قلبوها حفلة جوا وبيشربوا خمرا دلوقتي!

ضحك (كريم) في أسًى وتهكم، وقال:

- وإيه الجديد يعني؟ ما طول عمرهم بيشربوا.

قالت له (مريم) لتدهشه:

- الجديد إن (نور) شربت معاهم!

رفع نظره لها في دهشة وقال:

- بجد؟!

أومأت برأسها قائلة وهي تهز كتفيها في استسلام:

- ما اقدرش ألومها.. واحدة خلاص موافقة تقتل بعد يومين.. حقها تشرب بقى عشان تنسى! ما هي خربانة خربانة بقى يا دكتور!

لم يستطع أن يجادلها بالطبع، فماذا بعد القتل؟!

ووجدها تجلس بجواره ونظرت للقمر في السماء قائلة في سخرية لاذعة:

- تقريبًا كدا شلتنا هتعيش خلود سعيد.. كل اتنين مع بعض.

وخبطت كتفه بكتفها في خفة وضحكت قائلة:

- مش ناقص غيرنا.

التفت لها فجأة في حدة ولم يصدق ما سمعته أذناه، وشعرت هي بالتوتر حقًّا من نظرته المبهمة وظل الموقف جامدًا هكذا قليلًا قبل أن يقول لها في سرعة:

- تفتكري ممكن دا يحصل فعلًا؟!

كان هذا بالتحديد ما ترغب في سماعه حتى أنها وجدت نفسها تبتسم في نشوة ونصر، ولكنها حولتها عن عمد لابتسامة حب اصطنعتها وهي تقول:

- ما فيش مستحيل.. كل شيء ممكن يحصل.

ثم نهضت وهي تنظر في عينيه قائلة:

- دا احنا قدامنا المستقبل كله.. المستقبل كله حرفيًّا.

وغمزت له وضحكت في رقة وتركته وحيدًا حائرًا لا يفهم شيئًا على الاطلاق!!

* * *

ماذا لو أنك مع غرباء في سفينة تغرق ولا أحد منكم يعرف السباحة، والحل الوحيد لتنجو بروحك هو أن تظل تضغط على أكتاف من حولك ليغرقوا وتعيش أنت؟!

أتختار نفسك؟!

* * *

الجريمة

- ما تنسيش الفرح النهاردا يا ماما.. قبل الساعة تسعة تبقي هناك.

في الخميس الأول من فبراير قالها (لؤي) بعدما احتضن أمه وقبل يدها كعادته في كل صباح، فابتسمت له السيدة (سعاد) في امتنان، ثم تساءلت:

- وليه مش هتعدي تاخدني؟! هتسيبني أروح لوحدي ليه؟

- ماهو أصلي هاكون مع العريس يا ماما.. (ممدوح) أقرب صاحب ليَّ ما انتِ عارفة.. ما ينفعش أسيبه في وقت زي دا.. أنا حتى نازل رايح له أهو.

- وبعدين فرح إيه! هي مش كانت خطوبة؟!

- لا ما هو (ممدوح) و(نرمين) غيروا رأيهم!

- (نرمين) دي بت كدا مش مظبوطة.. دي جات هنا من حوالي أسبوع ودخلت على أخوك الأوضة عادي كدا.. دي إيه قلة الأدب دي!

ضحك (لؤي) قائلًا:

- هي كدا يا ماما.. ما حدش يقدر لها.

ابتسمت قائلة في سخرية:

- ربنا يكون في عون (ممدوح) صاحبك النهار دا!

رفع (لؤي) حاجبيه مداعبًا أمه فضحكت، ثم سألته في فضول:

- وهو أبو (نرمين) وامها وافقوا كدا عادي إن الخطوبة تبقى فرح؟!

أومأ برأسه قائلًا:

- آه يا ماما.. أساسًا مامتها ماتت وهي طفلة بالسرطان.. وابوها راجل خمورجي وكان بيعاملها وحش قوي وهي طفلة لحد دخولها الجامعة.. فكدا كدا ما صدق بقى إنه يخلص منها خصوصًا لراجل غني عشان يستلوح عليه! مهما حكت لك عن وساخة أبوها مش هتصدقي!

هتفت السيدة (سعاد) في استنكار:

- أعوذ بالله! خمورجي؟!

ساير أمه هاتفًا في استنكار مماثل لها:

- تخيلي يا ماما؟!

وتذكر لوهلة كيف شرب أمس مع (نور) و(ممدوح) و(نرمين) حتى الثمالة، ولكنه بالطبع نفض هذه الأفكار سريعًا عن باله لأنه يخشى أن تشعر بها والدته التي قالت:

- أما حكت لي عن ظروفها صعبت عليَّ والله.

- آه طبعًا يا ماما أُمال إيه! (نرمين) دي بنت غلبانة.

- لا مش لدرجة غلبانة يعني.

- هو آه فعلًا مش لدرجة غلبانة! عندك حق في دي.

- ومالهاش اخوات؟

- ليها (علي) أخوها الصغير في الثانوية العامة.. ودا بقى حياتها كلها.. بتحبه بجد وبتخاف عليه قوي.

- هي ساكنة فين يا (لؤي)؟

أخبرها (لؤي) بعنوان سكنها، وهنا خرج (كريم) من غرفته للصالة حيث كانت والدته وأخيه، فقال:

- صباح الخير.

ردت عليه (سعاد) وهي تتفحصه بنظرها:

- صباح النور يا دكتور! لابس كدا متشيك زي أخوك ورايح فين؟!

- رايح مع أخويا.

- ورايح مع (لؤي) ليه؟!

- ماهو (ممدوح) صاحبي برضه يا ماما!

- بس مش لدرجة إنك تبقى معاه من أول اليوم كدا!

قال (لؤي):

- (ممدوح) مالهوش صحاب غيرنا يا ماما.. ولازم نبقى جنبه من أول اليوم.

والتفت لأخيه قائلًا:

- ها يا ابني جاهز عشان ننزل؟!

أتاهم صوت طرقات على باب المنزل، فتساءل (كريم) في حيرة:

- مين اللي جاي لنا الصبح كدا؟!

اتجه (لؤي) ناحية باب المنزل ليفتحه، ولكن أمه اندفعت لتسبقه وقامت هي بفتح الباب فوجدوا أمامهم (يوسف) ذلك الشاب الصغير الوسيم وظهر عليه التوتر عندما وقع بصره على (لؤي) و(كريم)، وقال:

- السلام عليكم.

ابتسم (لؤي) وأقبل عليه ليحتضنه وقال في حب:

- إزيك ياض عامل إيه؟!

فضحك (يوسف) قائلًا:

- الحمد لله يا (لؤي).. ثانوية عامة والعيشة مرة.

قال له (كريم) في سخرية:

- طب ادخل احكي لي عن الاغتصاب اللي انت فيه!

دخل (يوسف) وضحك قائلًا:

- آه والله.. وهو اغتصاب بعقل؟!

ابتسمت السيدة (سعاد) وقد أعجبها أن (يوسف) تعامل مع الموقف ببساطة، لأنها لم ترد أبدًا أن يعرف أولادها ما تفعله مع (يوسف) وأنها ترسله ليراقبهم ويأتي لها بأخبارهم.. ستكون مشكلة إذا عرفا بهذا الأمر!

- وإيه اللي فكرك بينا يا سيدي؟

قالها (لؤي) لـ (يوسف) الذي أجابه وهو مبتسم:

- وحشتوني قُلت آجي أسلم عليكم.

قال (كريم) في حماس:

- طب لو فاضي تعالي معانا بالليل الفرح.. واحد صاحبنا فرحه النهاردا.. تعالى ارقص وفرفش شوية من كبت الثانوية.

نظر (يوسف) للسيدة (سعاد) قبل أن يجيب فوجدها تهز رأسها في بطء مشيرة له بأن يوافق فقال:

- خلاص تمام ماشي.

التفت (لؤي) لأمه قائلًا:

- كدا مش هتيجي لوحدك اهو يا ستي.. (يوسف) هيعدي عليكِ الساعة 8 وتيجوا سوى الفرح.

قال (يوسف) في حماس:

- قشطة جدًّا.

نهض (لؤي) و(كريم)، مودعين:

- سلام بقى احنا نازلين.

رد (يوسف) عليه السلام، وغادر (لؤي) مع (كريم) تاركين والدتهم مع (يوسف) الذي قال لها:

- دا فرح (ممدوح) و(نرمين) مش كدا؟!

ردت عليه السيدة وهي تنظر له في شرود:

- آه.. وفيه حاجة غريبة جدًّا في الموضوع دا.

سألها في اهتمام:

- حاجة إيه؟!

أجابته في عصبية لأنها لا تجد إجابة لكل هذه الألغاز:

- أولًا المفروض إنها كانت خطوبة وخلوها فرح فجأة كدا من غير سبب واضح.. ثانيًا (لؤي) و(كريم) نازلين من دلوقتي بحجة إنهم يبقوا مع صاحبهم من أول اليوم ودي حاجة مش حاساها طبيعية.. ثالثًا (ممدوح) دا غني وعنده فيلا وعايش فيها لوحده.. ليه بقى يتجوز في شقة كدا عادية في شارع النخلة؟!

- وعرفتِ منين إنهم هيتجوزوا هناك؟!

- (لؤي) اللي قال لي.

هتف (يوسف) وقد انتبه لأمر هام:

- دي الشقة اللي كانوا فيها كلهم من كام يوم لما شفتهم طالعينها وانا باراقبهم، بس دي فيه عيلة عايشة فيها!

- بالظبط كدا.. (ممدوح) لسا شاريها من أصحابها من يومين مخصوص عشان يتجوز فيها وهيسيب الفيلا كدا فاضية! طب ازاي وليه؟!

* * *

الساعة الخامسة.. قبل غروب الشمس بقليل..

تحرك (وائل) في شارع النخلة ممسكًا بحقيبته، واتجه ناحية العمارة رقم 15 ثم دخلها ولاحظ في المدخل وجود لافتة مكتوبًا عليها عيادة الدكتور النفسي

(ممدوح الشرنوبي)، فاطمأن قلبه أن هذا مكان عمل وبالتالي فهو آمن نوعًا ما ليقوم بنشاطه، فركب الأسانسير وضغط الزر رقم سبعة، ولم يدر هو وقتها أن بمجرد ركوبه الأسانسير قد دخل (لؤي) مدخل العمارة وأزال اللافتة سريعًا وقال عبر هاتفه:

- (وائل) طالع في الأسانسير ليكم.. وانا خلاص شِلت اليافتة.. ما اظنش حد من سكان العمارة لحق يشوفها.

بعد ثوانٍ وصل الأسانسير الطابق السابع ونظر (وائل) لباب الشقة فوجد ملصقًا على الباب مطبوعًا عليه "عيادة الدكتور (ممدوح) المواعيد يوميًّا حتى السابعة مساءً"، وكان الباب مفتوحًا فدخل (وائل) الشقة وكانت تبدو حقًّا كأي صالة انتظار في عيادة طبيب نفسي.

تأمل (وائل) المكان، فوجد الصالة صغيرة ويوجد بها باب غرفة واحدة، ويوجد من الصالة ممر به باب لغرفة أخرى وفي نهايته الحمام والمطبخ..

يوجد في الصالة زبونين فقط يجلسون على مقاعد الانتظار أحدهم رجل قصير وبدين نوعًا ما، ولم يدر (وائل) أنه (كريم) بالطبع لأنه لم يعرفه، والزبون الآخر كانت (نرمين) التي كانت جالسة مرتدية فستان حفل الزفاف ومتزينة بأدوات التجميل.. كانت جاهزة تمامًا لدخول قاعة الأفراح.. ولكن كانت جالسة في هدوء وتنظر أرضًا في شيء من الحزن المصطنع بالطبع!

فتأملها (وائل) في دهشة، وحاولت (نرمين) أن تظهر عليها التوتر حتى يقتنع (وائل) أنها مضطربة، وتفادت أن تنظر في عينيه، والتفت (وائل) للمكتب الذي تجلس خلفه السكرتيرة واقترب منها يسألها في دهشة بصوت خافت:

- هي العروسة جاية تقابل الدكتور؟!

أومأت السكرتيرة برأسها وقالت:

- تخيل؟! بعيد عنك نفسيتها متدمرة خالص!

رفع (وائل) حاجبية في اندهاش لكنه سريعًا ما تجاوز الأمر، وقال للسكرتيرة في جدية:

- طب أنا عايز أقابل الدكتور (ممدوح).

أشارت السكرتيرة لباب الغرفة قائلة:

- حاضر.. الدكتور بيخلص مع مريض جوا.. والاتنين اللي قاعدين دول حاجزين قبلك وبالتالي هيدخلوا قبلك.. بعدهم حضرتك هتدخل.

قال لها في ضيق:

- ما ينفعش أدخل قبلهم أصلي مستعجل؟ قولي للدكتور (ممدوح) إني (وائل) وهو مش هيمانع!

قالت السكرتيرة:

- خلاص هاقول للدكتور ولو وافق مافيش مشكلة تدخل قبلهم.

وفي أعماقها قالت السكرتيرة التي لم تكن سوى (نور) التي تتظاهر بأنها سكرتيرة "مستعجل على موتك ليه يا اهبل؟!"

جلس (وائل) بجوار (نرمين) وظل ينظر لها في حيرة..

لم يفهم لماذا تأتي فتاة بفستان الزفاف لطبيب نفسي؟!

ولكنه أدرك أنها غالبًا تعاني من اضطرابات نفسية كما قالت له السكرتيرة، ومع ذلك دفعه فضوله ليسألها قائلًا:

- هو انتِ فرحك النهاردا؟!

تفاجأت (نرمين) أنه يوجه لها ولم تعرف بما تجيب، ونظرت لـ (كريم) الذي تظاهر أنه يتفحص هاتفه، فنظرت لـ (نور) وجدتها تجلس خلف المكتب متظاهرة بأنها تقوم بأعمال السكرتيرة، فعادت تنظر لـ (وائل) وأجابته مرتجلة وتظاهرت بأنها مضطربة نفسيًّا:

- أيوة النهاردا فرحي.. بس أنا قررت اخلع العريس.

رد عليها في دهشة:

- هتخلعيه قبل الفرح؟!

- آه ماهو احنا كتبنا الكتاب من أسبوع!

لم يرد عليها لأنه وجد باب غرفة الكشف للدكتور (ممدوح) يفتح، وخرجت من الغرفة فتاة محجبة وهي (مريم) التي تظاهرت أنها زبونة أنهت الكشف وتغادر العيادة، ونهضت (نور) السكرتيرة واقتربت من باب الغرفة ونظرت للدكتور بالداخل وقالت:

- في مريض اسمه (وائل) وبيقول إنه محتاج يدخل الأول.

لم يستطع (وائل) من موقعه أن يرى ما بداخل الغرفة، ولكنه استطاع أن يسمع صوت (ممدوح) من داخل الغرفة يقول للسكرتيرة في حزم:

- آه (وائل)! خليه يدخل.

ابتسم (وائل) في ثقة وهو ينهض ممسكًا بحقيبته، وقالت له (نور) مبتسمة:

- اتفضل الدكتور جوا عاوزك.

صاح (كريم) فجأة محتجًا متظاهرًا بالغضب:

- إزاي يبقى جاي بعدنا ويدخل الأول؟!

نظرت له (نور) وقالت في هدوء:

- دي أوامر الدكتور حضرتك.

نظر (وائل) لـ (كريم) في امتعاض ليستفزه ثم دخل غرفة الكشف ولكنه فوجئ عندما وجدها فارغة تمامًا، ومفروشة بالكامل بكيس بلاستيك كبير، ولم يكن بها سوي (ممدوح) واقفًا في نهايتها في جمود ممسكًا بمخدة، فسأله (وائل) في اندهاش:

- هي دي أوضة الكشف؟!

ظل (ممدوح) ينظر له في برود دون أن يجيب، ويبدو أن (وائل) بطيء الاستنتاج فقد استغرقه الأمر عدة ثوانٍ حتى شعر أن هناك شيء مريب فالتفت في حدة ليغادر الغرفة، ولكنه وجد (لؤي) يدخلها فجأة ويدفعه بقوة لدرجة أنه ألقى به أرضًا في وسط الغرفة، بينما هجم عليه (ممدوح) واضعًا المخدة المبتلة على وجهه حتى يمنعه من إصدار صوت ومن الرؤية، وفي تلك اللحظة كان قد دخل (كريم) الغرفة وأغلق بابها خلفه، واندفع ناحية (وائل) ليساعد (ممدوح) في السيطرة عليه حتى لا يستطيع المقاومة، أما (لؤي) فكان جالسًا فوق بطن (وائل) ويحاول تثبيت يديه..

وفي الصالة قامت (نرمين) بغلق باب الشقة بعدما أزالت من عليه الملصق وألقته أرضًا في صالة الشقة، وسريعًا قامت بتشغيل أغاني أفراح على سماعات عالية الصوت حتى يصبح أي صوت مقاومة أو اشتباك أو صرخات محتملة غير مسموع تقريبًا!!

أما (نور) فقد توترت وتشبثت بصديقتها (مريم) التي أمسكت بها أيضًا في خوف على رغم أنهما لا يشاهدا ما يحدث بالغرفة لأن بابها مغلق، إلا أن (نرمين) نظرت لهما في غضب وصاحت حتى يستطيعا أن يسمعاها رغم صوت الأغنية:

- بلاش فرفرة البنات دي وانشفوا شوية.. مش وقته خالص!! يلا إيديكم معايا ندخل الحاجات دي في الأوضة التانية!

قالتها وهي تحاول أن تزحزح بمفردها مكتب السكرتيرة، فأخرجت (مريم) نفسها من حالة الجمود واندفعت تساعدها وكذلك (نور)، فأخذ الثلاثة يغيروا مظهر الصالة من عيادة لصالة تليق بعريس وعروسة، والأغنية تدوي في المكان "دا عريسي هياخدني بالسلامة يا ماما!"!

وفي الغرفة كان قد تمكن أخيرًا (كريم) و(ممدوح) من تثبيت (وائل) الذي استسلم تقريبًا، فرفع (لؤي) المخدة من فوق وجه (وائل) ونظر في عينيه وهتف به:

- ليه؟!

نظر (وائل) له نظرة مبهمة وقد أصبح وجهه شاحبًا ولم يعرف بما يجيب، وصاح (لؤي) مكملًا:

- انت اللي خلتني اقتلك! انت اللي أذيتني.. انت طماع وأناني وكداب وزبالة!

وهم (لؤي) ليضع المخدة مجددًا فوق وجهه ليخنقه حتى الموت، ولكن فجأة باغتهم (وائل) بحركة عنيفة بجسده فاستطاع أن يفلت من قبضة (ممدوح) ثم دفع (لؤي) بعيدًا عنه وضرب بقدمه (كريم) في وجهه، فحرر جسده من الثلاثة ونهض سريعًا واندفع يجري ناحية باب الغرفة وفتحها ولكن قبل أن يخرج منها وجد الثلاثة يهجمون عليه مجددًا من الخلف، وهنا رأى الفتيات الثلاثة المشهد من الصالة، وصاح (لؤي) بهم:

- هاتوا سكينة.

اندفعت (مريم) ناحية المطبخ لتأتي له بسكينة، وظلت (نور) تراقب في رعب ما يحدث، أما (نرمين) فاندفعت في شجاعة لداخل الغرفة ولكن كان الفستان يعيق حركتها فألقت نفسها أرضًا، والتفت بجسدها كله حول قدمي (وائل) ببراعة!!

"متزوقيني يا ماما.. أواااام يا ماما"

وأمسك (كريم) بذراع (وائل) اليمنى جيدًا، وتشبث (ممدوح) باليسري، فأصبح (وائل) غير قادرٍ على أن يحرك يده نهائيًا، ولا قدمه بسبب (نرمين)، فشعر وكأنه أصبح مشلولًا، وهنا دخلت (مريم) الغرفة وهي تلهث وممسكة بالسكينة وناولتها لـ (لؤي) بسرعة فأخذها وصوبها بسرعة ناحية صدر (وائل) و...

ولكنه وجد نفسه مترددًا..

أيفعلها؟!

"الكحل أكتر أكتر عشان عيوني تبقى جميلة"

وبسبب صوت الأغاني المرتفع الذي ملأ المكان لم يبدُ صوت (وائل) مسموعًا بوضوح، رغم أنه كان يصيح بـ (لؤي) بكل ما يملك من قوة هاتفًا وهو يبكي:

- سِبني أرجوووووك.. والمصحف هاعمل لك كل اللي انت عاوزه يا (لؤي).. هاخلي بابا يديك فلوسك ويرجعك الشغل لو عاوز.. وهاديك اللي انت عاوزه.. سِبني اعيش أرجووووك!

ظل الموقف جامدًا هكذا لثوان ولم يكن صوت الأغنية يليق على الحدث نهائيًّا!

"سامعة؟ سامعة يا ماما؟ الناس بترقص علشاني"

والتفت (لؤي) لينظر لـ (نور) التي كانت ترتعش في رعب فزاده هذا توترًا، ولكن (ممدوح) صاح به وهو ما زال ممسكًا بذراع (وائل) اليسرى:

- خلص بدل ما يفلت مننا تاني! يلاا!!

وهنا قام (لؤي) أخيرًا بطعن (وائل) في قلبه بقوة، فصرخ (وائل) في ألم ثم فارقت روحه جسده سريعًا، فأبعدت (نرمين) نفسها بسرعة ووقفت بعيدًا حتى لا يتسخ فستانها بالدم، أما (لؤي) فظل ينظر في ألم لـ (وائل) الذي ترك (ممدوح) و(كريم) جثته لتقع أرضًا فوق كيس البلاستيك المفروش..

"شايفة؟ شايفة يا ماما؟ طويل قوي فستاني"

والتصقت (مريم) بالحائط، أما (كريم) فجلس أرضًا وأغمض عينه في أسًى، أما (نور) فشعرت أنها على وشك الإغماء وشعرت بأسنانها ترتطم ببعضها، ولكنها فجأة وجدت (لؤي) يخرج من جموده ويلتفت لها واندفع ناحيتها بسرعة ليحضنها بقوة..

وكان هذا الحضن الأول لهما!!

وتركت نفسها لأول مرة في حضنه وظلت متشبثة به بقوة وتبكي في حضنه، وبكى هو ربما أكثر منها ولكن بدون أن يصدرا صوتًا..

فما فعله لم يكن هينًا عليه على الإطلاق فأراد أن يشعر ببعض الراحة والطمأنينة في حضنها الدافئ الحنون الذي يشعر فيه أنه طفل صغير..

"بالسلامة يا ماما"

أتاهم جميعًا بعد لحظات صوت (نرمين) يقول في برود ليخرجهم من حالة الجمود:

- طيب يلا بقى ننضف الكلام دا عشان ما اتأخرش على فرحي!

* * *

ماذا لو أنك مع غرباء في طائرة تسقط، والحل الوحيد لتنجو بروحك هو أن تأخذ مظلة الإنقاذ الوحيدة بالطائرة وتقفز بها وحدك، تاركًا الجميع للموت وتعيش أنت؟

أتختار نفسك؟!

* * *

رقص الوحوش

كان حفل زفاف (ممدوح) و(نرمين) هادئًا رومانسيًّا، ومن يراهما وهما يتمايلان في رومانسية مبتذلة لا يمكن أن يتوقع أبدًا أن هذين العروسين قد أزهقا روحًا منذ قليل، على عكس (كريم) الذي كان يقف وحيدًا مصدومًا تائهًا طوال الحفل بشكل ملحوظ، ولم تفهم السيدة (سعاد) السبب فمالت على أذن (يوسف) الجالس على الكرسي المجاور لها، وهمست:

- في حاجة مريبة.. ابني (كريم) مش على طبيعته أبدًا.. الستة دول في بينهم سر كبير.. وفيه حاجة كانوا بيعملوها قبل الفرح.. حاجة كان لازم نعرفها!

التفت لها (يوسف) وقال:

- طب نعمل إيه ما انا اتدبست في إني آجي الفرح معاكِ.. كان زماني راقبتهم وعرفت كانوا فين وبيعملوا إيه!

أشارت السيدة (سعاد) لشاب في مثل عمر (يوسف)، يرقص مع العروسة، وقالت لـ (يوسف):

- شايف الولد اللي هناك دا؟ دا أخو (نرمين).. (لؤي) قال لي إنه في تالتة ثانوي زيك.. حاول تتعرف عليه.. وحاول تقرب منه وتقرره! اللي انا فهمته إن (نرمين) ما بتحبش حد في الدنيا قده.. أكيد هو عارف سرها!

أومأ (يوسف) برأسه، وقال مازحًا:

- علم وينفذ يا افندم.

في تلك اللحظة اتجهت (مريم) ناحية مركز الفرح حيث ترقص (نرمين) مع أخيها (علي)، وحيث يرقص (ممدوح) مع (لؤي) الذي كان يرقص بافتعال وكأنه يؤدي واجبًا.. فقط حتى يبدو كل شيء كما يفترض أن يبدو!

أمسكت (مريم) بيد (نرمين) لتشاركها رقصة، وقالت لها بصوت بالكاد يكون مسموعًا وسط الزحام الصوتي للحفل:

- ألف مبروك يا (نرمين).. زواج سعيد وللأبد إن شاء الله!

ضحكت (نرمين) وردت عليها:

- للأبد للأبد يعني؟!

قالتها ثم اقتربت منها وهمست في أذنها:

- (كريم) شكله مفضوح جدًّا.. اللي يشوفه هيعرف إننا لسا قاتلين قتيل دلوقتي!

نظرت (مريم) لـ (كريم) الذي كان واقفًا بعيدًا في ركن القاعة يتصبب عرقًا، وأكملت (نرمين):

- عليكِ وعلى (كريم).. لو مش عايزانا نتفضح وقصتنا تنتهي يبقى لازم تحتويه وتضمني إنه مش هينطق بولا كلمة!

أومأت (مريم) ولم تجادلها، واتجهت ناحية (كريم)، بينما اقترب (ممدوح) من (نرمين) واحتضنها وأخذ يرقص معها الرقصة البطيئة على هذه الموسيقى الهادئة الرومانسية.. كان شكلهما لطيفًا حقًّا..

فخرج (لؤي) من مركز القاعة المخصص للرقص، واتجه ناحية (نور) التي كانت واقفة بعيدًا بمفردها وجذبها في خفة من يدها وقال:

- تعالى نرقص سلو.

اعترضت قائلة وهي تمنعه من أن يجذبها:

- لا لا يا (لؤي) ما يصحش!

هتف مستنكرًا:

- هو إيه اللي ما يصحش؟!

- مامتك هنا والناس!! ما ينفعش أرقص معاك رقصة زي دي وتحط إيدك عليَّ كدا!

قال (لؤي) في حزم:

- أنا قررت أقول لأمي عنك بكرة الصبح.. واني عايز اتجوزك.

- بس بابا وماما مش هيوافقوا يا (لؤي).. ما انت عارف عيلتي بتفكر إزاي.. لازم عندك شقة تمليك كويسة وفلوس لشبكة محترمة و..

قاطعها قائلًا في حماس:

- الشقة موجودة.

هتفت في دهشة:

- نعم؟

ابتسم ابتسامته الساحرة وأجابها:

- (ممدوح) و(نرمين) هيباتوا النهاردا في الشقة إياها.. ومن الصبح هيطلعوا شهر عسل في فرنسا.. (ممدوح) حجز خلاص تبع شركة سياحة.. دي مفاجأة هو لسَّا ما قالهاش لـ (نرمين).. ولما يرجعوا من شهر العسل من فرنسا هيعيشوا في الفيلا سوى.. وبكدا الشقة هتفضل فاضية.. و(ممدوح) قال لي إني أقدر أعتبرها بتاعتي وانه هيعمل لي لها تنازل رسمي عشان أقدر أتجوز ونعيش فيها!

صرخت (نور) في فرحة ووجدت نفسها تقفز متحضنة (لؤي) هاتفة:

- مش مصدقة!

وفجأة انتبهت لأنظار الناس فابتعدت عنه، وابتسمت في حياء وسعادة قائلة:

- دا أسعد يوم في حياتي!

هتف وهو طائر من الفرحة:

- وكل الأيام اللي جاية كدا.. لحد لما نموت.

ثم غمز وضحك مكملًا:

- أو ما نموتش!!

ضحكا معًا في سعادة، وكأن أحدًا لم يخبرهما أن هذا اليوم -الذي يقولون عنه أسعد يوم في حياتهم- هو اليوم الذي قتلوا فيه إنسانا!

وفي نفس اللحظة كانت (مريم) واقفة بجوار (كريم) لا تعرف ما تقول، وظل هو متوترًا صامتًا، حتى قالت هي:

- انت كويس؟

عقد حاجية وتلعثم وهو يجيبها:

- أنا من شهر ما كنتش متخيل إني ممكن أشرب سيجارة! النهاردا قتلت بني آدم.. ومن غير حق.. قتلته عشان بس اعيش.

نظرت له في شفقة وطبطبت على ظهره في حنان وقالت لتستعطفه:

- كلنا كنا مضطرين يا (كريم).. ولا انت نسيت إني قتلته زيي زيك؟! والذنب عليَّ زي ما هو عليك! بس أرجوك خليك متماسك.. دا انا بستمد القوة منك انت! انت أكتر راجل باحس معاه بالأمان.

كان كلامها مفعوله كالسحر، فقد اعتدل في وقفته ونظر لها محاولًا أن يستجمع شجاعته وثقته بنفسه، وتذكر كلام (نرمين) له، وأنه يجب أن يحمي (مريم) ويشعرها بالأمان وألا يكون جبانًا، فقال:

- أنا مش عايزك تقلقي خالص يا (مريم).. أنا معاكِ وهافضل آخد بالي منك.

ابتسمت له ووقفت بجواره ومدت يدها لتمسك بقبضة يده وتشابكت أصابعهما، وشعر (كريم) في تلك اللحظة أن الفرحة حقًّا لا تسع قلبه، فنظر لها وتأمل وجهها الجميل الذي يعشقه في سعادة، وشعر أنه تجاوز قتله لـ (وائل) وأنه راضٍ تمامًا عن ما فعله طالما أدى لهذا التلامس الرائع بين أصابعهما!

* * *

ما زالت جثة (وائل) في الغرفة فوق كيس البلاستيك، والغرفة مغلقة جيدًا، أما الصالة والغرفة الأخرى وباقي أجزاء الشقة كانت منظمة وخادعة لأي شخص يراها ليظنها تمامًا كشقة جديدة لعريس وعروسة.. طالما أنه لن يدخل غرفة القتل!

وصل (ممدوح) و(نرمين) الشقة بعد نهاية الحفل، ووحدهما في الصالة قال (ممدوح) وهو يداعبها:

- مبروك يا عروسة!

في حدة أمسكت يده وأبعدتها عن جسدها وقالت:

- اوعى يكون في دماغك هنعمل أي حاجة الليلة دي.. كفاية اللي حصل طول اليوم!

أصابته خيبة الأمل وقال لها في حنق:

- إيه ما لكيش نفس يعني عشان في قتيل في الأوضة؟! ما احنا قافلينها كويس وما لناش دعوة بيها.. خلينا في الأوضة التانية!

قالت له في سخرية:

- لا وحياتك مش موضوع قتيل.. موضوع إني عايزة اتخمد! عايزة انام.. كان يوم متعب وابن كلب!

قالتها وهي تتجه ناحية غرفة النوم وأضافت وهي تدخلها وتغلق الباب خلفها:

- هاغير هدومي وهاقول لك لما اخلص!

قال بصوت مرتفع في غضب:

- ويا ترى هنام على نفس السرير ولا هتنيميني في الأوضة التانية مع القتيل؟!

أتاه صوتها من غرفة النوم تقول في استهزاء:

- علّي صوتك.. عرّف العمارة كلها إن معانا قتيل في الشقة يا (ممدوح)!

شعر بالغضب حقًّا، لكنه استجمع أعصابه ليهدأ، وانتظر قليلًا ثم قال:

- على فكرة يا حبيبتي عندي ليكِ مفاجأة.

في تلك اللحظة كانت قد أنهت (نرمين) من ارتداء ملابس النوم، وفتحت باب الغرفة وابتسمت له قائلة في شغف:

- مفاجأة إيه؟! هتشتري لي خاتم ألماس تاني بدل اللي ضاع عند الدجال؟!

أسعده اهتمامها أخيرًا، فأقبل عليها وقال:

- الصبح هنروح فرنسا نقضي شهر عسل هناك.

وضعت يدها على فمها غير مصدقة من فرط السعادة، وهتفت:

- بجد؟! ما اتحرمش منك أبدًا يا حبيبي.

ثم طبعت قبلة سريعة على خده، ولكنها انتبهت لشيء ما، فقالت في حيرة:

- بتقول شهر؟! كدا هنضطر نقتل في فرنسا بقى!!

ضحك قائلًا:

- لأ ما هو احنا هنقضي تلت أسابيع عسل بس.. وبعدين هنرجع مصر بقى.. وهيكون (لؤي) حدد الضحية اللي عليها الدور ما انا اتفقت معاه كل حاجة.

وبدأ هو يخلع ملابسه، وتساءلت هي:

- وهي جثة (وائل) هتفضل كدا كتير في الأوضة التانية؟!

- لأ.. أنا سِبت نسخة مفتاح لـ (لؤي) وقالي هيجي بكرة هو و(كريم) الضهر بحيث نكون أنا وانتِ سافرنا.. هيدخلوا الشقة ويتخلصوا من الجثة بقى بطريقتهم.

- بس افرض اتغابوا وحد كشفهم واتقبض عليهم؟! هيتحبسوا!

- وبعد اما يتحبسوا؟! هياخدوا إعدام يعني؟! مش هيموتوا برضه!

قالت وهي تنام على السرير وتضع رأسها على المخدة المريحة:

- المشكلة مش في الإعدام.. المشكلة لما يعدي عليهم شهر في الحبس أو على ذمة التحقيق والكلام دا.. ساعتها هيعدي عليهم تلاتين يوم من غير ما يقتلوا.. فهيموتوا!

قال (ممدوح) في قلق:

- يا ستي فال الله ولا فالك! (لؤي) ذكي وهيعرف يتخلص من الجثة كويس.

ثم ألقى بجسده بجوارها، فأعطت له ظهرها وجذبت عليها الغطاء وقالت:

- تصبح على خير!

استفزه جدًّا ما تفعله، ولم يكن أمامه خيار سوى أن يجيب:

- وانتِ من اهله!

وبعد مرور حوالي ساعتين تأملت (نرمين) جيدًا وجه (ممدوح) لتتأكد أنه مستغرقٌ في النوم، ثم في هدوء نهضت من السرير دون أن تصدر صوتًا..

واتجهت ناحية ملابسه التي خلعها منذ ساعتين وأخذت تفتشهم جيدًا باحثة عن شيء ما.. ثم تسحبت في بطء على أنامل أصابعها لخارج الغرفة، واتجهت ناحية الغرفة الأخرى التي توجد بها الجثة..

فتحت الباب ودخلت الغرفة في اشمئزاز، واقتربت من الجثة وهي كاتمة نفسها حتى لا تشم رائحة الجثة..

ثم وضعت يدها في جيب قميص جثة (وائل) ووضعت به شيئًا ما ثم غادرت الغرفة سريعًا.. وعادت في هدوء إلى السرير بجوار زوجها الذي لم يشعر بأي شيء على الإطلاق..

* * *

طب هو اللي خلف ما ماتش فعلًا؟!

* * *

الحقيقة

صباح الثاني من فبراير..

ارتفعت الطائرة التي تحمل العروسين تحلق في السماء متجهة إلى فرنسا، في الوقت ذاته الذي فتح فيه (لؤي) باب شقة شارع النخلة، ودخلها هو و(كريم) الذي قال:

- مش هتقول لي بقى ناوي نتخلص من الجثة ازاي؟!

أغلق (لؤي) باب الشقة وهو يجيبه:

- كنت خايف أجاوبك أحسن ما تجيش معايا!

قال (كريم) في توتر:

- إيه هنولع فيها؟!

- يا ريت كان ينفع! الحل الوحيد عشان ما حدش يحس بحاجة إننا نقطعها.

هتف (كريم) في استنكار:

- نقطع إيه؟!

أجابه شقيقه في تردد ولكنه حاول أن يبدو جامدًا:

- الجثة!! الشنطة اللي على ضهري دي مليانة سكاكين وسواطير.. هنقطع بيها الجثة أجزاء حجمها صغير بحيث نقدر نحطها في الشنطة دي.. وورواحدة واحدة هناخد الأجزاء دي ونرميها.. بس في أماكن متفرقة طبعًا.

نظر له (كريم) غير مصدقٍ وقال مشمئزًا:

- يعني قتلنا وكمان هنمثل بالجثة ونتخلص منها بالطريقة البشعة دي؟

صمت (لؤي) ثوانٍ قبل أن يجيبه:

- بيتهيأ لي ليس بعد القتل ذنب!

لم يجد (كريم) ردًّا يقوله، وأدرك أخوه هذا، واتجها ناحية باب الغرفة ففتحها (كريم) ودخلها ونظر للجثة التي أصبحت رائحتها العفنة واضحة الآن!!

اتجه (كريم) ناحية الجثة ونظر لوجهها وهو يقول لأخيه في هدوء قاسٍ:

- انت مقتنع باللي انت قلته لـ (وائل) قبل ما تقتله؟! إن هو السبب في انك تقتله عشان اللي عمله فيك؟ انت يا (لؤي) قتلته عشان نفسك وبس! الولد ما كانش يستحق يموت!

رد عليه (لؤي) في عصبية وتوتر مدافعًا عن نفسه:

- دا لفق لي تهمة سرقة.. وضيع عليَّ مرتب شهر.. وابوه طردني!

قال (كريم) في تهكم واستهزاء:

- وإيه تاني؟! بص لك بصة وحشة؟ الكلب! كان لازم يموت!

ظهر على (لؤي) غضب حقيقي ومنع قبضته من أن تنهال على أخيه بالضربات، فانصرف قبل أن يفقد السيطرة على أعصابه، تاركًا أخيه في الغرفة وحده..

وبمجرد أن وجد (كريم) نفسه بمفرده مع الجثة حتى تحرك بسرعة مفتشًا جيوبها سريعًا حتى وجد المفتاحين اللذين وضعتهما له (نرمين) في جيب

قميص الجثة، فوضعهما في جيبه سريعًا قبل أن يدخل (لؤي) الغرفة مجددًا وقال في جدية:

- ها.. يلا نبدأ شغل.

وكان الأمر شاقًّا..

استغرق من الأخوين ساعة تقريبًا فقط لكي يستطيع أكثرهم شجاعة وهو (لؤي) أن يضغط بالسكين الحاد بالفعل ليقطع جزءًا من جسد (وائل)..

لن نشرح الأمر بالتفصيل! فهو مقزز حقًّا..

لم يستطع (كريم) أن يشارك أخاه فيما يفعله، بل كان فقط يمسك له أعضاء الجثة أو يثبتها بحيث يسهل على (لؤي) التعامل معها، وكان الأمر مرهقًا جدًّا، خصوصًا وأن الجثة كانت لشاب، فبعد مرور ساعتين كاملتين لم يكن الأخَوَان قد أنهيا من العمل سوى ربعه فقط!

وقال (كريم) بصوت متحشرج وهو يتصبب عرقًا:

- طب مافيش ميَّة نشربها عشان نكمل اللي بنعمله دا!

قال (لؤي) وهو يتصبب عرقًا مثل أخيه من فرط التوتر والمجهود:

- ممكن في ماية ساقعة أو كدا في التلاجة!

نهض (كريم) قائلًا:

- هاشوف.

وغادر الغرفة، وتوقف (لؤي) عن العمل وأخذ يلهث لأنه حقًّا شعر بأن جسده في حاجة إلى مزيد من الأكسجين، وانتظر أخاه لكي يعود بالماء، لكن (كريم) لم يعد!

نهض (لؤي) بعد مرور دقائق وغادر الغرفة مناديًا:

- انت فين يا ابني؟!

لكنه لم يجد لـ (كريم) أثرًا في الصالة، فأصابته الحيرة حقًّا فدخل غرفة النوم، وهناك وجد (كريم) مستلقيًا فوق السرير ممسكًا بسيجارة من الحشيش بدا عليها أنه قد أنهى معظمها، وكان ينفث دخانها في متعة وتلذذ..

أصاب (لؤي) الذهول، ووجد نفسه يغمغم قائلًا في صدمة:

- انت بتعمل إيه؟!

أجابه (كريم) وهو يضحك كالمسطول:

- أصلي لقيت الشنطة اللي كان جايبها (وائل) مليانة مخدرات وحشيش.. فقلت خسارة الحاجات دي تضيع على الفاضي يعني!

نظر له (لؤي) حقًّا في دهشة لم تلبث أن تحولت إلى سخرية، ثم ألقى بجسده على السرير بجوار أخيه قائلًا في حماس:

- قشطة علينا! ناولني سيجارة!

ولمدة ساعة تقريبًا استمر الوضع هكذا.. فامتلأت الغرفة بالدخان، وتعالى صوت ضحكاتهما على أتفه سبب ممكن!!

وصاح (لؤي) مازحًا وقد أصبح لا يدري ما يقول:

- واد يا (كريم).. تفتكر (ممدوح) عمل حاجة مع (نرمين) ولا لسا؟!

ضحك (كريم) بقوة وهو يرد عليه:

- وهو مين فيهم اللي هيعمل؟!

انفجر (لؤي) مقهقهًا حتى شعر أن قلبه سيتوقف عن النبض من شدة الضحك، وهتف:

- انت مسخرة وربنا.

ضحك (كريم) ضحكة المسطول وهو يقول:

- أيوة أنا (كريم).. أنا مسخرة.. فيه حاجة؟!

وقد أصبح الوضع ظريفًا حقًّا..

* * *

في هذه الأثناء اتصل (يوسف) بالسيدة (سعاد) وقال عبر الهاتف:

- ألو.. أيوة يا طنط.. أنا صاحبت الواد (علي) أخو (نرمين).. دا واد طيب وعسلية.. وحبني قوي وقال لي آخد معاه الدروس كلها حتى.

- كويس كويس.. بس انجز بقى وحاول توصل منه لحاجة مفيدة.

- قريب.. قريب.

* * *

سارت (مريم) مع (نور) في جولة ليتسامرا كعادتهما، وكانت (نور) تتحدث في سعادة عما قاله لها (لؤي) في حفل الزفاف، وأنه يملك شقة شارع النخلة الآن، وأنه سيفاتح والدته في موضوعهما وسيتقدم لطلب يدها من والدها..

كانت (مريم) تسمع هذا الحوار وهي تشتعل غضبًا من داخلها، ولكنها كانت هادئة من الخارج وتجيب في هدوء، وحاولت أن تصطنع مشاركتها لفرحة صديقة عمرها..

وبعد مرور ساعة لم تتحدث فيها (نور) سوى عن فرحتها لأن علاقتها مع (لؤي) سوف تصبح رسمية قريبًا، لكزتها (نور) قائلة:

- وانتِ بقى؟! ها.. أخبارك مع (كريم) إيه؟!

توترت (مريم) وهي تقول:

- (كريم)؟! لأ دا زي أخويا يعني.

- لا والله؟! على أساس إني مش واخدة بالي بقيتِ بتتعاملي معاه إزاي؟! هتفضلي حاطاه كدا في الفريندزون لحد إمتى؟

- دا إنسان طيب ومحترم جدًّا.. وانا باحب فيه دا.. لكن مش باحبه هو.. مع إنه إنسان كويس جدًّا.. الموضوع معقد.. مش عارفة بقى!

- لأ بقى حاولي تحبيه.

- ودا إزاي دا؟

- لإنك بجد هتحتاجيه يا بنتي.. لازم يبقى معاكِ راجل.. وراجل مننا.. انتِ فاهماني طبعًا!

صمتت (مريم) وهي تنظر لها ثم قالت في سخرية:

- ما تفرقيش كتير عن (نرمين) والله!

- نعم؟!

- هي برضه نصحتني بدا.. إني أستغل (كريم) عشان هو الراجل الوحيد السنجل في شلة الخالدين دي! عشان يقتل لي!

هتفت (مريم) في غضب وسخط:

- أنا ما باقولش تستغليه يا (مريم).. أنا باقول لك حاولي تحبيه عشان العلاقة تبقى بينكم حقيقية وتعيشي مبسوطة معاه لحد آخر يوم.. وانتِ عمرك هيكون طويل يا (مريم)!!

ظهر على (مريم) أنها تعاطفت مع ما قالته (نور) التي صمتت ثواني، قبل أن تكمل في هدوء لتقضي على حدة الحوار:

- أنا بس عايزة اضمن إنك تشاريكني العمر دا كله يا (مريم).

وجدت (مريم) نفسها تبتسم لصديقتها في حب وتقول:

- ربنا يخليكي ليا يا حبيبتي.

* * *

- أنا شربت حشيش.

قالها (كريم) مصدومًا في جلد لذاته وفي ندم، بعدما زال تأثير ما شربه تمامًا، فضحك (لؤي) عليه قائلًا:

- عادي عادي.

التفت له (كريم) في بطء، وقال:

- لا مش عادي.. كان عندك حق لما قلت لي إن التنازل بيجيب تنازل.

- ما انا قلت لك يا اخويا.. ليس بعد القتل ذنب.

- آه بس (وائل) كان يستحق الموت فعلًا زي ما انت بتقول.. انت كلامك اللي كان صح.. وقتل الظالم مش حرام مش كدا؟!

نظر له (لؤي) في شفقة وقال على الرغم أنه حق لم يكن مقتنعًا:

- (وائل) فعلًا كان يستحق الموت.. وما اظنش قتله حرام.

ظهرت الراحة والرضا على وجه (كريم)، وقال في حزم:

- بالظبط كدا.. وأي حد لسا هنقتله لازم يكون يستحق الموت.. مش هنقتل حد بريء. ماشي يا (لؤي)؟!

- تمام.. اتفقنا.

وأكملا عملهما، حتى أنهوه في منتصف الليل تقريبًا.. وبدءوا في وضع أجزاء الجثة في حقيبة وفي بعض الأكياس وهكذا، حتى لا يصبح الأمر مريبًا.. وبدءوا يتخلصون منها..

وبشكل ما كان (كريم) يخبر نفسه أن ما يفعله هو تحقيق العدالة!!

بعض الأجزاء ألقوها في النيل..

والبعض الآخر في صناديق القمامة..

والآخر دفنوه في حدائق عامة..

وهكذا تمت العملية بنجاح!

* * *

- ألو.. تصدقي يا طنط سعاد مدرس الانجليزي اللي (علي) بياخد عنده طلع أحسن من المدرس اللي انا كنت عنده.

- لا والله؟! يا ابني خلينا في المهم.. وصلت لحاجة يا ابني انت؟!

- (علي) أخوها دا يا طنط طلع ملاك.. آه والله! طيب قوي ومحترم جدًّا وجدع كمان.. انا حبيته فعلًا.

- عال والله.. مش طالع لأخته خالص! ووصلت لأي معلومات عن أخته وشلتها؟

- هو انا عرفت إن (نرمين) في فرنسا مع جوزها بقالهم أسبوع أهو.

- ما دي عرفتها من (لؤي)!

- ما عرفتش حاجة غير كدا.. بس (علي) نفسه صحته تعبانة شوية وخايف يكون عنده حاجة بس هو مش حاكي لأخته عشان ما يقلقهاش عليه.. هو حاليًا عايش مع ابوه لوحدهم أصلًا.. أبوه دا بقى مالهوش لازمة.. كأنه مش موجود في حياته أصلًا.

- ربنا يشفي (علي) لو عنده حاجة.. بس انت ما جبتش معلومات مفيدة لحد دلوقتي منه! أنا باقول نرجع للطريقة القديمة أحسن وتراقبهم بيروحوا فين وكدا.

- لا يا طنط.. أنا عرفت إن (علي) بيكتب مذكراته وقال لي إن أخته كمان متعودة تعمل كدا.. وأكيد محتفظة بمذكراتها في أوضتها.. بعد بكرة هاروح له البيت أذاكر معاه زي ما اتفقت انا وهو.. ومن غير ما يحس هاوصل لمذكرات (نرمين)! وساعتها هنعرف كل حاجة!

* * *

في الصباح الباكر اتفق (لؤي) مع (نور) أن تأتي له المنزل في الساعة الثالثة عصرًا، وأخذ يمهد (لؤي) لوالدته أنه يريد أن يتزوج وأخبرها أن (ممدوح) أهدى له شقة، وبالطبع استنكرت هي، ولكنه أقنعها أن (ممدوح) يحبه وأنه

غني غناء فاحشًا، ففرحت هي وأخبرته أنها تتمنى له عروسة ممتازة، وداخلها كانت تعرف جيدًا أنه يمهد لها ليخبرها عن (نور)..

ضربت (نور) جرس الشقة في سعادة وخوف في نفس الوقت من الموقف، ففتح لها (لؤي) مبتسمًا وقال:

- ادخلي.

وأكمل بصوت خافت حتى لا تسمعه والدته:

- يا حبيبتي.

دخلت (نور) الشقة ورأت والدته تجلس على أريكة فاتجهت ناحيتها تسلم عليها وتقول في رقة:

- إزيك يا طنط.

لكن السيدة (سعاد) نظرت لها في اشمئزاز، وتفاجأت (نور) حقًّا من نظرتها ولم تدر ماذا تفعل، وأصبحت تشعر بالرهبة حقًّا، وقال (لؤي):

- اتفضلي يا (نور) اقعدي.

جلست (نور) وكان تنظر أرضًا في توتر، بينما قال (لؤي) وهو ينظر لوالدته:

- دي (نور) يا ماما زميلتي في الجامعة.

لم ترد عليه والدته واكتفت بأنها أومأت برأسها، فأصبح (لؤي) متوترًا بدوره وأكمل:

- أنا و(نور) بنحب بعض يا ماما.. وانا عايز اتجوزها.. وإن شاء الله هاخدك وهاخد (كريم) ونطلب إيدها من أبوها... إيه رأيك؟!

قالت السيدة (سعاد) في حدة:

- ولسا فاكر إن عندك أم تحكي لها؟!

قال (لؤي) مستنكرًا:

- ما انا باخد رأيك أهو يا ماما.. وجبتها لك عشان تتعرفي عليها و..

قاطعته قائلة:

- مش عايزة اشوفها ولا اتعرف عليها.. الجواب باين من عنوانه.

ثم رمقت (نور) بنظرة نارية وقالت:

- روحي على بيتك يلا يا حبيبتي.

نهضت (نور) في غضب واندفعت لتغادر، ولكن (لؤي) صاح فأوقفها:

- ما تنزليش.

والتفت لوالدته هاتفًا في عصبية وغضب:

- إيه اللي بتقوليه دا يا ماما؟! انتِ كده بتقلي مني و...

قاطعته والدته في غضب:

- وكمان بقيت بتعلي صوتك عليَّ يا (لؤي)؟!

ثم صاحت:

- اللي ما تعرفهوش بقى إنك غلبان! (نور) دي نامت مع زميلكم اللي اسمه (أشرف) دا.. هي دي بقى البنت اللي انت عايز تتجوزها؟!

لم ينطق (لؤي) وشعر بغصة في حلقه وأنه على وشك أن يسقط أرضًا مغشيًّا عليه، وأن الدنيا تدور من حوله وقد أصابه الذهول من ما سمعه من والدته، تمامًا كـ(نور) التي التفتت في حدة للست (سعاد) ولم تستطع أن تنطق، فعادت تنظر لـ (لؤي) فوجدته على هذه الحالة وينظر لها في غضب واحتقار ونوع من الرجاء والتمني منتظرًا منها أن تكذب ما قيل، ولكن كان من الواضح تمامًا أنها لا تنكر ما قالته والدته، ولم تتحمل (نور) نظرة (لؤي) لها فوجدت نفسها انهمكت فجأة في البكاء وخرجت بسرعة من المنزل تاركة (لؤي) مصدومًا في حالة يرثى لها..

* * *

إكسير الموت

كانت ليلة مظلمة حقًّا، عندما اقترب (كريم) من بوابة الفيلا، وأخرج مفتاحًا من جيبه وفتح البوابة وهو مبتسم مغمغمًا:

- دا إيه الحلاوة دي!

كان يمنحه حقًّا شعورًا رائعًا أنه يملك مفتاحًا يفتح هذه الفيلا الكبيرة!

دخل (كريم) الفيلا وأغلق خلفه البوابة، ثم ألقى نظرة سريعة على بوابة البدروم، لكنه تحرك ناحية باب الفيلا الداخلي ودخل منه لصالة الفيلا، ثم صعد على السلالم الداخلية ليصل لغرفة معينة التي يوجد بها الخزنة..

دخلها وأضاء الغرفة، واتجه ناحية الخزنة وأخرج المفتاح الآخر الذي تركته له أيضًا (نرمين) في جيب قميص جثة (وائل)، وفتح الخزنة..

وجد بداخلها المسدس ومفتاح البدروم وزجاجة صغيرة جدًّا بحجم زجاجة الدواء! كانت شفافة وفيها سائل بني أو أحمر داكن!

لفتت انتباه (كريم) إلى حد كبير فأخذها ووضعها في جيب سرواله، وأخذ المسدس أيضًا، ثم أمسك المفتاح وأغلق الخزنة وغادر الغرفة وخرج لحديقة الفيلا واتجه ناحية باب البدروم، والفضول يكاد يقتله، وفي شغف أدخل المفتاح في الباب وفتحه..

كان مظلمًا فاحتاج أن يستخدم كشافًا هاتفه المحمول، ووجد بعض درجات السلم فهبط عليها في حذر، حتى وصل للبدروم المظلم فأخذ يبحث عن زر

الإضاءة حتى وجده وأضاء الغرفة، فوجد بها صندوقًا في حجم التابوت ويشبهه لحد كبير..

اقترب من هذه التابوت في حذر وقال:

- يا ترى هالاقي إيه جواك؟!

وفي بطء تمكن من رفع غطاء التابوت، فوجد بداخله الدجال مربوطًا وأشبه بالجثة..

على الرغم أنه كان متوقعًا وجود الدجال، إلا أنه توتر إلى حد كبير وشعر ببعض الخوف، ولم يدرِ حقًّا ما يفعل!

هل الدجال ميت؟! أم أنه فاقدٌ للوعي؟!

وهل يعقل أن يكون من منحهم الخلود ليس خالدًا؟!

أخذ بسرعة يحرر الدجال، وعقله يتخيل جميع السيناريوهات التي قد تجعل (ممدوح) يحتفظ بالدجال في البدروم!

لكنه أدرك أنه لن يحصل على إجابات لتساؤلاته إلا من الدجال نفسه إذا كان على قيد الحياة.. وكان هذا ما يتمناه..

* * *

أنزل (كريم) جسد الدجال في هدوء على هذه الأريكة الموجودة في صالة الفيلا، وأخذ يحدق في وجهه القبيح وهو يفكر فيما يجب عليه فعله الآن، ولكن فجأة فتح الدجال عينه وشهق في حدة، وتحرك بسرعة ليهرب ولكن (كريم) أمسك به جيدًا وصاح به:

- اهدا كدا!

أخذ الدجال ينتفض في عنف وهو يحدق في وجه (كريم) في رعب عجيب، وهتف في خوف:

- سيبوني في حالي.. عاوزين مني إيه؟!

عاد (كريم) يصيح به:

- ما انا لو كنت سِبتك في حالك كان زمانك لسا مربوط ومتكتف في الصندوق.

سمع الدجال كلام (كريم) ونظر في وجهه فشعر ببعض الثقة، وبعد فترة احتاجها لاستيعاب ما حدث أصبح هادئًا وقال:

- انت أنقذتني؟!

- شُفت بقى؟!

- انت (كريم)؟

نظر له (كريم) في حيرة، وقال:

- أيوة أنا! بس ما افتكرش إني كنت قلت لك اسمي.

اعتدل الدجال في مكانه، وقال:

- مش محتاج تقول لي اسمك.

قال (كريم) في تهكم واستهزاء:

- يا ريت تبطل منظرة بقى.. دا انا لسا ناقذ حياتك اهو!

- انت أنقذت حياتي فعلًا.

قال (كريم) في سخرية:

- مع إنك كدا كدا أكيد خالد زيي!

- صدقني لا انا ولا انتو خالدين.

ظهرت الدهشة على وجه (كريم) وقال:

- نعم؟! إزاي يعني؟!

رد عليه الدجال في هدوء:

- الخالد هو الله بس.

لم يعرف (كريم) ما يقول، وتوتر قليلًا وهو يرد عليه:

- وانا طول عمري مؤمن بكدا.. بس اكدب عيني ازاي؟! دا اخويا قتل (ممدوح) وصحا تاني قدام عيني!

- برضه ما اسمهاش خالد.. نهايتكم سهلة جدًّا.. كل اللي انتو محتاجين تعملوه إن يعدي عليكم تلاتين يوم من غير ما تتسببوا في موت حد.. يبقى خالدين إزاي؟!

اقتنع (كريم) بكلامه، ولكنه تساءل في فضول:

- طب وانت؟! انت بقالك أكتر من شهر محبوس في البدروم.. يعني ما اتسببتش أكيد في موت حد.. يبقى خلودك مالهوش شروط؟! يعني انت خالد فعلًا؟!

نهض الدجال من مكانه وهو يجيب:

- خلودي طبعًا له شروط.. بس مختلفة خالص!

ثم قال في تعجل:

- أنا لازم امشي.

نهض (كريم) قائلًا في صرامة:

- تمشي تروح فين؟! مش قبل ما تلغي التعويذة!

رد الدجال في عصبية:

- صاحبك (ممدوح) جالي وخطفني وقتلني وفضل راميني أكتر من شهر في الصندوق.. وكل لما اصحى يرجع يقتلني تاني.. متخيل أكتر من شهر وحيد في صندوق؟! متخيل حجم الرعب؟!

قال (كريم) في سخرية:

- ماعلش يا حبيبي! بس انا زي ما أنقذتك يبقى متوقع منك ترد لي الجميل.

ثم أكمل بنفس اللهجة الصارمة وهو يمسك بذراعه في قوة:

- تكسر التعويذة.. دا لو مش عايزني ارجع أرميك في الصندوق!

قال الدجال في حدة:

- (ممدوح) لما جالي سألني نكسر التعويذة ازاي.. ولما جاوبته خطفني ورماني عشان خاف حد منكم يعرف مني.

أصاب (كريم) الفضول بشدة، وتساءل:

- ونكسرها إزاي؟!

تردد الدجال قليلًا قبل أن يجيب:

- تشرب إكسير الموت.

ردد (كريم) في دهشة واستنكار:

- إكسير الإيه؟!

عاد الدجال يجلس وبدا عليه أنه على وشك أن يشرح شيئًا معقدًا، فتنهد في عمق ثم قال:

- وانا باربطكم بتعويذة الخلود أخدت من كل واحد فيكم شوية من دمه.. خلطتهم ببعض وضفت عليهم مادة كدا ما يخصكش انك تعرف عنها حاجة ولا انا هاحكي لك أصلًا! خلطت كل دا واحتفظت بيهم في قزازة وقفلتها كويس.. الإكسير دا هو اللي محافظ على استمرار التعويذة.

حاول (كريم) أن يستوعب ما يسمعه، وتساءل في حيرة:

- يبقى المفروض اسمه إكسير الحياة بقى؟!

أجابه الدجال في سرعة:

- لأ.. لإن الإكسير دا مش بيمنح الخلود.. بالعكس دا بيقضي عليه.. بمجرد إن حد منكم يشربه يبقى التعويذة اتكسرت.

قال (كريم) مستنتجًا:

- يعني أشرب إكسير الموت دا ويبقى كدا خلودي أنا والخمسة الباقيين انتهى؟!

- مش بس كدا.. لإنك لو شربت إكسير الموت ساعتها هيكون جسمك بديل للقزازة اللي انا كنت محتفظ فيها بالإكسير.. يعني هتكون انت الحاجة اللي

محافظة على استمرار التعويذة.. وساعتها بمجرد موتك في أي وقت هتبقى التعويذة اكتمل كسرها.. وهيبقى الخلود خلاص بح!

- يعني أشرب إكسير الموت وبعدها أقتل نفسي عشان أكسر التعويذة؟! وهم يكملوا حياتهم عادي من غير خلود؟

- هتكون تضحية.. طالما انت كاره خلودك وخلودهم كدا فعلًا.

- أنا كاره الخلود المبني على قتل ناس تانية!

عاد الدجال يتنهد ثم قال:

- المشكلة الحقيقة إن التعويذة اما بتنتهي بتنتهي بأثر رجعي.

- بأثر رجعي إزاي يعني؟!

- يعني لو فيه واحد منكم المفروض يكون ميت لولا التعويذة.. يبقى هيقع ميت بمجرد كسر التعويذة.. في نفس اللحظة اللي انت هتموت فيها لو شارب إكسير الموت.

أخرج (كريم) في تلك اللحظة الزجاجة التي تشبه زجاجة الدواء التي وجدها في خزنة (ممدوح) واحتفظ بها في جيبه، وقال:

- هي دي؟!

تفاجأ الدجال بوجودها مع (كريم) وقال:

- آه هي!

شعر (كريم) باهتزاز هاتفه المحمول فأخرجه فوجد أن (نرمين) تتصل به من فرنسا، فنظر للدجال وقال:

- تقدر تمشي انت خلاص!

لم يكد يقولها حتى انصرف الدجال مسرعًا، بينما وضع (كريم) الهاتف على أذنه قائلًا:

- أيوة يا (نرمين)؟!

أتاه صوتها الخافت يقول:

- وصلت لإيه يا (كريم)؟! ما صدقت اخلع من (ممدوح) وكلمتك على طول.

- الدجال يا (نرمين)! كان خطفه وحبسه في صندوق في البدروم!

- يا خبر! معقولة فعلًا توقعاتنا كانت صح!

- مش بس كدا.. طلع في حل لكسر التعويذة.

- كمان؟! إزاي؟!

- في إكسير اسمه إكسير الموت.. (ممدوح) طلع خده من الدجال وكان محتفظ بيه في الخزنة مع المسدس ومفتاح البدروم.. الإكسير دا بمجرد إن حد يشربه يبقى التعويذة متعلقة بحياته.. لو مات يبقى التعويذة انتهت.

لم يخبرها (كريم) عمدًا أن التعويذة بأثر رجعي لأن هذا سيعني أن (ممدوح) سيلقي حتفه بمجرد كسر التعويذة، لأن (ممدوح) هو الوحيد الذي على قيد الحياة فقط بفضل التعويذة، لأنه تعرض للقتل على يد (لؤي).. لم يخبرها (كريم) بتلك المعلومة عن عمد خشية أن (نرمين) تعارضه وتمنعه من كسر التعويذة..

قالت (نرمين) في توتر:

- أيوة يا (كريم) بس دا معناه إن عشان نكسر التعويذة حد فينا يضحي بنفسه ويموت عشان الباقيين يعيشوا التلاتين أربعين سنة اللي فاضلين لهم في حياة مش أبدية!

رد عليها (كريم):

- أنا مستعد أضحي بنفسي.. أحسن بكتير من إننا كل شهر نقتل حد.

- و(مريم) يا (كريم)؟! هتكسر بخاطرها؟! دي لسا متصلة بيَّ امبارح وقايلة لي إنها سعيدة انها هتعيش حياة أبدية معاك!

كانت تكذب عليه، ولكنه صدقها على الفور وهتف في لهفة:

- بجد؟!

- طبعًا يا ابني أُمال إيه؟!

لن نكمل هذا الحديث لأنه أصبح متكررًا ومملًا، فكالعادة استطاعت (نرمين) أن تقنعه مستغلة حبة لـ (مريم)، فدعنا نتخطى هذا الحوار الذي بمجرد أن انتهى حتى أخذت (نرمين) وحدها تفكر في الموضوع بجدية..

لقد أصبح الوضع خطيرًا..

لقد تسببت بغبائها في أن تجعل (كريم) هذا الشخص الغير متزن مسؤولًا عن حياتهم، ومعه الشيء الوحيد القادر على إنهاء خلودهم في لحظة..

وبعد تفكير عميق، وعندما كانت في حضن زوجها في هذه الليلة، قالت:

- (ممدوح).. أنا آسفة.

قال قي قلق:

- على إيه؟!

- أنا شكيت فيك.

- إمتى؟!

أخبرته بما حدث بالتفصيل، وأنه جعلها تشك فيه وجعلها تشك أنه يخفي شيئًا مهمًا عنها، وأنها تحالفت مع (كريم) عليه، وأغضبه الأمر حقًّا حتى أنه ابتعد عنها وصاح بها كثيرًا، ولكنها في النهاية استطاعت أن تهدئ من روعه وتمتص غضبه بقولها:

- بس دلوقتي لازم نلاقي حل وناخد إكسير الموت دا من (كريم).. أنا مش ممكن أجازف بخلودنا سوى يا حبيبي!

هتف (ممدوح) في عصبية:

- وإيه اللي يمنعه دلوقتي إنه يشرب الإكسير ويقتل نفسه بعدها؟! ساعتها خلودكم كلكم هيكون انتهى.. وبالنسبالي حياتي نفسها هتنتهي فورًا وهاموت في لحظتها.

عقبت عليه في حدة:

- هتموت ليه؟!

قال (ممدوح) بعد تردد:

- لو (كريم) فعلًا اتكلم مع الدجال في التفاصيل يبقى هو أكيد عرف إن التعويذة لو اتكسرت يبقى أي حد فينا كان هيبقى ميت لولا التعويذة هيبقى ميت فعلًا بمجرد إنها تتكسر.

صاحت في غضب:

- نعم؟! الحيوان ما قاليش!

- وهيقول لك إزاي؟! هو أكيد عايزك في صفه، وهو متأكد إنك هتبقى ضده لو عرفتِ إن كسر التعويذة هيكون معناه موت جوزك.

قالت هي في حسم وقد تألقت عيناها:

- يبقى سيب لي موضوع (كريم) دا.. هامخمخ له كويس.. واوعدك هنخلص منه قريب.

ثم نظرت له جيدًا وهتفت في حماس ممزوج بالشر:

- مش انت عندك قارب؟

* * *

خيانة ذات حدين

"الخامس عشر من فبراير.. الساعة الثانية مساءً"

- ألو.. أيوة يا طنط يا (سعاد).

- أيوة يا (يوسف).. ها.. هات من الآخر.

- (علي) تعبان بجد! وانا أصريت اني آخده ونكشف بكرة.

- يا (يوسف) انجز وخلينا في المهم.

- دا مهم يا طنط.. (يوسف) النهاردا أغمى عليه في الحصة! وما فاقش إلا بعدها بساعة.

- يا ساتر يا رب! طب واخته وابوه فين يا ابني؟!

- زي ما قلت لك قبل كدا.. أخته لسَّا في فرنسا وابوه مصدر الطرشة!

- بكرة اكشف عليه وان شاء الله هتطلع حاجة بسيطة ويكون كويس.. انا عارفة انك حبيته قوي.

- طيب وجدع قوي يا طنط.. ما قابلتش حد كدا قبل كدا! دا ملاك!

- طب وبالنسبة لاخته الشيطانة بقى؟!

- أنا رحت له النهاردا بيته الصبح عشان نذاكر سوى.. وبعدها قال لي إنه هيدخل يستحمى قبل ما ننزل سوى نروح الدرس.. كان أبوه في الصالة بيتفرج على التلفزيون كالعادة وعمال يشرب في خمرة!! وبمجرد إن (علي)

سابني ودخل يستحمى.. قمت انا خرجت من الأوضة ودخلت من غير ما ابوه يحس الأوضة التانية.. اللي هي أوضة (نرمين) طبعًا.

- ها.. ولقيت إيه؟!

- دورت كتير قوي لحد لما لقيت مذكراتها.. شيك جدًّا! وكانت مخبياها في الدولاب وسط هدومها كدا.. بس على مين!

- وقريتها؟! وصلت لحاجة؟!

- لقيت خاتم في المذكرات.. في قلب الورق كدا.

- خاتم؟!

- آه.. وشكله خاتم ألماس!

- يا نهار! اوعى تكون خدته.

- بصراحه خدته.

- أنا مش موصياك عليهم عشان تسرقهم يا (يوسف)!! انا موصياك عليهم عشان اعرف سرهم.. وبعدين هتتصرف في الخاتم دا إزاي؟! لو رحت تبيعه لأي محل هيعرفوا انك سارقه وهيبلغوا البوليس و..

- يا طنط اهدي!! انا اضطريت آخده طالما هاخد المذكرات.. ومش عارف إذا كنت هاتصرف في الخاتم دا ولا هاعمل إيه! المهم دلوقتي إن المذكرات معايا!

- طب هاتها وتعالى يلا.

- ساعة وهاكون عندك في البيت.

- لأ.. مش هينفع في البيت.. (لؤي) هنا وبقاله أسبوع ما نزلش ولا شكله ناوي ينزل! أنا هاقابلك الساعة تمانية في شارع التحرير.. في الجناين اللي هناك دي.

- حاضر.. اتفقنا.

- أما نشوف يا ترى (نرمين) كاتبه إيه في مذكراتها!

* * *

الساعة الثالثة مساءً..

ساذج.. أبله.. ضعيف.. أحمق..

كان هذا شعور (لؤي) اتجاه نفسه، كان مكتئبًا منطويًا طوال هذا الأسبوع لدرجة أنه حتى لم يهتم أن يسأل والدته كيف عرفت عن (نور) سرها..

ولاحظ في هذا الأسبوع أن (كريم) أصبح مريبًا وكأنه يخفي عنه شيئًا ما، لكن (لؤي) كذلك لم يهتم أن يستفسر..

لقد أصبح محطمًا.. لا يهتم بأي شيء على الإطلاق!

اتصل به (ممدوح) أمس وأخبره أنه سيعود من فرنسا اليوم، وسأله إذا كان قد حدد الضحية الثانية..

ولكن أي ضحية ثانية؟! إنه عاجز عن التفكير فكيف سيخطط لجريمة جديدة.. تبقى أربعة عشر يومًا فقط يجب أن ينفذوا فيه الجريمة الثانية وهو ما زال لا يملك أدنى فكرة!

"(لؤي)"

سمع اسمه فخرج من شروده ونظر لـ (كريم) الذي قال له:

- انت نمت ولا إيه؟!

- لأ يا عم انا صاحي اهو.

- هتعمل إيه النهاردا؟!

- ولا حاجة.. هافضل في البيت كدا.. وانت؟!

أجابه (كريم):

- هاعدي على (ممدوح) و(نرمين) كمان شوية في الفيلا.

لم يرد عليه أخيه، فتنهد (كريم) متعاطفًا، قبل أن يقول له اهتمام وحنان:

- الدنيا ما بتقفش على حد يا اخويا.. قوم انزل وشوف الدنيا وفكك!

التفت له (لؤي) في بطء وقال:

- فكك انت مني يا (كريم).. وخليك في طب وفي (مريم)!

- ماشي يا عم!

قالها وغادر الغرفة، وكان على وشك أن يغادر المنزل ولكن وجد والدته تقول:

- رايح على فين الصبح كدا؟!

توتر (كريم) وقال:

- ورايا امتحان.

قالت السيدة (سعاد) في فراسة:

- امتحان إيه اللي في شهر اتنين؟!

- أنا في طب يا ماما.. بنمتحن طول السنة أساسًا!!

قالها وشعر بهاتفه يهتز، فغادر المنزل قائلًا:

- سلام يا ماما.

وبمجرد أن غادر المنزل حتى أخرج هاتفه ونظر للشاشة في دهشة، ثم وضعه على أذنه قائلًا:

- (نور)!

ردت عليه في هدوء:

- إزيك يا (كريم)؟

- أنا تمام انتِ اللي عاملة إيه؟ ما نزلتيش من البيت بقالك أسبوع زي (لؤي)

- وهو دا يوم أقدر أنزل من بعده؟!

قال هو في لهجة حازمة:

- أخويا اللي عنده حق ما ينزلش.. انما انتِ؟! انتِ صدمتينا كلنا.

قالت هي في عصبية:

- ما حدش فينا ما غلطش يا (كريم).. بس مش كلنا اتغابى وائتمن (مريم) على سره.. وإلا كان اتفضح زيي.

فكر قليلًا ليستوعب ما تعنيه، ثم قال في تردد:

- هي (مريم) اللي فتنت عليكِ؟!

قالت هي في صرامة:

- دي الوحيدة اللي عارفة سري أصلًا.. طبيعي إن هي اللي حكت لمامتك.

قال هو مدافعًا عن حبيبته:

- و(مريم) ليه تعمل كدا؟! ما تعلقيش غلطات..

قاطعته قائلة في حدة:

- عشان هي بتحب (لؤي).

شعر فجأة بغضب هائل وأن عروقه تغلي، ولكنه حاول أن يتماسك وقال:

- (مريم) بتحبني أنا يا (نور).. يمكن كانت معجبة بـ (لؤي) زمان.

أتاه صوتها يقول في سخرية مريرة:

- أنا مش عايزة أقهرك.. بس زي ما هي دمرت علاقتي أنا لازم أدمر علاقتها.. لازم أقول لك الحقيقة.. (مريم) عمرها ما حبتك.. دي كانت بتستغل..

لم يستطع أن يسمع باقي كلامها فأنهى المكالمة، وشعر أنه يعصر الهاتف في قبضة يده، وكان جسده يرتعش وهو يخاطب نفسه:

- لا.. لا.. اوعى تصدقها.. دي واحدة خاينة وفاجرة وكدابة.. عايزة تبوظ حياة صاحبتها كذبًا زي ما بوظت حياتها.. (مريم) حتى لو فتنت على صاحبتها فعشان هي طيبة ومش عايزة (لؤي) كان يتدبس.. إنما (مريم) بتحبك بجد.. اوعى تصدق غير دا!

ومن الواضح أن حواره مع نفسه أتى بنتيجة فقد استعاد السيطرة على أعصابه وتنهد في عمق، ثم بدأ يسير بخطوات ثابتة، حتى أتته مكالمة أخرى وكانت هذه المرة من (نرمين)..

- ألو.. أيوة يا (نرمين).

- أيوة يا (كريم).. أنا لسا واصلة مطار مصر اهو أنا و(ممدوح).

- حمد الله على السلامة.

- لازم نتقابل ضروري.. وتجيب معاك إكسير الموت دا.

- هنتقابل آه.. لكن اجيبه معايا لأ.

- طب تعالى على الفيلا طيب.. قابلني هناك كمان ساعة زي ما كنا متفقين.

- طب و(ممدوح)؟!

- لأ (ممدوح) مش هييجي معايا.. هيقابل (لؤي).

- انتِ متأكدة يا بنتي؟! (لؤي) قال لي إنه مش نازل من البيت النهاردا!

- آه.. ما هو (ممدوح) هيروح له البيت يقعد معاه في أوضتكم شوية.. يحاول يفك عنه شوية بعد موضوع (نور) دا.

- خلاص تمام.. ساعة وهاكون في الفيلا.

أنهت (نرمين) المكالمة والتفتت لـ (ممدوح) وقالت:

- دلوقتي أهم حاجة إن اللي هنعمله لـ (كريم) دا ماحدش يسمع عنه.

قال (ممدوح) في اهتمام:

- لازم (لؤي) بالذات يقتنع إننا مالناش دخل في اختفاء (كريم).

ردت عليه في حماس:

- بالظبط كدا.. (كريم) هيجيلنا الساعة أربعة العصر.. انت بقى تتصل بـ(لؤي) وتقنعه يجيلنا الفيلا الساعة خمسة.

- متأكدة اننا هنلحق في الساعة دي؟!

- آه طبعًا!. ساعة كفاية جدًّا!

* * *

الساعة الرابعة مساءً..

فتحت (نرمين) بوابة الفيلا قائلة:

- ادخل ادخل.

دخل (كريم) من البوابة سريعًا، وبعد دقيقتين كانا يجلسان في صالة الفيلا وكان يقول:

- ها انتِ لوحدك؟!

أجابته وهي تصب له كأسًا من الخمر:

- آه اتطمن.. بس (ممدوح) مجرد ما ييجي وياخد باله إن الخزنة اتسرقت هتكون مشكلة.

- هو صحيح ما خدش باله ازاي إن المفاتيح بتاعته اتسرقت؟!

- كان معايا نسخ منهم فحطتها مكان الأصليين.

- مافيش حاجة بتعدي عليكِ يا (نرمين)!

ناولته كأس الخمرة وقالت:

- مستعد تجرب الخمرة؟! ولا هتكتفي بتجربة الحشيش؟

ضحك وهو يمسك الكأس:

- هو (لؤي) كدا ما بتتبلش في بقه فولة؟!

- دا اتصل بـ (ممدوح) مخصوص وحكى له!

ارتشف (كريم) من الكأس وقال في جدية:

- (نرمين).. أنا مش هاسمح اننا نقتل حد تاني.. حتى لو هننهي التعويذة بموتي أنا!

- و(مريم) يا (كريم)؟! كل يومين لازم أفكرك بالبنت اللي بتحبك دي ونفسها تعيش معاك؟!

- ما لها (مريم)؟! دي حياتي! وانا نفسي أعيش معاها حياة طبيعية مش كل شهر نقتل! وطالما بقى في طريقة لدا يبقى ليه ما نعملهاش؟ ولو انا اللي هاضحي بنفسي في سبيل كسر التعويذة يبقى ضحيت بنفسي عشان هي تعيش حياة كريمة طبيعية.

استفزها ما سمعته فقالت في صرامة:

- جبت معاك إكسير الموت؟!

قال (كريم) في عصبية:

- ما انا قُلت مش هاجيبه!

- طب لو حد لقاه؟

رد عليها في ضيق:

- لا طبعًا.. أنا محتفظ بيه في مكان مستحيل بني آدم يوصله.. انتِ فاكراني اهبل يا بنتي؟!

ضحكت (نرمين) قائلة في خبث:

- أنا مش فكراك.. أنا متأكدة!

هتف في استنكار:

- نعم؟!

كان قد أنهى شرب الكأس في تلك اللحظة، وردت عليه (نرمين) في جدية وكراهية وغضب:

- انت بجد مستفز! حد يقول للخلود لأ؟! حد يرفض النعمة يا غبي؟

صدمه ما سمعه ونظر لها نظرة مبهمة، وأكملت هي في حدة:

- بس انت اللي خنت الأول وخبيت عليَّ إن جوزي هيموت لو أنهينا التعويذة.. يعني مش انا اللي بديت خوانة!

نظر لها في خوف وقلق وقال:

- قصدك إيه؟!

قالها وشعر أن الدنيا تدور من حوله وأنه لا يستطيع الحفاظ على عينيه مفتوحة ووجدها تنظر له في نشوة انتصار وهي تقول:

- عايز تنهي خلودنا؟! وفاكرني هاسمح لك بحاجة زي كدا؟!

شعر أن جسده يؤلمه حقًّا، فصاح:

- عملتِ فيَّ إيه يا بنت الكلب؟!

ضحكت هي في نشوة وقالت مستمتعة:

- دا مصير الأغبيا اللي زيك! إنسان بارد ومستفز!

حاول أن ينطق لكنه لم يستطع ووقع أرضا متألمًا، بينما هي ظلت جالسة واضعة ساقًا على ساق وتقول في برود:

- ما كنتش أتمنى تبقى دي نهاية التحالف اللي كان بينْنَا.. كنت استظرفتك الصراحة!! بس انت السبب.. انت وغباءك! أحب اقول لك إن أول كاس خمره تشربه كان كاس خمرة بالسم!

وكانت هذه آخر كلمة يسمعها وبعدها استكان جسده ولم يعد يشعر بأي شيء، ونهضت هي تنظر لجثته في هدوء.. وهنا ظهر (ممدوح) وقال:

- كنتِ قاسية قوي عليه!

نظرت له قائلة:

- دا مصير أي حد ييجي علينا.

ثم قالت في سرعة:

- يلا بقى انجز.. كلها دقيقتين وهيصحى من الموتة!

أخذ (ممدوح) يفتش جثة (كريم) جيدًا فأخذ منه المسدس، مغمغمًا:

- مسدسي رجع لي تاني!

ثم أخذ يقيد جثة (كريم) جيدًا، وكانت (نرمين) واقفة تنظر له في توتر، فقال لها:

- اتطمني أنا عارف هاعمل إيه كويس.

بعد ربع ساعه كان انتهى (ممدوح) من تقييد جثة (كريم) الذي في الواقع كان قد عاد للحياة وأخذ يحاول أن يتحرر من هذه القيود، ولكنها كانت محكمة جدًّا، وحاول أن يتكلم لكنه شعر بملصق على فمه يمنعه من الحديث، فنظر لـ (نرمين) في غضب وكراهية التي نظرت له في سخرية واستهزاء قائلة في تلذذ:

- انت فاكر (مريم) بتحبك بجد؟!

لم يستطع الرد بالطبع ولكن ظهر في عينيه القلق والخوف، فأكملت هي لتقهره وقد ظهر عليها الاستمتاع بما تفعله:

- (مريم) كانت بتستغلك يا اهبل عشان تقتل لحسابها وتحميها! وانا اللي أقنعتها تعمل دا على فكرة.. وهي ما كانتش مقتنعة في الأول بس وافقت في الآخر.. إلا قول لي هو انت صدقت بجد تمثيلها دا؟! طب فاكر يوم الفرح لما انت كنت واقف حزين في ركن بعيد وهي جات لك تبطبطب عليك وتكلمك؟! أنا اللي كنت قايلالها تعمل كدا.. ما انا كنت خايفة إنك تتغابى وتودينا في داهية كلنا فكان لازم نسيطر عليك عن طريقها.. وانت الحمد لله زي العبيط بتصدق أي حاجة كدا.. انت فاكر في بنت ممكن تبص لإنسان جبان وشخصيته ضعيفة ومهزوزة بالشكل دا؟!

كانت عينيه ممتلئة بالدموع في تلك اللحظة وكان قلبه يتألم لأقصى حد ممكن، وشعر بأسوأ شعور في الدنيا، واقترب منه (ممدوح) الذي ظهر عليه أنه متعاطف معه، ولكنه حمله على ظهره وقال في احترام وحزن:

- آسف يا دكتور والله!

ثم غادر الفيلا وألقى به في حقيبة السيارة، وركبها وانطلق بها...

بينما ظلت (نرمين) وحيدة في الفيلا لمدة ربع ساعة أخرى، حتى اتصل بها (لؤي) وقال:

- أنا واقف عند بوابة الفيلا اهو.. وباتصل بجوزك مابيردش!

- أنا خارجة افتح لك اهو.

فتحت له البوابة، فدخل هو وقال في عصبية:

- ها.. فين (ممدوح)؟!

قالت (نرمين) مستنكرة:

- كدا من غير ازيك ولا وحشتوني ولا أي حاجة؟!

التفت لها (لؤي) في ضيق وقال:

- باقول لك إيه! أنا مش حاسس بأي حاجة أساسًا.. والسبب الوحيد اللي خلاني انزل من البيت واجي لكم هو ان (ممدوح) قال لي المسألة مسألة حياة أو موت.

جذبته من ذراعه لداخل الفيلا، وقالت:

- اهدا بس كدا وفضفض لي.. (ممدوح) قدامه ساعتين عما يرجع!

أصبحا في الصالة في تلك اللحظة، وتساءل هو:

- (كريم) قال لي انه هيعدي عليكم في الفيلا.. هو ما جاش؟

تظاهرت هي بالحيرة وهي تقول:

- لا ما جاش.. تلاقيه قابل (مريم) ولا حاجة.

ودفعته بيدها من صدره لتجلسه على الأريكة فقال هو في توتر:

- ما يصحش اني أبقى معاكِ لوحدك المدة دي.. هو قال لي آجي ليه الساعة خمسة طالما هو هيتأخر كدا؟!

حاول أن يتفادى النظر لها حتى يخفف عن نفسه الإحراج، لكنها جلست بجواره وقالت في دلال:

- إذا كان هو نفسه ما هموش إنك تبقى معايا لوحدنا؟!

كان ينظر بعيدًا، فأمسكت برأسه لتجعله ينظر لها وقالت:

- احكي لي يا (لؤي).. فضفض لي.

قاوم دموعه وهو يقول:

- أنا غبي.. وعبيط.. (نور) طلعت ضاحكة عليَّ كل الفترة دي!

طبطبت عليه وأخذته في حضنها، ولم يمانع هو على الرغم أنه كان يدرك جيدًا حجم الخطأ، وسمع صوتها يقول في حنية:

- شيل الخاينة دي من دماغك.. انت راجل مافيش زيك وتستحق أحسن من كدا بكتير.. اسألني أنا.. أنا أكتر واحدة عارفة يعني إيه أبقى في علاقة مظلومة فيها.

تمادى هو في الوضع واحتضنها بقوة..

اندهش لأنه وجد نفسه لا يمانع على الإطلاق، فإذا كانت لـ (نور) تجربة سابقة، فلماذا لا يكون له؟! كان شيءٌ ما بداخله يخبره أن هذا سيكون انتقامًا صائبًا يعيد له شعوره برجولته.. سيشعر أفضل إذا قام بهذا بلا شك!!

ساعده في هذا أنه شعر أن (نرمين) راغبة حقًّا.. بالطبع هي راغبة! فالجميع يعرف جيدًا أنها لا تحب (ممدوح)!!

وبالفعل كانت هي راغبة وموافقة.. فما معنى الخلود إذا قالت "لا" لرغباتها؟! وفي الواقع (ممدوح) لا يرضيها أبدًا.. ولم تكتفِ به يومًا..

وجد نفسه يقبلها فوجدها راضية بل وتجذبه بقوة ناحيتها و...

ولأسبابهم المختلفة استسلما الإثنان لهذه اللحظة..

* * *

ماذا كنت ستفعل؟!

أتختار نفسك؟!

* * *

الساعة السادسة مساءً..

لأكثر من ساعة لم يكن (كريم) قادرًا على رؤية أي شيء بسبب الغطاء الذي وضعه (ممدوح) على رأسه، وبالطبع كان (كريم) مقيدًا بإحكام مما جعله غير قادرٍ على الحركة أو الرؤية..

أزال أخيرًا (ممدوح) الغطاء من فوق رأسه فتمكن أخيرًا من رؤيته، فوجد نفسه مع (ممدوح) في قارب صغير وسط النيل في ظلام دامس، وليس هناك أي قوارب أخرى قريبة منهم، فاستنتج (كريم) أنهم في مكان بعيد عن القاهرة أو على الأقل عند أطرافها..

نظر له (ممدوح) في حزن:

- أنا فعلًا حزين باللي هاعمله دلوقتي.. بجد قلبي بيتقطع إني هاعمل كدا.

كان (كريم) مكمم الفم فلم يستطع الرد، بينما صمت (ممدوح) قليلًا ثم اقترب منه وربت على كتفه قائلًا في حب وحسرة:

- هتوحشني باقي عمري!

ثم دفعه فجأة بقدمه فأوقع (كريم) خارج القارب فوقع في ماء النيل وتسبب ثقل ملابسه والأحبال المربوط بها في جعله يهبط لأعماق النهر سريعًا..

حاول (ممدوح) أن يمنع نفسه من أن يبكي وهو يأخذ قاربه مجدفًا عائدًا للقاهرة..

إنه يحب أفراد الشلة جميعهم من قلبه، فكان الأمر عسيرًا حقًّا عليه، ولكن لم يكن بيده حيلة!

سالت دمعة من عينيه.. لقد قتل للتو واحدًا من أعز أصدقائه!

وليس قتلًا هينًا! بل قتلًا سيعذبه.. سيمر عليه أربعة عشر يومًا يغرق ويعود للحياة مرة أخرى ثم يغرق مجددًا ويعود مجددًا، حتى يمر الأربعة عشر يومًا الباقيين ليصبح قد مر عليه ثلاثون يومًا دون أن يتسبب في قتل إنسان، ووقتها سيغرق ميتًا للمرة الأخيرة!

هذه هي الطريقة الوحيدة ليتخلص من (كريم)، لتستمر التعويذة ويستمر خلودهم..

ولم يكن يدرِ أنه في نفس اللحظة التي خان فيها صديقه وألقاه بالنهر، كانت زوجته وصديقه يخونوه في فيلته.. في فراشه..

ولكن هكذا هي الدنيا.. يومان! يوم لك ويوم عليك!

أو لعلهما نفس اليوم!

* * *

إن الإنسان في كل مكان وكل زمان يسعى ليجد تفسيرًا لذلك المجهول الذي ينتظره بعد الموت، ويظن الكثير أنه يعلم بعضًا من هذا المجهول طبقًا لنظرات دينية أو فلسفية، وبغض النظر عن مدى صحتها، فسيبقى ما بعد الموت هو لغز كبير لن نعرف تفسيرًا له إلى أن يفسر!

* * *

مذكرات

الساعة السادسة والنصف مساءً..

كان أسبوعًا شاقًّا حقًّا..

لقد تخلى عنها (لؤي)، وانتهت علاقتهما، وأسوأ ما في الأمر أنها لا تملك حتى صديقة عمرها لتحكي لها عن آلامها لأن وبمنتهى البساطة صديقة عمرها هي من تسببت في هذا الألم!!

كيف استطاعت (مريم) أن تخونها بهذا الشكل؟!

كيف استطاعت أن تفشي سرها وتنهي علاقتها؟!

حتى النوم بالنسبة لـ (نور) كان عذابًا، فقد أصبحت الأحلام مؤلمة لأقصى درجة، وأغلبها تتلخص في أن السيدة (سعاد) تتحدث لها باحتقار وتشعر هي بالذل والخجل أمام (لؤي)..

تمامًا كما حدث ولكن بسيناريوهات مختلفة..

السيدة (سعاد)! كم أصبحت تكره هذه السيدة!!

هل يمكن أن تكون هذه هي نهاية قصة حبها هي و(لؤي)؟!

لا.. لن تسمح بهذا..

أمسكت بهاتفها المحمول وأخذت القرار واتصلت بـ (لؤي)..

في تلك اللحظة كان (لؤي) في الفيلا فوق السرير في غرفة النوم عاريًا بجوار (نرمين)، وعندما سمع صوت هاتفه المحمول لم يتحرك من مكانه ولا يبدو أنه سمعه حتى، فقالت (نرمين):

- مش هتشوف مين بتصل بيك؟!

هز رأسه نفيًا، وصمت قليلًا ثم قال في هدوء:

- انتِ ندمانة على اللي حصل بينْنَا من شوية؟!

هزت كتفيها قائلة:

- واندم ليه؟! من حقي اعمل اللي انا عاوزاه لو هيبسطني.. (ممدوح) بيتعامل معايا كأنه بيتملكني.. وهو ما فيهوش إلا الفلوس.

وصمتت ثانية، ثم تساءلت في فضول:

- انت بقى ندمان؟!

فكر قليلًا قبل أن يجيبب بصوت خافت:

- بالعكس.. أعتقد إني كنت محتاج أغلط غلطة زي دي! التصرف بمثالية طول الوقت ساعات بيخنق وبيخلي الواحد يحس إنه قليل وضعيف! ساعات بنحتاج نغلط عشان نحس إننا بني آدمين وأقويا وان ما حدش يتوقعنا واننا ممكن نغلط عادي!

ظلت مدة تنظر لوجهه وهي تتأمل كلامه وتفكر به في عمق، ثم نهض هو وأخذ يرتدي ملابسه، حتى دوى صوت هاتفه المحمول مجددًا، فنهضت هي قائلة:

- لازم تشوف بقى مين على الموبايل.

والتقطت هاتفه من فوق المنضدة قائلة:

- دي (نور)!

ظهرت عليه اللهفة وأخذ منها الهاتف ثم قال في تردد:

- أفتح عليها؟!

ظهر عليها الضيق وقالت:

- انت حر! المهم تتكلم برَّا الأوضة عشان اروقها عشان ما يبقاش فيها دليل على اللي عملناه.. والأهم من كدا إن مافيش جنس مخلوق يعرف اللي عملاه دا.. لا دلوقتي ولا بعد ألف سنة!

أومأ برأسه موافقًا، وانصرف تاركًا إياها في الغرفة، وقال عبر الهاتف في نبرة أرادها أن تكون هادئة وباردة:

- أيوة.

أتاه صوت (نور) يقول في لهفة:

- أيوة يا (لؤي).

عاد يقول بنفس النبرة:

- أيوة؟!

- ممكن أشوفك؟

- ليه؟

- أنا آسفة جدًّا يا (لؤي).. بس انا عايزة أشوفك.

شعر (لؤي) أن لديه استعداد حقًّا ليسامحها، ربما ما فعله منذ قليل جعله أكثر قابلية لأن يسامحها.. فرد عليها في صرامة:

- قابليني في شقة النخلة الساعة تسعة.

أتاه صوتها السعيد يقول:

- أمرك!

وشعر هو بشوق حقيقي لمقابلتها..

* * *

الساعة السابعة والنصف مساءً..

دخل (لؤي) من باب منزله ونظر لوالدته التي كانت على وشك الخروج وقال:

- انتِ رايحة فين يا ماما؟

- أشتري شوية طلبات.. إنما انت أخيرًا نزلت من البيت النهاردا.. كفارة!

ابتسم قائلًا:

- ما عندكيش فكرة يا ماما يومي كان النهاردا مميز إزاي! في حاجات كانت أول مرة اعملها حياتي.

- حاجات إيه دي؟! صليت المغرب؟!

ضحك قائلًا:

- ماشي ماشي اتريقي كدا.

ضحكت وهي تغادر المنزل تاركة (لؤي) بمفرده، ومن شرفة منزلها لمحت (مريم) السيدة (سعاد) تغادر منزلها، وأدركت أن (لؤي) وحده بالمنزل، وكانت هذه هي اللحظة التي كانت تتصيدها، فارتدت حجابها بسرعة وغادرت منزلها..

كان (لؤي) في صالة منزله يخلع ملابسه حتى يرتدي الملابس الذي سيذهب بها لمقابلة (نور)، عندما سمع ضربات على باب المنزل، وعلى الرغم أنه كان نصف عارٍ إلا أنه فتح الباب ظنًّا منه أنها والدته وقال:

- نسيتِ البوك ولا إيه؟!

ولكنه تفاجأ بـ (مريم) تدخل المنزل وتغلق الباب خلفها، ثم نظرت له في خجل وتظاهرت بالدهشة وقالت:

- إيه دا.. فين مامتك!

قال هو في استنكار:

- دي لسَّا نازلة! دا انتِ كأنك ظبطاها.

تظاهرت هي بالبكاء واقتربت منه وربتت على كتفه في حنان وقالت:

- أنا آسفة جدًّا بخصوص اللي حصل في موضوع (نور).. أنا كنت عارفة اللي هي عملته بس كنت محرجة وخايفة أقول لك.. عشان دي مهما كان صاحبتي يعني.

قال هو في جمود:

- ولا يهمك يا (مريم).

اقتربت منه أكثر وضمته في حضنها، وأخذ تتحسس ظهره العاري في حنان، ولم يكن الأمر يحتاج للكثير من التفكير حتى يدرك (لؤي) ما ترغب (مريم) به، وأصابته الدهشة حقًّا والحيرة كذلك..

كان الأمر يدعو للسخرية أيضًا، فهو منذ أقل من ساعتين كان مع (نرمين).. يبدو أن الرغبة فيه مرتفعة اليوم!

ولكنه استسلم لـ (نرمين)، ولكن الموضع مع (مريم) مختلفٌ..

كان أمامه اختيار صعب، فهي صديقة عمر (مريم)، وسيكون انتقامًا رهيبًا من (نور)..

ولكن.. هل (نور) حقًّا تستحق كل هذا الانتقام؟!

لكن سببًا آخر بخلاف (نور) جعله يحسم رأيه..

فأبعدها عن حضنه وقال:

- ما يصحش يا (مريم).

أصابتها هذه الجملة بغضب هائل، ولكنها كتمته وهي تقول لتستفزه حتى يستسلم لها:

- اللي ما يصحش اللي (نور) عملته فيك.

وعادت تقترب منه، فأبعدها وهتف في حدة:

- ما قُلت ما يصحش يا (مريم)! انتِ بتعملي إيه؟!

توترت هي في تلك اللحظة، وشعرت بأنها في أسخف موقف في حياتها، فهي لم تظن أبدًا أنه سيرفضها، فهتفت في غضب:

- هتفضل كدا مثالي وهي زبالة معاك! صعب عليك قوي تخونها؟! أُمال هتفضل تاخد فوق دماغك كدا وساكت؟!

كان على وشك أن يفقد أعصابه ويصفعها حتى أنها شعرت بهذا فتراجعت في خوف، ولكنه وجه غضبه في شيء آخر فأطاح بالتلفاز الموضوع فوق المنضدة فوقع أرضًا في عنف، وعاد ينظر لها في غضب وصاح بها:

- أنا اللي فارق معايا أخويا مش (نور).. أخويا اللي مستحيل أتسبب له في جرح زي دا.. لإنه للأسف بيحبك.. أخويا اللي من الواضح انك بتلعبي بيه! دا انتِ مافيش أزبل منك! اطلعي برَّا! باقول لك اطلعي برَّا!

كانت هي مرعوبة حقًّا وانصرفت من المنزل بسرعة، وهبطت درجات السلم وهي تبكي، فرفضه لها كان مؤلمًا حقًّا وجارحًا لها لأقصى درجة.. كان رفضًا مهينًا!

ما يهم الآن ألا يخبر شقيقه بما حدث، فهي لا يمكن أن تخسر (كريم) كذلك.. حينها لن يتبقى لها أحد.. خسرت صديقة عمرها والشخص الذي تحبه فلا يمكن أن تخسر أيضًا الشخص الذي يحبها!

* * *

الساعة الثامنة مساءً..

في تلك الحدائق العامة، كان يجلس (يوسف) يتصفح في مذكرات (نرمين)، حتى اقتربت منه السيدة (سعاد) وجلست بجواره قائلة في لهفة:

- هاتها يا واد.

أعطاها المذكرات وقال:

- كدا من غير إزيك ولا حاجة.

أمسكت المذكرات وأخذت تقلب الورق، وقالت في سخط:

- كل دي كتابة يا بنت الرغاية!

قال هو:

- ما تقلقيش أنا ما كانش ورايا غيرها طول اليوم.. قريت معظمها.. دي مذكرات السنادي بس.

التفتت له قائلة:

- طيب وطلعت قايلة حاجة مهمة.

أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يقول:

- اللي انا استنتجته إنها مش بتحب (ممدوح) وانه بالنسبالها مجرد فيزا لبنك!

نظرت له في دهشة وقالت:

- هي قايلة كدا؟

- لا.. هي أذكى من إنها تقول حاجة زي دي.. أنا اللي استنتجت من أحداث مذكراتها ومن كلام أخوها.. هي تقريبًا كانت عاملة حسابها إن ممكن

مذكراتها تتسرق.. فكانت بتكتب بحرص جدًّا.. بس كانت كاتبة استنتاجات ليها لمشاعر الشلة.. كانت كاتبة مثلًا إن من الواضح جدًّا حب العبودية اللي (كريم) بيحبه لـ (مريم).. تخيلي؟! حب عبودية؟! شفتِ اللفظ؟! وكاتبة كمان إن كان واضح قوي بالنسبة ليها إن (مريم) بتحب (لؤي) وانها بتحقد على (نور) بسببه.

ظهر الذهول على السيدة (سعاد) وهتفت:

- (مريم) بتحب (لؤي)!

ثم انتبهت لشيء ما فقالت:

- يبقى عشان كدا جت وقالت لي على سر (نور)!

ثم التفتت له وقالت بسرعة:

- طب وفيه حاجة تانية ليها لازمة؟!

- الحاجة المريبة إن آخر يوم هي كتبت عنه كان يوم 16 يناير.. ودا معاه إن اللي حصل بعد اليوم دا ما كانش ينفع يتكتب.

- طب وإيه اللي حصل بقى يوم 16 يناير؟!

- يوم 15 راحت هي و(ممدوح) و(لؤي) و(كريم) و(نور) و(مريم) لدجال.. وطلبوا منه يعمل تعويذة يخليهم خالدين.. يعني ما يموتوش أبدًا.

- أستغفر الله! وبعدين؟

- يوم 16 بقى هي كاتبة إنها قالت لـ (ممدوح) إن الخاتم الألماس بتاعها وقع عند الدجال.. وان (ممدوح) راح للدجال يدور على الخاتم.. ركزي معايا بقى

يا طنط.. أنا متأكد إن هو دا الخاتم اللي أنا لقيته في المذكرات.. هي كانت بتكدب على (ممدوح) والخاتم ما وقعش ولا حاجة! هي مش كاتبة إنها كدبت عليه بس برضه مش كاتبة إنه وقع منها.. هي كاتبة إنها قالت لـ (ممدوح) إنه وقع.. ودا أسلوبها في الكتابة زي ما انا قلت لك.. عشان ما يتمسكش عليها غلطة.

فهمت السيدة (سعاد) ما يقصده، وقالت:

- طب وإيه اللي حصل؟!

- اللي حصل إن (ممدوح) راح للدجال والدجال قال له إن التعويذة نجحت وانهم فعلًا بقوا خالدين.. بس التعويذة ليها شروط.. وهي إن لازم ما يعديش تلاتين يوم على كل واحد فيهم إلا ويتحمل ذنب موت روح.. ممكن تكون روح واحدة يتحملوا ذنبها كلهم.. وممكن لو اتفرقوا كل واحد يتسبب في موت روح مختلفة عن التاني.. المهم إن لو عدا التلاتين يوم على واحد منهم من غير ما يكون تسبب في موت إنسان يبقى هيموت.

شهقت السيدة في حدة وقالت:

- انت بتقول إيه بس؟!

- دا اللي مكتوب والله يا طنط.. دي آخر حاجة مكتوبة.. المذكرات واقفة لحد كدا.

- وانت مصدق التخاريف دي؟

- لا طبعًا.. يعني إيه تعويذة خلود لازم يجددوها كل شهر! هي باقة نت؟!

- يعني انت مش مصدق؟

- المهم هم صدقوها ولا لأ؟!

- نعم؟

- أقصد إن معنى إن المذكرات واقفة لحد كدا إنهم صدقوها.. لإن مستحيل إن (نرمين) تكتب عن تخطيطهم لجريمة قتل! وبالتالي بطلت تكتب.

توترت السيدة (سعاد) وأصبحت تتصبب عرقًا على الرغم من برودة الجو، وقالت:

- يا ستار يا رب.. معقولة؟! معقولة يكون ولادي قتالين قتلة؟!

حاول أن يهدئ من روعها فأخذ يقول:

- ما حدش يعرف اللي حصل يا طنط.. ما يمكن ما قتلوش ولا حاجة.. أنا هارجع أراقبهم تاني زي ما كنت باعمل.. ولو كدا يبقى مسيرهم هيقتلوا قريب.. ويارب إحساسنا دا ينزل على فاشوش!

ولكنه ندم كثيرًا على قراره..

* * *

الثامنة والنصف مساءً..

فتح (ممدوح) باب غرفة النوم في الفيلا، فلم يجد سوى زوجته بالداخل نائمة على السرير تقرأ في رواية، فقال:

- (لؤي) فين؟!

رفعت نظرها له وقالت في هدوء:

- فضل مستنيك شوية ولما اتأخرت راح لـ (نور).

- هم اتصالحوا؟!

- لا بس اعتقد إنهم على وشك إنهم يتصالحوا.

قال وهو يخلع ملابسه:

- عظيم.. عشان نشوف شغلنا.

- اتطمن.. كلها يومين وهتلاقينا احنا الستة بنخطط للضحية التانية.

- قصدك إحنا الخمسة.. نسيتِ (كريم) اللي لسا راميه في النيل من شوية ولا إيه!

عقدت (نرمين) حاجبيها وقالت في قلق:

- انت متأكد إننا كدا خلصنا منه؟

ألقى بجسده على السرير وقال:

- طبعًا.. هيتعذب أسبوعين وبعدين هيموت.. ربنا يكون في عونه.

ثم أخذ يتحسس شعرها في حب وقال:

- وحشتيني قوي يا حبيبتي.. محتاج أكون معاكِ بعد يوم صعب طويل زي دا.

أمسكت بيده في رومانسية لتمده ببعض الحنان، وقالت:

- وانا كمان يا حبيبي.

أمسك (ممدوح) بالرواية وألقاها بعيدًا وقال ضاحكًا:

- مش وقت روايات دا.

ضحكت الملعونة بدورها، وكأنها لم تكن تخون هذا الرجل على نفس الفراش منذ ساعتين فقط!!

* * *

الساعة التاسعة مساءً..

فتح (لؤي) باب الأسانسير وخرج منه للدور السابع حيث الشقة التي أهداها له (ممدوح)، فوجد (نور) واقفة أمام باب الشقة وعندما رأته نظرت أرضًا وقالت بصوت خافت:

- معاييش مفتاح ففضلت واقفة مستنياك.

لم يرد عليها وأخرج المفتاح وفتح باب الشقة ودخل وأشار لها بالدخول فدخلت خلفه، فأضاء نور الصالة ثم أغلق الباب، وأشار لها لتجلس على كرسي وقال:

- اتفضلي.. مش دا الكرسي اللي كنتِ قاعدة عليه وانتِ سكرتيرة الدكتور (ممدوح)؟

ضحكت ضحكة خافتة وقالت:

- آه هو.

وجلست ونظرت له فوجدته ينظر لها نظرة مبهمة وقال بعد تردد دام حوالي دقيقة:

- أنا عندي استعداد أسامحك يا (نور).

ابتسمت هي في فرحة، بينما ظل هادئًا وقال:

- انتِ سامحتيني على سكة المخدرات اللي كنت ماشي فيها.. واقتنعتي بكلامي لما قلت لك نقتل ونعيش خالدين سوى.. وانا هاسامحك.. الإنسان خطاء بطبعه.. بس عندي 3 شروط..

هتفت هي:

- اتشرط براحتك يا حبيبي!

قال في حدة:

- لو كدبتِ عليَّ أو خبيتِ عني حاجة تاني يبقى بإيدك بتنهي علاقتنا للأبد.. وهيكون ليَّ رد فعل عنيف جدًّا.

أومأت برأسها وهي تنصت بعناية لما يقوله، وأكمل:

- الشرط التاني هو إن علاقتنا دي هتبقى سر.. الشلة بس اللي هتكون عارفة.. إنما أي حد تاني لأ.. عشان مستحيل الخبر دا يوصل لأمي عشان أنا ما اقدرش على زعلها ولا إني أصدمها.. ولو أنا محظوظ يبقى أمي هتعيش لي كمان تلاتين سنة! وبعد كدا قدامنا العمر كله حرفيًّا نعيشه سوى براحتنا في النور.

لم تكن هي موضع يمكنها من الاعتراض أبدًا، وتساءلت:

- والشرط التالت؟!

ونظر هو في عينيها في صرامة وقال:

- الشرط التالت إن الضحية اللي هنقتلها هتكون (أشرف).

وبالطبع لم تجرؤ (نور) على أن تعترض!

* * *

أتقتل من أجل حبيبتك؟!

* * *

مأزق

مر الأسبوع الثالث طويلًا صعبًا بالنسبة لـ (لؤي) الذي قضاه في البحث عن أخيه..

أين (كريم)؟! أين هو؟!

لقد اختفى تمامًا دون أثر.. لقد بحث عنه في كل مكان..

والدته أصبحت تنظر له نظرات تملؤها الريبة والشك، إنها تعلم شيئًا ما حتمًا!!

وهي تلومه كذلك على اختفاء أخيه، مما اضطر (لؤي) ألا يعود للمنزل أبدًا؛ لأنه سيجد والدته حزينة تنظر له نظرات اتهام وتسأله في أسًى "فين أخوك يا (لؤي)؟".. وهو لا يملك إجابة!

اعترفت له (نور) بأنها اتصلت بـ (كريم) قبل اختفائه بمدة بسيطة لتخبره أن (مريم) تتلاعب به.. هل صدمه ما سمعه من (نور)؟! هل صدمه للدرجة الكافية لكي يبتعد ويختفي عنهم؟! هل الأمر هكذا؟!

(مريم) تقسم له أنها لا تدري أين (كريم)، وأن ما حدث مريبٌ حقًّا وهي لا تعلم عنه شيئًا..

هل يمكن أن يكون لـ (ممدوح) و(نرمين) علاقة باختفاء (كريم)؟!

إنهم يتظاهرون بالبلاهة ولكن هل حدوث اختفاء (كريم) في نفس يوم عودتهم للقاهرة صدفة؟!

أخذت تراوده هذه الأفكار والشكوك طوال هذا الأسبوع، حتى يأس من إيجاد إجابة، فلم يكن بيده سوى أن يدعو الله أن ينقذ أخيه من أزمته مهما كانت، وأن يعود له بخير..

وأدرك (لؤي) أنه قد حان الوقت للضحية التالية.. حان الوقت لقتل (أشرف)..

ستكون هذه الجريمة مرضية له أكثر من سابقتها.. إنه يرغب حقًّا في قتل (أشرف) أكثر مما رغب في قتل (وائل) أو أي إنسان آخر!

وكانت الخطة هذه المرة أكثر بساطة.. لا يوجد داعٍ للتمثيل أو تزييف عيادة.. فـ (أشرف) زميلهم بالكلية وإن كانت علاقتهم به ضعيفة..

اتصل (ممدوح) بـ (أشرف) ودعاه لليلة من الخمر والنساء! عرض لا يمكن أن يرفضه (أشرف)..

في بداية المكالمة اندهش (أشرف) وقال:

- انت بتقول إيه يا راجل.. دا انت متجوز ما بقالكش شهر!

رد عليه (ممدوح) ساخرًا:

- ويا ريتني ما اتجوزت.. دي معكننة عليَّ عيشتي يا ابني والله.. وما صدقت إنها هتقعد عند ابوها اليومين دول.. يلعن أبو الجواز يا جدع!

ضحك (أشرف) وقال في مرح:

- على وضعك.. مين تاني غيرنا جاي؟!

رد عليه (ممدوح) في مرح مماثل:

- في اتنين شباب كمان اصحابي بس ما تعرفهمش.. ومزز ياما بقى.. بس من اللي قلبك يحبهم.. وخمرة وكل حاجة للصبح... عايزين نخربها!

ضحك (أشرف) وقد ظهر في صوته الحماس وهو يقول:

- أنا دااايس.. كنت مستني مكالمة زي دي من زمان.

ولكن لم يخطر على باله أنه ذاهب بإرادته للقاء حتفه.. لم يخطر أبدًا!

* * *

صعب على الإنسان أن يتصور موته هو، لأن واقعة موته تضطره أن يتصور العالم بدونه، وهذا ما لا يمكن تصوره!

ومن هنا فإنه يظن أن الموت قد يصيب غيره من البشر، فكل فرد منا ينسب إلى نفسه ميزة البقاء.. في رأيي فلا يوجد أقسى على نفس المحتضر من أن يشعر أنه يموت وحده، وأن العالم مستمر من بعده، دون أن يحفل بغيابه في كثير أو قليل!

ماذا لو أتاك خبر أن حياتك ستنتهي خلال شهر على الأكثر؟!

هذا ما حدث لـ (علي) شقيق (نرمين) الأصغر عندما علم أنه يملك مرض السرطان مثل والدته التي توفت بعدما أنجبته بعامين..

لم يكن من السهل على الطبيب أن يخبره، وطلب أن يرى والده أو شخصًا أكبر مسؤولًا عنه، لكنه اضطر في النهاية لإخباره بعد محاولات عديدة من (علي) و(يوسف)..

لقد أحبه (يوسف) حقًّا.. لقد أصبحا أعز أصدقاء في مدة قصيرة جدًّا!

بالطبع (علي) لم يعلم أن (يوسف) كان يستغله في البداية.. لكن ما يهم الآن أن (يوسف) يحبه بصدق..

تألم بشدة عندما علم أن صديقه سيموت خلال شهرين على الأكثر!

وما زاد ألمه أن (علي) لا يملك في حياته من يجالسه أيامه المعدودة المتبقية.. فوالده في عالم آخر! وشقيقته (نرمين) على الرغم أنها تحبه بصدق إلا أنها مشغولة عنه.. فهي حتى طوال هذا الأسبوع منذ أن عادت من فرنسا لم تزره غير يومٍ واحد.. وعندما لم تجد مذكراتها أخذت تصيح به وتبحث عنها طوال اليوم واتهمت والدها بالسرقة.. كان يومًا سيئًا وقرر (علي) أنه لن يخبرها أن حياته تنتهي، فهي مشغولة حتى النخاع في حياتها الخاصة كما أنه لا يريد أن يؤلمها أو يشغل بالها..

لقد قرر أن يموت في هدوء..

* * *

الثالث والعشرون من فبراير..

ظهرت الدهشة على وجه (أشرف) وهو يقف في صالة الفيلا، ونظر لـ(ممدوح) قائلًا:

- أُمال فين صحابك والمزز اللي كنت بتتكلم عنهم؟!

قال (ممدوح) وهو يشير له بأن يصعد درجات السلم الداخلي للفيلا:

- أصحابي هيجيبوهم وجايين كمان شوية.. أهو عما ندردش حبة.

صعدا للطابق الثاني الداخلي ودخلا غرفة بها الكثير من المقاعد الفاخرة.. كان (أشرف) صاحب قوامٍ ممشوقٍ ووسيمًا إلى حد كبير، ولا تفارقه ابتسامته المرحة أبدًا، وجلس على أحد هذه المقاعد قائلًا:

- الترم التاني بدأ بقاله أسبوع اهو وانا لسا ما نزلتش الجامعة.

ضحك (ممدوح) وهو يصب لهما كأسين من زجاجة خمر وقال:

- ولا انا.. هابقى أنزل على الميد تيرم.

ارتفعت ضحكات (أشرف) وهو يقول:

- دا لو نزلنا أصلًا! دا انا شكلي هاخلل في الكلية دي.

ثم تناول الكأس من (ممدوح) وارتشف منه وتلذذ بمذاقه..

- أهلًا.. إزيك يا (أشرف)؟

قالها (لؤي) الذي دخل بغتة للغرفة فالتفت له (أشرف) وانتفض فجأة من فرط المفاجأة، وتوتر ولكنه حاول ألا يظهر توتره وهو يقول:

- (لؤي)! أنا تمام انت اللي عامل إيه؟ انت ظهرت فجأة كدا منين؟

جلس (لؤي) أمام (أشرف) ونظر في عينيه في صرامة، وقال (ممدوح):

- (لؤي) كان بايت هنا معايا.

شرب (أشرف) ما تبقى من كأسه، بينما قال له (لؤي) في كراهية:

- بقالي أسبوعين باحلم باللحظة دي.. إني أشوفك قدامي كدا وانت بتموت.

هتف (أشرف) مستنكرًا:

- نعم؟!

قال (لؤي) في هدوء:

- بنات الناس مش لعبة يا (أشرف).. وقبل ما تسرح ببنت وتخليها تحبك عشان تسيب لك نفسها لازم تفكر كويس جدًّا الأول.

بينما نهض (لؤي) من مكانه واقترب من (أشرف) الذي انتبه للموقف وحاول أن ينهض من مكانه ولكنه شعر أنه عاجزٌ عن تحريك أطرافه، ونظر لـ(ممدوح) الذي قال له في شماتة وتلذذ وقد اقترب من وجهه:

- إن ممكن البنت دي يكون ليها ضهر ينتقم لها.. وياخد حقها من كلب زيك.

وهنا ظهرت (نرمين) و(نور) و(مريم)، وصرخ (أشرف) في تلك اللحظة من شدة الألم وقد وقع في أرض الغرفة، ورفع (أشرف) نظره لـ (نور) ونظر لها غير مصدق وهو يتوجع وقد أصبح يشعر بالشلل التام، فبصقت عليه (نور) فقط لترضي (لؤي)، على الرغم أنها في أعماقها كانت متعاطفة معه إلى حد كبير..

جلس (لؤي) أرضًا على ركبتيه بجوار (أشرف) شامتًا، وبدأ (أشرف) يشعر أن روحه تفارقه ولكنه استجمع قواه ليقول لـ (لؤي) جملة أخيرة وهو ينظر في عينيه بصوت بالكاد مسموعًا:

- ما تنساش إني علمت عليك!

قالها وأغمض عينيه وقد فارق الحياة، لكن (لؤي) انهال عليه بضربة قوية في وجهه، فاندفع (ممدوح) وأمسكه وقال:

- اهدا يا (لؤي).

أما (نرمين) فقالت في سخط وهي تنظر للجثة في اشمئزاز:

- قلت لكم بلاش نقتل في الفيلا.. إيه القرف دا!

التفتت لها (نور) في حدة ولم تسيطر على أعصابها وهتفت بها:

- ما شفتش أحقر منك في حياتي!

نظرت لها (نرمين) في تحدٍ وقالت في جبروت:

- عشان نكون واضحين.. أنا مستعدة أقتل كل يوم مش كل شهر دا لو هيضمن لي إني أعيش للأبد.

صدمها ما سمعته، فلم تعرف بما ترد فصمتت قليلًا قبل أن تقول:

- المهم إن بعدها هنكمل خلود في جهنم إن شاء الله!

قالت (نرمين) في برود:

- أيوة بس دا بعد ما نعيش لحد آخر يوم على الأرض بقى!

قالت (نور) مستنكرة:

- حتى اليوم دا مهما كان بعيد هييجي هييجي!

وفجأة أتاهم جميعًا صوت خافت يأتي من خلف باب الغرفة فالتفتوا جميعًا في حدة وسرعة ناحية الباب، فلمحوا ظلًا لشخص يراقبهم من خلف باب الغرفة وسمعوا شهقة عنيفة، فصرخت (مريم) وصاح (لؤي) بكلمة لم تكن مفهومة من فرط توتره واندفع جريًا ناحية الباب ولكنه وجد ذلك الذي يراقبهم يجري بسرعة جدًا ليهبط درجات السلم ليصل لصالة الفيلا، وكان ينبغي على (لؤي) التصرف.. لا يمكن أن يفلت هذا الشاب الذي شاهدهم يقتلون!

فقفز (لؤي) من الطابق الثاني ببراعة وبلا تردد فوقع بعنف فوق هذا الشاب فأوقعه أرضًا ووقع معه على أرض الصالة الصلبة، فتأوه الشاب إثر الارتطام وحاول أن ينهض بسرعة لكن في تلك اللحظة كان قد وصل الجميع والتفوا حوله، فرفع يده مستسلمًا وصاح:

- مش هاقول لحد! مش هاقول لحد!

نهض (لؤي) ووقعت عيناه على وجه الشاب فتعرف عليه على الفور وهتف مستنكرًا ومصدومًا:

- (يوسف)؟!

وكذلك (مريم) تعرفت عليه فورًا، ونظرت له غير مصدقة وكان هو يلهث من فرط الرعب والمجهود، بينما عقدت (نرمين) حاجبيها في حيرة وقلق، وقالت:

- أيوة (يوسف) مين يعني؟!

وأشارت بحاجبيها لـ (ممدوح) الذي فهم ما تقصده فأخرج سكينًا من جيبه، وكان على وشك أن يهجم على (يوسف) لكن (لؤي) أمسك بيده ومنعه، وصاح:

- لأ.. دا لأ!

فنظر له (ممدوح) في غضب، بينما نظرت له (نرمين) في تحدٍّ قائلة في حزم واستنكار:

- دا شافنا يا (لؤي).. يعني لازم يموت! ما فيهاش كلام دي.

صاح (لؤي) في تحدٍّ وعصبية:

- على جثتي!

وأدرك (يوسف) أنه تسبب لهم في مأزق صعب.. وأوقع نفسه في مأزق أكثر صعوبة!

* * *

في بدروم الفيلا المظلم كان (يوسف) وحيدًا جالسًا أرضًا واضعًا يده على خده في يأس وترقب.. إنه ينتظرهم الآن يقررون ما يفعلون به..

يا إلهي! لماذا أورط نفسه في هذه الأمور في المقام الأول؟

وغمغم قائلًا في سخط:

- كان مالي أنا ومال الست (سعاد) وولادها.. إلهي ياخدهم كلهم!

كان جالسًا في ركن البدروم مرعوبًا، وهو ينصت لأصواتهم التي استطاع بالكاد سماعها.. إنهم في الصالة الآن يتحدثون عنه مختلفين وقد اشتد الحوار بينهم..

كان (لؤي) يدافع عنه، وصوته مرتفعًا وقول:

- (يوسف) دا زي أخويا الصغير! انتو فاهمين؟! ما حدش هيئذيه.

قالت (نرمين) في استنكار:

- صح صح.. احنا نروح كلنا في داهية عشان حضرتك بتحب جارك وبتعتبره زي اخوك الصغير.

قال (لؤي) في حدة:

- محدش هيروح في داهية.. أنا هاتكلم معاه وهاقنعه ما يتكلمش.

قال (ممدوح) في غضب:

- وهتعلق حياتنا بقى كلها بضمان إنه هيكون قد كلمته؟ طب لو اتكلم وبلغ عننا واتقبض علينا؟! هتفيدنا انت بإيه لما يعدي علينا تلاتين يوم في الحبس من غير ما نعرف نقتل فنموت؟!

زاد الحوار بين ثلاثتهم حدة، بينما همست (مريم) في أذن (نور) قائلة:

- انتِ شايفة إيه الحل؟

التفتت لها و(نور) ونظرت لها في كراهية وقالت في احتقار:

- ما تفتحيش بقك معايا!

وابتعدت عنها بينما ظلت (مريم) واقفة مكانها.. فهي تعلم جيدًا أن (نور) لديها كل الحق في أن تغضب.. وبعد قليل عادت (مريم) تقترب من (نور) وقالت لها بصوت خافت يظهر فيه الندم:

- أنا آسفة! طب والله أنا رجعت لأم (لؤي) بعدها بيومين وقلت لها إني كنت باكدب.. بس هي ما صدقتنيش.. حاولت اصلح غلطتي بس والله ما عرفت!

نظرت لها (نور) نظرة ثاقبة وقالت في جمود:

- الأسف ما ينفعش! انتِ بالنسبالي خلاص كأنك ميتة!

وكان (لؤي) ما زال يحاول أن ينهى (نرمين) و(ممدوح) عن قتل (يوسف)، فرد عليه (ممدوح):

- اوعى تكون فاكر إنك ممكن تقنعنا.. على فكرة السبب الوحيد اللي مخليني سايبه عايش في البدروم دلوقتي هو إننا لو قتلناه دلوقتي مش هنستفيد حاجة بموته.. أنا هافضل حابسه لمدة تسعة وعشرين يوم وساعتها نقتله بحيث نكسب لنفسنا شهر زيادة.

صاح (لؤي) به وقد فقد السيطرة على أعصابه واندفع ناحيته:

- لو حصل ولمستوه هتكونوا انتم اللي جنيتم على نفسكم.

وفجأة أخرج (ممدوح) مسدسه وصوبه ناحية رأس (لؤي) وقال:

- آسف.

وضغط الزناد واخترقت الرصاصة رأس (لؤي) فوقع أرضًا جثة هامدة، وصرخت (نور) و(مريم)، فالتفتت لهم (نرمين) في حدة وصاحت:

- بس انتِ وهي!

والتفتت لـ (ممدوح) قائلة بأسلوب أمر:

- اطلع هات جثة (أشرف) دا وارميها في البدروم.. واقفل البدروم كويس وخلي المفتاح معاك.

قال (ممدوح) مستجيبًا:

- حاضر.

وانصرف ليفعل ما أمرته به، بينما التفتت (نرمين) للفتاتين اللتين كانتا تحدقان بجثة (لؤي) في ذهول ورعب، وقالت لهما في حدة واستنكار:

- في إيه ما لكم بتصوتوا ليه؟! ما هو دقيقتين وهيقوم يقرفنا تاني.

* * *

ألقى (ممدوح) بجثة (أشرف) في البدروم، وكان (يوسف) ملتصقًا بالجدار في اشمئزاز وتوتر وهو ينظر للجثة، بينما رفع (ممدوح) نظره له وقال رافعًا مسدسه حتى يرهبه:

- لو اتحركت هتاخد رصاصة في دماغك!

ظل (يوسف) ينظر له في خوف حتى تساءل (ممدوح):

- كنت بتعمل إيه في الفيلا؟!

لم يجِب (يوسف) ولكن (ممدوح) صوب مسدسه ناحيته، فأسرع (يوسف) مجيبًا:

- كنت باسرق الفيلا.

صاح (ممدوح) بلهجة أرادها أن تظهر مرعبه:

- كداب.. ماحدش يسرق فيلا وهو شايف عربيتين مركونين قدامها.. حد يسرق فيلا وهي فيها اصحابها وكمان ضيوف؟! قول الحقيقة!

توتر (يوسف) واضطر بأن يجيب:

- كنت باراقبكم.

تساءل (ممدوح) في حيرة ممزوجة بالقلق:

- بتراقبنا ليه؟

- عشان أتأكد التعويذة دي حقيقية ولا لأ.

ظهر الخوف والقلق على وجه (ممدوح) لكنه حاول أن يخفيهما بسرعة، وهتف:

- انت عرفت الكلام دا منين؟!

ثم صاح:

- انطق!

انتفض (يوسف) من فرط الخوف، ولكنه قال في شجاعة:

- مش هاقول لك! ولو قتلتوني في واحد صاحبي هيبلغ عنكم وهيوديكم في داهية!

توتر (ممدوح) إلى حد كبير، وقال:

- خلاص! لا هنقتلك ولا هنهربك.. خليك مرمي هنا مع الجثة!

وغادر البدروم وأغلق خلفه الباب وهو يسمع صوت (يوسف) يترجاه قائلًا:

- سبني أمشي!! طلعني! طلعني!

وعندما عاد (ممدوح) للصالة، نظر لـ (لؤي) الذي قد عاد للحياة وواقفًا ينظر له في غضب ويقول:

- قتلتلني؟!

رد عليه (ممدوح) وهو يصب لنفسه كأسًا في برود:

- طب ما انت قتلتني.. بنفس المسدس وفي نفس المكان!

قال (لؤي) في حزم:

- أنا مش هاستسلم لكلامكم.. (يوسف) خط أحمر!

كانت (نرمين) جالسة واضعة ساقًا على ساق، وقالت في هدوء:

- أنا باقول تمشي دلوقتي يا (لؤي) تروح بيتك أو تروح شقة النخلة تستجم كدا هناك وتفكر بعقل عشان حبة النخوة والإحساس دول يروحوا من عندك وتبقى كويس.. وبكرة يحلها الحلال!

* * *

دم بارد

الأول من مارس..

ستة أيام بدون طعام أو شراب تقريبًا.. أصبح يشعر أنه هذيل ضعيف.. سيموت قريبًا بلا شك.. لا يعتقد أنه يمكن أن يعيش لوقت أطول معتمدًا على الخبز الذي يقدموه له كل يومين!

هذا ما يدور بخلد (يوسف) في تلك اللحظة عندما فتحت (مريم) باب البدروم وأغلقته خلفها ثم هبطت درجات السلم، اقتربت منه في حذر ووضعت بجواره زجاجة مياه..

كانت ممسكة بسكين ليحميها، وقالت في شفقة:

- اشرب يا (يوسف)..أنا جايبالك المية دي من وراهم!

لكن رد فعله لم تتوقعه، فيبدو أنها حلاوة الروح كما يقولون، فقد أصبح فجأة يملك طاقة كبيرة جدًّا وهجم عليها واختطف من يدها السكين فصرخت هي، فطعنها في قلبها ثم أخرج السكين مجددًا بعدما تأكد أنها ماتت، ثم فتش ملابسها حتى وجد مفتاح البدروم ففتح الباب بسرعة وخرج منه سريعًا لحديقة الفيلا..

لم يكن يعرف التوقيت ولكن كان من الواضح أنه بعد غروب الشمس بقليل..

يجب أن يتصرف بذكاء.. سيتصل بالسيدة (سعاد) لتأتي لمساعدته.. لكن هاتفه المحمول ليس معه! لقد أخذوه منه قبل أن يحبسوه في البدروم..

في الوقت ذاته، كانت (نرمين) جالسة مع (نور) في صالة الفيلا، وقالت لـ(نور):

- أنا طالعة أصحي (ممدوح).

وصعدت درجات السلم الداخلي ودخلت غرفة النوم لتوقظ (ممدوح)، وفجأة سمعت صوت صرخة (نور)، فاستيقظ (ممدوح) على الفور واندفع لخارج الغرفة هو و(نرمين) فلمحا (يوسف) يخطف هاتف (نور) المحمول من جثتها بعدما قتلها ايضًا، ليأخذه ويغادر المكان بسرعة..

عاد (ممدوح) لغرفته بسرعة ليأتي بمسدسه ثم هبط درجات السلم سريعًا، وخرج من الفيلا فلمح (يوسف) يجري في هذا الطريق على قدميه، ولكنه كان بطيئًا جدًّا نظرًا لجسده المتهالك!

لم يدرِ (يوسف) ما يفعل، لقد أرسل رسالة لهاتف السيدة (سعاد) يقول فيها "أنا مخطوف في فيلا ممدوح الحقيني .."

هل سيصبح كل شيء على ما يرام وسينتصر على هؤلاء الأوغاد؟!

ركب (ممدوح) سيارته وانطلق بها وقطع المسافة التي تفصله عن (يوسف) بسرعة وكان قد اقترب من أن يدهسه إلا أن (يوسف) قفز بسرعة على جانب الطريق ووقع أرضًا وبد أنه قد أغشي عليه.. لم يتحمل جسده هذا المجهود!

خرج (ممدوح) من سيارته ممسكًا بالمسدس في حذر، واقترب من (يوسف) الذي فجأة تحرك بسرعة ولكم (ممدوح) في وجهه هاتفًا:

- مفاجأة!

ثم أمسك برأسه وصدمها بقوة في أرض الطريق الصلبة، حتى أنه شعر بجمجمته تتهشم، فاستكان جسده على الفور ونزفت رأسه دمًا..

هل مات؟! أم أنه فقد وعيه؟!

لا يوجد فارق كبير ففي الحالتين سينهض بعد قليل!!

شعر (يوسف) ببعض من السعادة أو الراحة لأنه نوعًا ما انتقم من (ممدوح) الذي عذبه هذه الأيام، فتركه صريعًا على الطريق ثم قفز داخل السيارة، وانطلق بها مسافة ليست بكبيرة قبل أن يشعر بهبوط فجأة، فأوقف السيارة في منتصف الطريق قبل ان يفقد وعيه تمامًا بداخلها.. يبدو أنه بعدما قد اطمأن أنه ابتعد عن (ممدوح) قد قرر جسده أن يأخذ حقه وينعم ببعض الراحة الإجبارية!

* * *

ظلام تام.. إنها لا تشعر بأي شيء على الإطلاق! بل ليس هناك ما تشعر به.. فقط العدم!

وفجأة تستيقظ (نور) وتفتح عينيها، فوجدت أمامها (مريم) و(نرمين) التي قالت لها:

- أهلًا بيكِ!

قالت (نور) محاولة أن تستوعب ما حدث:

- إيه اللي حصل؟! وفين (لؤي)؟!

قالت (نرمين) في عصبية:

- (لؤي) مخاصمنا كلنا بسبب موضوع (يوسف) ومعتكف لوحده في شقة النخلة.. ومهددنا إننا لو لمسنا (يوسف) هيقتلنا.. بيتهيألي هيفرح قوي لما يعرف إنه هرب!

وألقت بنظرة نارية على (مريم)، وأضافت:

- بفضل غباء الأستاذة (مريم) اللي حبت تعمل فعل إنساني وتدخل تشرب (يوسف).. قام قتلها وهرب!

قالت (مريم) في غضب:

- دا جاري وانا باحبه وكان لازم أساعده.. واد جدع وما يستاهلش اللي بتعملوه فيه!

التفتت لها (نرمين) في حدة وقالت:

- انتِ اللي ما تستهليش اللي انا باعمله ليكِ.

قالت (مريم) مستنكرة:

- وانتِ بتعملي لي إيه؟!

قالت (نرمين) في أسلوب مستفز:

- انتِ مالكيش حد! لا (لؤي) طايقك ولا (نور) بقت طايقاكِ.. وعاوزينك تموتي.. ماحدش بيبحبك هنا.. ولا انتِ فارقة مع (ممدوح) ولا فارقة معايا! من الآخر كدا السبب الوحيد اللي خلاني اتصل بيكِ من كام يوم عشان تحضري قتل (أشرف) وتبقي جزء منه هو إني عملت بأصلي وقُلت أساعدك! إنما لأ.. طالما هتتغابي كدا وبتاخدي قرارات غبية من نفسك

يبقى اتكلي على الله وما اشوفش وشك تاني! اعتمدي على نفسك بقى وكل شهر اقتلي لك واحد! خلاص اللي كان بيحبك حب عبودية مات!

شعرت (مريم) بجرح عميق من ما سمعته، ولكنها تمالكت أعصابها وقالت في حدة:

- اللي بتسميه حب عبودية دا، أنا باسميه حب حقيقي! ولا انتِ عشان عمرك ما حسيتيه؟

استفز قولها (نرمين) فكانت على وشك أن ترد عليها، ولكن (مريم) انتبهت لآخر جملة قالتها (نرمين) توًا، فهتفت (مريم):

- وانتِ عرفتِ منين إنه مات؟!

التفتت (نور) كذلك لـ (نرمين) في شك وريبة، وظهر على (نرمين) التوتر، بينما عادت (مريم) تهتف:

- انتِ عملتِ في (كريم) إيه؟!

تمالكت (نرمين) أعصابها وقالت في ثقة ولا مبالاة مستفزة:

- عملت فيه اللي عملته بقى.. ما هو كان غبي زيك كدا بالظبط ويستاهل اللي جرى له!

فجأة دوى صوت جرس الفيلا، فقالت (نور) في قلق:

- مين دا؟!

وسمعوا صوت ضرب على الباب، ففتحت (نرمين) الباب فوجدت أمامها السيدة (سعاد) واقفة غاضبة وتقول:

- فين (يوسف)؟!

تظاهرت (نرمين) بالبلاهة وهي تقول:

- (يوسف) مين؟! وانتِ دخلتِ ازاي من بوابة الفيلا؟!

قالت السيدة (سعاد) في عصبية:

- كانت مفتوحة! باقول لك فين (يوسف) يا بت ما تستهبليش؟

قالتها واقتحمت المكان فوقع نظرها على (مريم) و(نور) في صالة الفيلا، فنظرا لها في دهشة وقالت السيدة:

- الله الله! ما العصابة كلها هنا اهو.

أغلقت (نرمين) الباب، ونظرت للفتاتين وحركت إبهامها على رقبتها لتشير لهما بأنهما يجب أن يقتلا السيدة التي لم تنتبه لتلك الإشارة، وصاحت:

- فين (يوسف)؟!

والتفتت لـ (نرمين) قائلة في حدة:

- و(كريم) فين؟! أنا متأكدة إن انتِ اللي عارفة مكانه! أنا عرفت حكاية الدجال.. أنا عارفة كل حاجة!

حاولت (مريم) أن تخفف من الوضع حتى لا تضطر (نرمين) لفعل ما كانت تشير له، فقالت:

- دجال إيه بس يا طنط؟ وما تقلقيش على (كريم).. أكيد هيرجع وانا متأكدة إنه كوي..

قاطعتها السيدة وصاحت بها:

- اخرسي يا زبالة! ما انتِ السبب في اللي (كريم) وصل له.. استغليتيه وضحكتِ عليه وانتِ بتحبي أخوه! بس بعينك!

صدمها ما قالته السيدة، وفي تلك اللحظة كانت (نرمين) تتحرك في خفة ناحية المطبخ حتى تأتي بسكين، وقد حسمت أمرها بأنه يجب عليها قتل السيدة، وأشارت لهما بأن يشغلا السيدة (سعاد) حتى لا تنتبه لها، وأومأت لها (مريم) موافقة، في الوقت الذي كانت فيه السيدة تنظر لـ (نور) قائلة في مقت وكراهية:

- انتِ ليه لسا ما قطعتيش علاقتك بـ (لؤي) يا فاجرة؟!

اهتزت (نور) في مكانها عند سماعها لما وصفتها به، وشعرت أنها لم تعد تتحمل هذا الكلام.. لقد تعرضت لكمية ضغط نفسي رهيب هذه الفترة!! لم تعد تتحمل هذا!! أرادت أن تجعل السيدة تخرس بأي طريقة.. إنها حتى غير قادرة على انتظار (نرمين) أن تعود من المطبخ بالسكين لتقتلها فتخرسها!!

وعادت السيدة تصيح بها:

- انسي إنك تبقي مع (لؤي) طول ما انا عايشة.. انتِ سامعة؟ (لؤي) مش هيتجوز إلا بنت شريفة! مش واحدة زيك ي..

بترت السيدة عبارتها، عندما فجأة هجمت عليها (نور) في جنون، وأمسكتها من رقبتها وأوقعتها أرضًا وهي تصيح:

- كفاية بقى! كفاية!

حاولت السيدة أن تنطق أو تبعد يد (نور) عن رقبتها التي واصلت خنقها وهي تصرخ في جنون، واندفعت (مريم) لتمنع (نور) ولكن (نرمين) صاحت بصوت قوي:

- (مريم)! سيبيها.

استجابت (مريم) لقول (نرمين) التي كانت واقفة ممسكة بالسكينة، وتشاهد (نور) في أغرب أحوالها وهي تواصل خنق السيدة التي جحظت عيناها واستكانت أخيرًا بين يدي (نور) وقد فارقت الحياة، ولكن (نور) ظلت تضربها في هستيرية، وهنا تدخلت (مريم) لتمنعها قائلة:

- يا (نور)! الست ماتت خلاص!. مااات خلاااص!

ولكن (نور) كانت تبكي ودفعت (مريم) بقوة بعيدًا عنها، ثم ألقت نفسها أرضًا لتبكي في حرارة وانهيار، وظلت (نرمين) واقفة في برود تشاهد الموقف، ومرت دقيقة حتى قالت (نرمين):

- يلا بقى نشيل الجثة دي ونرميها جنب جثة (أشرف) في البدروم؟!

استجابت (مريم) وحاولت مع (نرمين) أن يحملا الجثة ولكنها كانت ثقيلة، فنظرت (نرمين) لـ (نور) التي كانت قد توقفت عن البكاء أخيرًا وكانت تنظر للجثة في ذهول، وقالت (نرمين) لها:

- (لؤي) ممكن ييجي في أي لحظة! هيلاقيكِ قاتلة أمه؟! يلا قومي شيلي معانا!

نهضت (نور) في جمود وساعدتهم في حمل الجثة حتى ألقوها في البدروم، وهناك التقطوا أنفاسهم، وفجأة ضحكت (مريم) ضحكة مريرة، فقالت (نرمين):

- بتضحكي على إيه انتِ كمان؟!

نظرت لها (مريم) وردت عليها في تهكم وسخرية:

- فاكرة اما قلتِ لي إن كل واحدة فينا محتاجة راجل عشان يقتل ليها ويحميها.. واننا مش هنقدر نعيش لوحدنا ونقتل بنفسنا؟! شوفي دلوقتي عملنا إيه احنا التلاتة لوحدنا! بالذمة مش حاجة تضحك؟!

نظرت لها (نرمين) في اندهاش، وتحولت فجأة ملامح (مريم) لكراهية شديدة وقالت لـ (نرمين) في مقت:

- أنا باكرهك يا (نرمين)!

سكتت (نرمين) قليلًا ونظرت في عينيها بتحدٍّ وقالت:

- شعور متبادل! إلا صحيح قولي لي انتِ ليه ما قلعتيش الحجاب لحد دلوقتي؟!

قالت (مريم) في صرامة:

- مش معنى إني لسا بالبس الحجاب إني محجبة يا (نرمين).

ثم أضافت في سخرية:

- يعني هو انتِ مثلًا إنسانة؟! واهو آديكِ شبه الناس عادي!

لم تعلق (نرمين) على سخريتها، وقالت في حزم:

- مش عايز اشوف وشك تاني يا (مريم).. زي ما قلت لك ما حدش عاوزك معانا.. قصتك معانا انتهت.. بح خلاص! فاهمة؟!

* * *

نصف الحقيقة

الخامس من مارس..

يا لها من حالة من الضياع شعر بها (لؤي)!

والدته لم تعد للمنزل منذ عدة أيام، وأخوه منذ حوالي ثلاثة أسابيع..

لقد أصبح وحيدًا!

لم يشغل باله سوى بإيجاد والدته، فهو لم يحب كما أحبها، ولم يتعلق كما تعلق بها.. وليس مجرد كلام يقوله أي رجل عن أمه بل هي حقيقة وواقع!

(نور) تتجنبه منذ يومين، هل هي تشعر بالضيق لأنه لا يفكر سوى في والدته؟! وكيف سيفكر في شيء آخر ووالدته مفقودة؟!

لم يكن يفهم لمَ تتجنبه (نور)، فكيف سيخطر في باله الإجابة الحقيقية؟!

كيف سيخطر في باله أن (نور) هي من قتلت أمه مع (مريم) و(نرمين)؟!

على أي حال فهو يئس من الوصول لوالدته، تمامًا كما يئس من الوصول لـ(كريم).. لقد اتصل بكل فرد في عائلته ولم يجد إجابة.. لقد أبلغ حتى الشرطة بفقدان والدته ووعدوه أنهم سيبذلون قصارى جهدهم وسيتواصلون معه فورًا إذا وجدوها.. حسنًا.. إنه يعرف جيدًا أن هذه العبارة تعني أنهم لن يتواصلوا معه!

إنه لا يستطيع كذلك الوصول لـ (يوسف)، فقد أخبروه أنه هرب منهم، ولكنه لم يعد لمنزله كذلك.. فأين هو؟! لقد هرب بالتأكيد بلا رجعة!

(مريم) اختفت تمامًا.. لم يعد يرغب أحد في وجودها.. سوف تعتمد على نفسها الآن!

أما (لؤي) فكان محبطًا مكسورًا ولكن أدرك أن عليه أن يمارس حياته، وقرر أن يذهب للكلية اليوم.. كان نائمًا كعادته طوال الأيام الماضية في شقة شارع النخلة، فمر على منزله أولًا وارتدى ملابسه ثم اتجه لجامعته..

لم يجد هناك سواه من أفراد شلته، وكان معظم الدفعة مشغولة بالكلام عن (أشرف) واختفائه.. لقد أصبح الأمر مملًا بالنسبة له.. (أشرف) لن يعود! اشغلوا حياتكم بأمور مفيدة واتركوا هذا الأمر!

أتته رسالة من (نور) تخبره أنها تريد أن تراه في منزله للضرورة القصوى، ولم نمر ساعة حتى كان هو في صالة منزله معها، وكانت هي في حالة يرثى لها، وظلت صامتة لمدة طويلة، قبل أن تستجمع شجاعتها وتقول:

- أنا عارفة إيه حصل لمامتك يا (لؤي).

انتفض (لؤي) ونهض من مكانه مفزوعًا واقترب منها هاتفًا:

- حصل لها إيه؟ انطقي!

رفعت نظرها له وقالت في لهجة نادمة وهي تبكي:

- (نرمين) قتلتها!

أكان ما سمعه صحيحًا؟!

شعر أن قدمه لم تعد قادرة على حمله، ووجد نفسه يقع أرضًا من أثر الصدمة.. لم يفهم سوى أن والدته ماتت!

واصلت (نور) التحدث بسرعة، ولم يستطع سماع معظم كلامها لأنه كان شاردًا في عالم آخر من الذكريات الجميلة مع والدته منذ طفولته، محاولًا أن يصدق أنها لم تعد في هذه الحياة معه!!

كل ما استنتجه من كلام (نور) المتواصل أن والدته اقتحمت الفيلا يوم هروب (يوسف)، وهددت (نرمين) بأن تفضحها وكانت تعرف كل شيء عن التعويذة وعن جرائمهم، فقامت (نرمين) بخنقها وإلقاء جثتها في البدروم..

لم يدرِ بالطبع أن (نور) تخبره بنصف الحقيقة فقط! والنصف الآخر كذبة ملفقة!

فلقد فكرت (نور) جيدًا فيما حدث، لن يعرف (لؤي) بباقي الحقيقة سوى من (نرمين) أو (مريم)..

وإذا عادت (مريم) لتخبر (لؤي) بما حدث، سيكون أمرها سهلًا.. فمن السهل على (نور) أن تقنع (لؤي) أنها مجرد محاولة أخرى حقيرة من (مريم) للتفرقة بينهما..

فأدركت (نور) أن المشكلة الحقيقية تكمن في (نرمين) التي أصبحت تمسك عليها ذلة، وستظل تهددها دومًا بإخبار (لؤي) بأنها من قتلت أمه، ويومًا ما سيعرف الحقيقة منها حتمًا.. وبالتالي فهي واقعة تحت التهديد، وهذا ما لا ترغب فيه أبدًا!

فلو عرف (لؤي) أن (نور) قتلت أمه سيقتلها بلا تردد.. وإن لم يفعل بإرادته أو لأن (نور) تمكنت من الإفلات منه، فكيف لها أن تعيش حياة خالدة تقتل فيها بنفسها شخصًا كل شهر؟! لن تنجو بمفردها أبدًا.. إنها لن تكون مثل

(مريم) التي أصبح مصيرها الآن محسومًا بدون (كريم).. ربما تنجو شهرًا أو اثنين ولكنها ستفشل آجلًا وليس عاجلًا وستلقى نهاية مصيرها قريبًا!

لذلك لم يكن أمام (نور) سوى أن تخبره بالحقيقة.. ولكن الحقيقة من زاويتها الخاصة!! الحقيقة التي تضمن لها النجاة وتضمن لها أن (نرمين) إذا قالت يومًا الحقيقة فلن يصدقها (لؤي) بالطبع!

كما أن (نور) لا تعتبر نفسها كذبت.. فلو لم تبادر هي بقتل السيدة (سعاد) أولًا لكانت (نرمين) قتلتها بالفعل..

- وانتِ كنتِ فين؟

قالها (لؤي) وهو ينظر لها في عتاب قوي، فقالت هي في توتر مدافعة عن نفسها:

- أنا كنت واقفة أنا و(مريم) مرعوبين من الموقف.. صدقني ما كانش في إيدي حاجة اعملها.

صاح بها:

- ما كانش في إيدك تمنعي (نرمين) من إنها تخنق أمي؟! ولا كنتِ فرحانة فيها؟!

قالت (نور) في استنكار مدافعة عن نفسها:

- أفرح فيها؟! دي أمك يا (لؤي)! دا انا كنت باتقطع من جوايا بس صدقني كنت خايفة.. دي (نرمين)! لو كنت حاولت أمنعها كانت هـ..

اقترب منها أكثر وعاد هو يصيح مقاطعًا إياها:

- كانت إيه؟! هتقتلك؟! نسيتِ إنك مش بتموتي؟! ولا يمكن كانت هتخليكِ مش شريكة في الجرايم الجاية زي ما عملت مع (مريم)؟! على أساس إني كنت هاسمح لها؟! انطقي! إيه تبريرك؟!

أخذت (نور) تبكي متظاهرة بالضعف وهي تقول:

- كنت خايفة! كنت خايفة!

نظر لها غير مصدقٍ، أراد بشدة أن يؤذيها.. ولكن كيف سيلومها على خوفها؟!

أتى في باله انتقام مناسب وسريع وغير مبالغ، فنظر لها في حدة ومقت وقال بصوت مرتفع:

- لعلمك.. أنا نمت مع (نرمين) من أسبوعين! وكنت مبسوط وما فكرتش فيكِ ولا ثانية.. ولا جيتِ في بالي ولا فرقتِ معايا أصلًا!

توقفت هي فجأة عن البكاء ورفعت نظرها له غير مصدقة ما تسمعه..

هل فعل بها (لؤي) هذا حقًّا؟!

لم ترد شيئًا في حياتها بقدر ما تريد الآن أن تخنق (نرمين) حتى الموت، تمامًا كما فعلت بالسيدة (سعاد)!

ولكن بقدر غضبها من ما سمعته، إلا أن هذا جعلها تضمن أنه سيعود لها يطلب منها مسامحته عندما يعود لرشده ويدرك أنها غير مذنبة في جريمة قتل والدته، وأنها كانت فقط خائفة.. على أي حال فهذا أفضل بكثير من احتمالية معرفته لحقيقة أنها هي من قتلت والدته بيديها..

فجأة سمعا جرس المنزل، فاتسعت عينا (لؤي)، واندفع ناحية الباب وهو يهتف في لهفة وأمل وفي حالة إنكار للواقع:

- ماما؟!

وبمجرد أن فتح باب المنزل حتى وجد أمامه (يوسف) واقفًا في تماسك يقول في جمود وكأنه تمثال مجرد من المشاعر:

- محتاجين نتكلم.

كانت (نور) تنظر له من الداخل في دهشة، أما (لؤي) فلم يصدق ما يراه، وقال:

- ادخل!

دخل (يوسف) ونظر لـ (نور) هاتفًا في صدمة:

- هو دا حصل بجد اللي انا سمعته من على الباب؟! الست (سعاد) ماتت؟!

نظرت (نور) أرضًا، وذرفت عين (يوسف) دموعًا كثيرة وهو ينظر لـ (لؤي) هاتفًا في مقت:

- انت السبب!

لم يستطع (لؤي) أن يرد عليه أو ينظر حتى في عينيه، وقال في صوت خافت مكسور:

- هاجيب لها حقها.

ثم رفع نظره إليه وقال في قوة وبلهجة حاسمة:

- هاقتل (نرمين) الليلة!

مسح (يوسف) دموعه، وقال:

- دا اللي محتاجين نتكلم فيه.

ونظر لـ (نور) ثم عاد ينظر لـ (لؤي)، وأكمل في صرامة:

- إزاي هنقتل المسعورة دي؟!

* * *

في هذه الغرفة المظلمة كانت (نرمين) مقيدة إلى هذا الكرسي، وظلت تصرخ بصوت مرتفع، ولكن ما من مجيب..

وفجأة على إثر ضوء خافت ظهر فجأة تمكنت من رؤية (لؤي) و(كريم)، وهما ينظران لها في كراهية وكلٌ منهما يمسك بسكين، ويقول (لؤي) في غضب:

- قتلتِ أمي؟! قتلتيها؟!

ولم تستطع (نرمين) أن تنطق، بينما هتف (كريم) هذه المرة:

- خدعتيني وجرحتيني وخليتِ جوزك يرميني في النهر! هان عليكِ تقتليني؟!

كانت (نرمين) مرعوبة، وظهرت (مريم) أيضًا في تلك اللحظة وقد اقتربت منها، وقالت في لهجة مخيفة:

- قتلتِ اللي كان بيحبني وسبتيني لوحدي؟ وكمان ذليتيني؟!

ما زالت (نرمين) غير قادرة على النطق للدفاع عن نفسها، وفجأة ظهرت (نور) تصيح في مقت:

- سبتيني اقتل الست وما حاولتيش تمنعيني.. استغليتِ لحظة فقدت فيها سيطرتي على أصعابي وسبتيني أعمل حاجة تكسريني بيها وتفضلي تهدديني بكشفها؟! وكمان خنتيني مع حبيبي؟! انتِ إيه؟!

كانت تهز (نرمين) رأسها تنفي هذا الكلام وكانت ترتعش في رعب حتى ظهر (ممدوح) فجأة وصرخ بها وهو ينظر لها في احتقار:

- استغليتيني ليه؟! بتستغلي ضعفي وخوفي من الوحدة عشان الفلوس وعشان اقتل لحسابك؟! وكمان ما فرقتش معاكِ وخنتيني عادي؟! انتِ إيه؟! شيطانة؟!

ثم مد يده ليخنقها وأخذ يضغط على رقبتها بقوة هاتفًا:

- شيطانة؟!

كانت مقيدة فلم تستطع منعه وأخذ هو يخنقها في قوة حتى شعرت أن روحها تفارق جسدها و...

وصرخت (نرمين) مستيقظة من هذا الكابوس، فانتفض (ممدوح) النائم بجوارها وقال في قلق:

- مالك يا حبيبتي؟!

بدا على وجهها الرعب وهي تنظر له فترة حتى أدركت أنه كان مجرد كابوس، فقالت وهي تحاول أن تأخذ نفسها:

- هات لي أشرب!

نهض (ممدوح) بسرعة وأتى لها بكوب من الماء، فارتشفت منه قليلًا:

- كان كابوس بشع!

- ماعلش يا حبيبتي.

- حصل خير!

ثم عادت تغطس في السرير أسفل الغطاء منكمشة على نفسها، ولكنها لم تستطع أن تنام..

أخذت تراودها أفكار ارتيابية..

ماذا لو عرف (لؤي) أنها من قتلت أمه أو من تسببت في موت أخيه فأتى لقتلها؟!

ماذا إن عرف (ممدوح) بأمر خيانتها له مع (لؤي) وقتلها؟!

ماذا لو عادت (مريم) لتنتقم منها وتقتلها بسبب نفيها لها وذلها؟!

بالطبع لن يقتلوها فهي خالدة، ولكنهم ربما يلقوها في النهر مثلما فعلت بـ(كريم)، أو يحبسوها في البدروم حتى يمر عليها باقي الشهر دون أن تتحمل ذنب موت إنسان، ووقتها تفارق الحياة..

لا.. لا يمكن أن تسمح لهم بقتلها!!

يجب أن تأخذ حذرها جيدًا..

وفي أعماقها أدركت أن الأيام القادمة ستكون حاسمه.. وخطيرة.. وقاتلة!

* * *

أغرب ما فينا هو أننا نتجاهل الموت رغم أنه الحقيقة المطلقة الوحيدة التي يقر ويعترف بها المؤمن والملحد!!

يتساوى في ذلك من يرى أن بعد الموت بعث وحياة أبدية يلقى فيها جزاء ما قدم من خير أو شر، مع من يراه المحطة الأخيرة ونهاية مسلسل، لم يتعرف يومًا على كاتبه ولا مخرجه، ولم يدر أبدًا لماذا جاءه أو لماذا غادره..

* * *

انتقام

أسوأ يومين بلا شك في حياة (مريم) بالكامل!

كانت تسير وحيدة في شوارع القاهرة، تتأمل غروب الشمس، فقد قررت أن تبتعد عن الجميع حتى عن والدتها.. ستواجه الحياة بمفردها.. ستثبت لنفسها أنها قوية ولا تحتاج لشخص سواها!

اهتز هاتفها المحمول، فنظرت في شاشته مظنة أنها والدتها، إلا أنا تفاجأت عندما قرأت رقم (لؤي)، ففتحت عليه المكالمة وقالت في حيرة:

- (لؤي)؟!

- أيوة (لؤي)! احنا قررنا نقتل (نرمين).. معانا؟!

رفعت حاجبيها في دهشة، ولكنها وجدت نفسها تجيب على الفور:

- معاكم! طبعًا معاكم!

- تعالي شقة النخلة حالًا!

ولم يمر ساعة حتى كانت مع (لؤي) و(نور) و(يوسف) في شقة النخلة، وانهمكوا في الحديث عن كيفية قتل (نرمين)، حتى اتفقوا على خطة بسيطة..

اتصل (لؤي) بـ (ممدوح)، وقال:

- ألو.. أيوة يا (ممدوح).. عايزك تقابلني في شقة النخلة كمان ساعة.

- خير يا (لؤي) في إيه؟!

- عندي فكرة للضحية التالتة وعايز أناقشك فيها.

- خلاص تمام.. ساعة وهاكون عندك.

أنهى (لؤي) المكالمة، بينما التفت (يوسف) لـ (مريم) قائلًا:

- آسف على اللي عملته لما جيتِ تشَرَّبيني.

قالت هي في برود:

- لأ عادي!

نظر (لؤي) للفتاتين وقال في جدية:

- متأكدين إنكم هتقدروا عليها لوحدكم انتو الاتنين؟!

قال (يوسف) في حدة:

- قصدك احنا التلاتة.. أنا هاروح معاهم!

رد عليه (لؤي) في صرامة:

- مستحيل.. لو حصل لك حاجة هتموت! إنما هم خالدين مش هيحصل لهم حاجة!

قالت (مريم):

- أنا كارهاها بالدرجة الكافية اللي تخليني أقدر أقتلها لوحدي! طالما معايا مفتاح الفيلا يبقى مش محتاجة حاجة تاني!

قالت (نور) في غضب:

- ما حدش عايز يقتلها قدي!

قال (لؤي) في عصبية:

- لا والله؟!

قال (يوسف) مهدئًا (لؤي):

- مش مهم مين هيقتلها يا (لؤي).. المهم إننا هننتقم منها كلنا.. وبعدين هم مش هيقتلوها حرفيًّا.. هم هيقتلوها عشان يقدروا بس يحبسوها في البدروم.. وكدا كدا هي هتصحى ومش هتموت لحد لما يعدي التلاتين يوم كاملين.. لسَّا منهم عشرين يوم تقريبًا.. المهم انت شايف إنك هتقدر على (ممدوح)؟

تنهد (لؤي) وقال:

- (ممدوح) مش هيشك في حاجة.. وهاقتله على خوانة.. وبعدين هاربطه كويس لحد لما انتو تكونوا خلصتم موضوع (نرمين).

وفرك يديه في حماس وقال:

- ها يلا بينا.

انصرف (يوسف) ثم انصرفتا (مريم) و(نور)، وبعد مرور ساعة ضرب (ممدوح) جرس شقة النخلة ففتح (لؤي) له الباب، فدخل (ممدوح) مبتسمًا وقال:

- ها يا زعيم.. اشجيني وقول لي إيه الخطة!

ضحك (لؤي) قائلًا:

- اقعد بس لسَّا هنحكي.

أخذ (لؤي) من وقته حوالي ربع ساعة يتحدث عن خطة مبتذلة لقتل زميل لهم في الجامعة، وأخذ (ممدوح) ينصت في اهتمام، وفجأة هجم (لؤي) على (ممدوح) ولكن يبدو أن (ممدوح) كان مستعدًا، فقبل حتى أن يلمس (لؤي) (ممدوح) كان قد أخرج الاخير سكينًا من جيب الجاكيت وقام بذبح حنجرة (لؤي) بسرعة الذي جحظت عيناه ووقع صريعًا..

لمح (ممدوح) حبلًا قويًا، فأخذه وبدأ يقيد به (لؤي) وبعد دقائق التأم جرح (لؤي) وفتح عينيه فوجد نفسه مقيدًا فغمغم:

- روتيني انت يا (ممدوح)!

قال (ممدوح) في غضب:

- كنت عايز تقتلني ليه يا (لؤي)؟!

قال (لؤي) في تهكم:

- بس انت بقيت شاطر ورد فعلك سريع قوي! كأنك كنت عارف!

- أنا كنت عارف فعلًا.. من إمتى وانت بتقول لي تعالى نتناقش؟! من إمتى وانت بتناقش حد أصلًا ما انت طول عمرك متسلط!

- لأ وبقيت ذكي كمان؟ ما شاء الله!

- الفضل يرجع لـ (نرمين).. هي اللي استنتجت إنك عامل ليَّ فخ.. بقالها كام يوم متوقعة إنك هتحاول تقتلها أو تقتلني.

- الصراحة كنت باحاول اقتلها هي!

صاح (ممدوح) في غضب:

- واديك جنيت على نفسك يا (لؤي)!. كل حاجة (نرمين) عملتها كان عشان تحمينا.. (نرمين) مش وحشة.

ضحك (لؤي)، وقال في برود:

- قتلت أمي عشان تحمينا؟! يمكن!

ثم نظر في عين (ممدوح) وقال ليستفزه:

- بس يا ترى لما نامت معايا كان لنفس السبب برضه؟

اهتز (ممدوح) في مكانه في صدمة، وقال غير مصدقٍ:

- كداب!

عاد (لؤي) يضحك وقال:

- انت مصدق إني كداب؟! يعني انت مش عارف إنها بتستغلك وانك بالنسبالها شيكارة فلوس!

صفعه (ممدوح) في قوة، ولكن (لؤي) واصل الحديث:

- فوق يا (ممدوح).

- انت كداب.. (نرمين) بتحبني مش عشان فلوسي!

- أُمال ليه كدبت عليك وقالت لك إن خاتم الألماس ضاع منها؟!

- وانت عرفت منين انها بتكدب؟!

- لإنه هناك على الطربيزة اهو! إيه ما خدتش بالك منه يا لماح؟!

قالها وأشار برأسه ناحية المنضدة، فنظر (ممدوح) حيث يشير، فوقع نظره على الخاتم موضوعًا فوق المنضده فاندفع ناحيته واختطفه ليتأمله جيدًا وأدرك على الفور أنه بالفعل الخاتم الذي كان قد أهداه لها.. فوضعه في جيبه وهو مصدوم..

هل ما يقوله (لؤي) حقيقي؟

هل تستغله (نرمين) حقًّا؟

ولكن (لؤي) لم يتوقف عن الكلام وأكمل:

- (يوسف) سرقه من أوضتها اللي في شقة أبوها.. وجابهولي هنا.. وكمان سرق مذكراتها.. أنصحك تقراها عشان تعرف قد إيه انت أهبل وقد إيه هي كانت بتستغفلك!

في الوقت ذاته كانت (نرمين) جالسة بهدوء على السرير في غرفة النوم في الفيلا، وكان يبدو عليها أنها شاردة تفكر في عمق..

كانت (مريم) و(نور) واقفتان خلف باب الغرفة تمسك كل واحدة منهما بسكين، وينتظران اللحظة المناسبة للهجوم..

قالت (نور) بصوت خافت:

- واحد.. اتنين.. تلاتة.

ثم اقتحمتا باب الغرفة مستغلين عنصر المفاجأة واندفعا يهجمان على (نرمين) ولكن...

عنصر المفاجأة لم يكن في صالحهما.. فقد كانت تتوقع (نرمين) قدومهما وكانت ممسكة بالمسدس وبمجرد دخولهما من باب الغرفة حتى ضربت عدة رصاصات استقرت في جسديهما فوقعتا أرضًا وقد لقيا حتفهما.. مؤقتًا بالطبع..

وابتسمت (نرمين) في نشوة مغمغمة:

- وقال إيه (ممدوح) كان مش عاوز يسيب لي المسدس!

ونهضت من مكانها وأغلقت باب الغرفة بالمفتاح، ثم اتصلت بـ (ممدوح) فأتاها صوته يقول:

- أيوة يا (نرمين).

قالت هي في توتر:

- انت كويس؟ حصل زي ما توقعت بالظبط.. (نور) و(مريم) حاولوا يقتلوني بس انا سبقتهم!

- (لؤي) برضه حاول يقتلني بس انا سبقته.

قالت (نرمين) في حزم:

- ما بقاش فيه وقت للنقاش ولا للتفاهم.. يا احنا يا هم.. هنقتلهم كلهم!

- معاكِ حق!

لم تتوقع (نرمين) مثل هذا الرد، وبدأت تشعر ببعض الشك، وقالت:

- أنا جايالك اهو شقة النخلة.

- لا خليكِ أنا اللي هاجي لك.

كان صوته باردًا، فعقدت (نرمين) حاجبيها في شك وارتياب، وقالت:

- ماشي مستنياك!

صوت (ممدوح) لم يكن طبيعيًا.. لقد تمكن (لؤي) من قلبه عليها.. تمامًا كما حدث في الكابوس.. حتمًا أخبره بما حدث بينهما!

وبمجرد أن أنهت المكالمة، حتى تحركت بسرعة ودخلت غرفة أخرى بها خزنة رقمية، فكتبت كلمة السر وفتحت الخزنة، كان بها الكثير من الرزم المالية، أخذتها كلها في حقيبتها، ثم سارعت بمغادرة الفيلا..

لقد أدركت (نرمين) أنها لم يعد أمامها سوى حل وحيد..

سوف تهرب من الجميع!

سوف تنجو وحيدة!

* * *

بعد عودتهما للحياة ظلت (مريم) و(نور) في الغرفة دون أن ينطقا ببنت شفة، إلى أن سمعا صوتًا في الفيلا، وانفتح الباب ودخل (ممدوح) و(لؤي) وعلى وجهيهما تظهر خيبة أمل كبيرة..

شعر الأربعة بأنهم بلهاء حقًّا.. فقد انتصرت (نرمين) عليهم!

اتصل (لؤي) بـ (يوسف) وأمره بالحضور، وجلسوا الخمسة في صالة الفيلا يفكرون.. ساد الصمت عليهم حوالي ساعة حتى نظر (يوسف) لـ (ممدوح) و(لؤي) وتساءل:

- يعني لما جيتو الفيلا ما لقيتوهاش؟

رد عليه (لؤي) في غضب:

- ما لقيناش ليها أي أثر في الفيلا.. بتتوقع كل حاجة قبل حدوثها!

قالت (نور) مستنكرة:

- يعني احنا مش هنقدر نوصل لها؟! مش هنقدر عليها؟!

وقالت (مريم) في حدة:

- هنقتلها زي ما دمرت حياتنا.. مش هتفلت بكل حاجة عملتها!

قال (لؤي) في عصبية:

- لازم نفكر كويس.. وبلاش نتحرك بعشوائية.. لازم نخطط كويس جدًّا هنعمل إيه!

قال (ممدوح) في استسلام:

- صدقوني لو قررنا كلنا نتحدى (نرمين).. هنبقا احنا الطرف الخسران بدون شك!

صمتوا جميعًا بعد جملته الصادمة، أما (يوسف) فقد قال في صرامة:

- عشان كدا احنا مش هنتحداها.. أنا عندي اللي يخليها تستسلم.. وبكامل إرادتها!

نظر الجميع له في فضول، فاستطرد قائلًا:

- أخوها (علي) بقاله شهر تعبان جدًّا.. كل يوم المرض الخبيث بينهش في جسمه.. وحسب كلام الدكاترة لسَّا يومين بالكتير ويموت.

هتف (ممدوح) مستنكرًا:

- وازاي (نرمين) ما عندهاش فكرة؟!

هز (يوسف) كتفيه قائلًا:

- ما انت أكتر واحد عارف إنها مشغولة بحياتها عن أي حاجة.

تساءل (لؤي) في اهتمام:

- طب وهو فين دلوقتي؟

أجابه (يوسف) بنبرة ظهر فيها الحزن:

- في الشقة عندي.. بيموت حرفيًا.

هتفت (مريم):

- وازاي ما حطيتهوش في مستشفى؟

- هو اختار يموت في هدوء.. واحنا عرفنا إن المستشفى مش هتفرق كتير!

قال (ممدوح) في عصبية:

- مافيش الكلام دا.. أنا هاجيب أحسن دكاترة وهانقله عندي الفيلا حالًا.. وهتكفل بالموضوع ماديًا.

التفت له (يوسف) وقال:

- بالظبط كدا.. وأكيد (نرمين) مش هتسيب أخوها يموت من غير ما تشوفه.

قالت (نور) في استنكار:

- لا والله؟! هتعتمدوا في خطتكم على حنية (نرمين)؟!

رد عليها (ممدوح):

- صدقيني (نرمين) ما بتحبش قد أخوها.

وأضاف (يوسف):

- حسب اللي انا عرفته من (علي) واتأكدت منه لما قريت مذكراتها بنفسي إنها مش بتحب حد غير أخوها أصلًا.. هو حياتها كلها.. وانا متأكد إنها مش هتقدر تسيبه يموت من غير ما تودعه!

* * *

النهاية

الموت في حد ذاته ليس صادمًا، فهو أمر يحدث في حياتنا يوميًّا، ومع ذلك تهز الصدمة كياننا وتنعقد ألسنتنا، حين يختطف الموت حبيبًا لنا من الأقارب أو الأصدقاء، فإن أصعب شعور يشعره إنسان، حين يمسك الموت بقبضته على إنسان يهمه.. فيظهر الموت في أكثر صورة قسوة، فيجعلنا نشعر وكأننا نسمع عنه لأول مرة، فندخل عالمه الغامض ونتأمله بعيون الخرافة أو الدين أو الفلسفة لننتقي من كل ذلك ما يناسب حالتنا في تلك اللحظة المؤلمة، حتى نتخلص من القلق والخوف فنعود مرة أخرى إلى مجرى حياتنا التقليدية فنستعيد الطمأنينة ونستسلم لخمول الفكر اليومي الروتيني..

ولكن ماذا يهم في هذه الحياة حقًّا؟!

أعتقد أن أهم ما في الدنيا هم البشر! فهم الغرض من كل هذا، أليس كذلك؟!

هؤلاء الذين نحبهم هم أهم ما نملك في حياتنا، واللحظات التي نقضيها معهم لا يمكن أن تقدر بثمن لأنها بمنتهى البساطة تساوي الدنيا نفسها!

تحطم جبروت (نرمين) تمامًا، عندما أتتها تلك الرسالة على هاتفها المحمول.. الرسالة التي تقول "أخوكِ (علي) بيموت لو حابة تودعيه تعالي لُه الفيلا.. مش فاضل له غير ساعات معدودة".. ومرفق مع الرسالة صورة

لـ(علي) نائمًا على السرير، وتوجد أجهزة كثيرة موصلة في جسده، وبعض الأطباء..

إنها تعرف أنه فخ.. إنهم يريدون قتلها!

بل هم يعلمون جيدًا أنها تعلم أنه فخ!

إنهم يراهنون على حبها لشقيقها الأصغر.. هؤلاء الأوغاد معدومي القلب والمشاعر!

هل تكسبهم رهانهم وتأتي لتوديع شقيقها وتنعم بدقائق أخيرة معه؟!

أم تخسرهم الرهان وتخسر آخر دقائق يمكن أن تقضيها مع أخيها؟!

إنها تحتاج لهذه الدقائق بشدة.. تحتاج أن تشعر بحب حقيقي ولو لمرة أخيرة!

والأهم من ذلك لا يمكن أن تترك أخاها يموت شاعرًا بالوحدة، يجب أن تجعل آخر لحظات له في هذه الدنيا سعيدة وذات معنى وهو يراها بجانبه.. لا يمكن أن تتخيل حجم المآساة التي يشعر بها الآن، هو يحتضر وحيدًا ويعلم أنها تتخلى عنه!!

لا.. لن تسمح بحدوث هذا..

ولأول مرة في روايتنا بكت (نرمين) وبمنتهى الحرارة فهي لم تشعر بمثل هذا الضعف من قبل!!

هل هي على استعداد لتضحي بخلودها وحياتها لتكون عند حسن ظنه وتمنحه حنانًا وحبًّا حقيقيًّا في لحظاته الأخيرة؟

نعم.. لقد حسمت قرارها.. إنها على أتم الاستعداد!

ولم تمر ساعتان حتى كانت تفتح (مريم) لها باب الفيلا وتفسح لها الطريق للدخول، فدخلت (نرمين) للصالة التي حدث بها معظم الأحداث، وتأملت وجوههم جميعًا في برود وقالت:

- فين أخويا؟!

أجابها (ممدوح):

- في أوضة النوم.. الدكاترة قالوا إن موته متوقع في أي لحظة دلوقتي! وانا قلت لهم يمشوا خلاص ما عادش فيه حاجة في إيدهم يعملوها!

صعدت (نرمين) درجات السلم الداخلية بسرعة، دون أن تخشى أن يباغتها أحدهم.. فهي تؤمن أنهم ليسوا بالبشاعة الكافية لقتلها قبل أن تودع شقيقها.. على الأقل من أجل أخيها نفسه ليس من أجلها! وكانوا بالفعل عند حسن ظنها!

إنها تعرف جيدًا ما سيحدث.. سيتركونها تودع شقيقها ثم يقتلونها حتى يتمكنوا من حبسها في البدروم حتى يمر عليها ما تبقى من الثلاثين يومًا، فحسب شروط التعويذة سوف تنتهي حياتها حينها..

دخلت الغرفة التي أصبحت أشبه بعناية مركزة في مستشفى، ودخلوا جميعًا خلفها.. (ممدوح) و(لؤي) و(نور) و(مريم).. و(يوسف)!

وقف (لؤي) على باب الغرفة، بينما انتشر الباقي في أنحائها، واندفعت (نرمين) في لهفة ناحية شقيقها الذي كان مستيقظًا منتبهًا ولكنه هزيلٌ ضعيفٌ يعرف جيدًا أنه لم يتبقَ له سوى ساعة كحد أقصى..

أمسكت (نرمين) يده واحتضنتها في حب حقيقي وقبلتها وهي تبكي دموعًا وتقول:

- (علي)! أول ما عرفت جيت لك على طول!

لم يكن قادرًا على الحديث، ولكنه ابتسم لها في امتنان وحب وسالت دمعة من عينيه فهو لم يكن مصدقًا أنها هنا حقًّا، وأكملت هي:

- أنا مش عايزاك تبقى خايف.. ما يهمكش يا حبيبي! انت إنسان كويس.. انت أعظم انسان عرفته في حياتي! أنا مستعدة أضحي بأي حاجة علشانك.. أنا عملت كدا فعلًا!

واقتربت منه أكثر وقبلته على خده في حب وعيونها تذرف دموعًا بغزارة، فحرك يده في ضعف ناحية خدها ومسح دموعها وهز رأسه في بطء لينهاها عن البكاء..

لم تكن مستوعبة أنها تشاهد أخاها يحتضر أمامها وهي غير قادرة على مساعدته.. تشعر بالعجز التام!

وعلى الرغم منهم كان الجميع يقف متأثرًا يشاهدون هذا المشهد الذي دام لأكثر من ربع ساعة، دون أن يجرؤ أحدهم على مقاطعتهما..

وفجأة أغمض (علي) عينيه، وصدر صوت عن الأجهزة الموصلة بجسده.. صوت يعني شيئًا واحدًا.. لقد فارق الحياة!

قبلته (نرمين) قبلة أخيرة في جبهته وهمست في أذنه:

- مش هاتأخر عليك!

وسالت دمعة أخيرة أيضًا من عينها، ثم نهضت والتفتت لهم، وهم ينظرون لها وقد بدأت ملامحهم تتغير من الشفقة إلى العداوة..

مسحت دمعتها في قوة، وقالت في جمود:

- ها.. مستنيين إيه؟!

لم ينطق أحدهم، فرفعت هي أحد حاجبيها في جبروت:

- ها مين معاه المسدس أو السكينة عشان تقتلوا (نرمين) الشيطانة اللي دمرت حياتكم؟!

رد (ممدوح):

- مش شايفة إننا كلنا نستحق منك اعتذار الأول؟

ضحكت هي في دلال، واقتربت منه قائلة في صرامة بها الكثير من السخرية والاستهزاء:

- صح فعلًا! أنا آسفة يا (ممدوح).. آسفة إني خليتك تتخيل إن لحياتك معنى وخليتك تصدق إن فيه حد حبك بجد وهتعيش معاه باقي عمرك.. فعلًا ما كانش المفروض أخدعك.. كان لازم أقول لك الحقيقة.. أقول لك إنك وحيد وهتموت كدا! أنا لو ما كنتش دخلت حياتك كان زمانك مجرد شاب غني مدلل بيتمنى أي اهتمام من أبوه أو أمه حتى وبرضه مش لاقي!

شعر (ممدوح) بقشعريرة باردة من فرط قسوة كلامها، ثم اتجهت هي ناحية (لؤي) ونظرت في عينيه قائلة في شجاعة:

- تعرف إني معجبة بيك؟! أهي دي حاجة ما توقعتش إني في يوم هاقولها لك بس آديني قلتها طالما بقى هاموت خلاص! بس أنا صرفت نظر عن الموضوع

وما حاولتش فيه أبدًا لما لقيتك مرتبط بواحدة بتحبك وكمان صاحبتها بتموت فيك! كان عليك زحمة الصراحة! لكن القدر جمعنا في ليلة كانت بالنسبالي أجمل ليلة رومانسية قضيتها في حياتي، رغم انها كانت بالنسبالك مجرد انتقام! محتاجة أقول لك شكرًا!

ثم غمزت له في دلال، وكان هو ينظر لها مصدومًا، وتحركت هي بمنتهى الثقة ناحية (مريم) التي كانت تنظر لها في كراهية شديدة، ولكن (نرمين) لم تبالِ وقالت:

- انتِ كمان شايفة إني دمرت لك حياتك؟!

ثم تنهدت وقالت بلهجتها الساخرة:

- أنا فعلًا آسفة إني كنت باحاول أأمن حياتك الخالدة بإنك تلاقي حد يحميكِ وياخد باله منك.. أنا آسفة إني خليتك تنتبهي لشخص بيحبك حب عبودية.. أو حب حقيقي يا ستي عشان ما تتقمصيش! مع إن قرار إنك تستغليه كان اختيارك لوحدك بعد ما فكرتِ وراجعتِ نفسك مش كدا؟ أنا ما أجبرتكيش على حاجة! وبغبائك فشلتِ حتى إنك تحافظي عليه وضيعتِ الإنسان اللي بيحبك وضيعتِ صديقة عمرك من إيدك وبقيتِ وحيدة.. مش ذنبي برضه!

عقدت (مريم) حاجبيها وقالت في حدة:

- اولعي بجاز اسود!

ضحكت (نرمين) ضحكة خافتة، واتجهت إلى (نور) بأسلوبها المسرحي ونظرت في عينيها في تحدٍّ قائلة:

- فاكرة نفسك أحسن مني مش كدا يا (نور)؟!

لم ترد عليها (نور) ونظرت لها باحتقار ولكن (نرمين) اقتربت منها أكثر في ثقة وقالت:

- صدقيني مافيش فرق بيني وبينك! غير إني على الأقل صريحة وواضحة.. إنما انتِ بتقتلي القتيل وتمشي في الجنازة! وعاملة نفسك بريئة وحنينة وحساسة وانتِ في رأيي الشيطانة اللي بجد! بلتوميني إني ما منعتكيش من قتل أم حبيبك؟! طب عينك في عيني كدا.. ما كنتيش بزمتك سعيدة وانتِ بتقتليها وبتخرسيها وبتنهي كلامها اللي بيذلك؟ أنا آسفة إني سبتك تحققي انتقامك وتعملي حاجة ريحتك بجد وكان نفسك فيها!

ظهرت الصدمة على (لؤي) في تلك اللحظة ونظر لـ (نور) في استنكار، وتوترت (نور) وهي تنظر لـ (نرمين) في غضب التي نظرت للجميع قائلة في جبروت:

- عاوزين تحاكموني على كل أخطائكم وذنوبكم عشان تشوفوا نفسكم أبرياء وتمام وحلوين؟! أنا الحاجة الوحيدة اللي عملتها إني مسكت ليكم المراية عشان تشوفوا حقيقتكم.

وهنا اندفع (ممدوح) ناحيتها وطعنها بسكين في قلبها بقوة، فتأوهت هي بصوت خافت ونظرت في عينيه، وهو يقول لها في نشوة:

- مع السلامة يا (نرمين)!

ظلوا يشاهدونها حتى جحظت عيناها وسقطت أرضًا جثة هامدة..

نظر لها (ممدوح) غير مصدقٍ أنه قد قتلها حقًّا! أعطاه هذا في الواقع شعورًا بالراحة ولكن جزءًا صغيرًا بداخله كان حزينًا!!

وهنا قال (ممدوح) للجميع:

- يلا نرميها في البدروم قبل ما تصحى.

ولكن فجأة وقبل أن يقترب أحدهم من جثة (نرمين) انفتح باب الغرفة، ودخل أمامهم آخر شخص يتوقعون رؤيته في تلك اللحظة..

(كريم)!!

الآن أصبح المشهد حقًّا مسرحيًّا إلى أقصى درجة عندما دخل الغرفة مبتسمًا، وصفق لهم في بطء، وهو وينظر لهم في إعجاب قائلًا:

- بجد برافو.. مشهد عبقري! بس للأسف خلاص الفيلم بيخلص!

ترنح (لؤي) في مكانه إثر الصدمة، وتراجع (ممدوح) خطوة للخلف في مزيج من الدهشة والخوف، واتسعت عينا (مريم) في ذهول وكذلك (نور)..

أما (يوسف) فلم تبدُ عليه الدهشة على الإطلاق، وابتسم لـ (كريم) قائلًا:

- مستنيك تدخل من ساعتها!

رد عليه (كريم) في هدوء:

- ما هانش عليَّ أقطع المشهد دا.

ثم نظر للجميع وقال ضاحكًا:

- لأ بجد شابوه يا فنانين!

صاح (ممدوح) مصدومًا:

- إزاي؟!

* * *

نعم.. كيف لـ (كريم) أن يكون هنا؟!

لنجيب على هذا السؤال دعونا نعود بالزمن حوالي ثلاثة أسابيع..

بالتحديد في يوم الخامس عشر من فبراير.. عندما أزال أخيرًا (ممدوح) الغطاء من فوق رأس (كريم) فتمكن أخيرًا من الرؤية، فوجد نفسه مع (ممدوح) في قارب صغير وسط النيل، وكان الظلام دامسًا، ولم يكن هناك أي قوارب أخرى قريبة، فاستنتج (كريم) أنهم في مكان بعيد عن القاهرة أو على الأقل في أطرافها..

نظر له (ممدوح) وقال في حزن:

- أنا فعلًا حزين باللي انا هاعمله دلوقتي، بجد قلبي بيتقطع إني هاعمل كدا.

كان (كريم) مكممًا فلم يستطع الرد، بينما صمت (ممدوح) قليلًا ثم اقترب منه وربت على كتفه قائلًا:

- هتوحشني باقي عمري!

ثم دفعه فجأة بقدمه فأوقع (كريم) خارج القارب فوقع في ماء النيل وتسبب ثقل ملابسه والأحبال المربوطة به في جعله يهبط لأعماق النهر سريعًا..

شعر (كريم) في تلك اللحظة بأنه يسقط من عالم إلى عالم آخر!

من عالم مليء بالهواء إلى عالم مليء بالماء، حاول أن يبحث بقدمه عن مكان يقف فيه.. عن تلك الأرض التي تشعره بالأمان والاتزان.. أين هي الآن؟! ولكنه فشل بالطبع وشعر أن أقرب أرض صلبة تبعد عنده بضع مترات إلى الأسفل..

أخذت المياه تسحبه إلى أسفل.. وإلى أسفل.. وأخذ جسده يهوي إلى الأعماق.. ويهوي.. ويهوي..

فتح عينيه ونظر حوله فوجد فقاعات الهواء تخرج منه وتصعد إلى الأعلى، وكأنها تتخلى عنه، فحرك نظره إلى الأسفل فكان كل شيء معتم..

حاول أن يقاوم بشدة ولكن لم يلبث أن تملكه اليأس وأخذ يفكر في حياته التي تنتهي أمامه..

راجع شريط حياته سريعًا، معظمها كان مكافحته في المذاكرة حتى يصل لكلية الطب ومواصلته للمكافحة بداخل الكلية! والنصف الآخر يتلخص في محاولاته البائسة في الوصول لقلب (مريم).. ثم حدوث التعويذة التي قلبت الموازين وأدت إلى تلك اللحظة الحالية!!

يا لها من حياة بائسة حقًّا تستحق الشفقة!!

وهنا اشتد عليه الاختناق وشعر بروحه تصعد من جسده لتتخلى عنه أيضًا.. لم يعد قادرًا على التنفس.. لقد فارق الحياة!

وانتقل إلى مرحلة جديدة.. مرحلة العدم التي لا يشعر فيها بشيء.. لا يشعر حتى أنه لا يشعر بشيء إن جاز التعبير!

أسوأ ما في الأمر أنه بعد دقائق عاد مجددًا من مرحلة العدم هذه إلى مرحلة العذاب.. الغرق.. المياه من حوله في كل مكان.. الشعور بالاختناق.. روحه تفارقه.. ثم مرحلة العدم مجددًا.. دائرة مفرغة لا نهائية دامت لثلاثة عشر يومًا!!

في اليوم الرابع عشر الذي من المفترض أنه يتمم الثلاثون يومًا ويموت للمرة الأخيرة تبعًا لشروط التعويذة..

ولكن هذا لم يحدث.. فقد شعر بشئ ما يجذبه لأعلى حتى فجأة وصل إلى سطح النهر وبمجرد أن ارتفعت رأسه عن سطح الماء حتى شهق مستنشقًا وشعر أن هذه أكبر نعمة في هذه الحياة.. فقط أن يستطيع التنفس مثلما يفعل أي إنسان طبيعي.. هذه الدنيا تدعو بشدة للسخرية!

انتبه في هذه اللحظة لهذا الرجل العجوز نوعًا ما الذي يجذبه لداخل قاربه الصغير، وأخذ يفك الأحبال التي تقيده وهو يهتف في حيرة وتوتر:

- مين اللي عمل فيك كدا يا أخينا؟!

نظر له (كريم) في ذهول محاولًا أن يستوعب ما حدث، حتى غمغم متسائلًا:

- انت مين؟!

أجابه الرجل مستنكرًا:

- انت اللي مين؟! أنا كنت باصطاد والسنارة اتعلقت فيك.. صحيح وزنك كان تقيل جدًّا بس رفعتك.. كنت فاكرك قرش الحقيقة.. بس انت عايش ازاي؟ دي معجزة!

أراد (كريم) أن يسخر منه قائلًا أنه لا توجد أسماك قرش في النيل، لكنه أدرك بالطبع أنها ستكون قلة ذوق متناهية فمنع نفسه من قول هذا، ونظر للسماء متأملًا روعة منظرها بعد شروق الشمس بقليل..

لقد نجا بصدفة حقيقية أو ربما هي أقرب للمعجزة بالفعل!

- تاريخ النهاردا إيه؟

قالها (كريم) عندما انتبه أنه يجب عليه معرفة تاريخ اليوم حتى يعرف كم تبقى له من وقت.. وأجابه الرجل في طيبة مبتسمًا:

- النهاردا واحد مارس.

وهنا أدرك (كريم) شيئًا هامًّا.. لم يتبقَ له وقت حتى يمر عليه الثلاثون يومًا.. لم يتبقَ له غير يوم تقريبًا.. فماذا سيفعل؟!

عقد حاجبيه وهز رأسه لينفض عن باله فكرة سيئة إلى أقصى درجة، وقال الرجل:

- إيه حكايتك بقى؟! مين اللي عمل فيك كدا؟!

صمت (كريم) فترة تأمل فيها ملامح الرجل في عمق قبل أن يجيب:

- المهم إني هامنع الناس اللي عملت فيَّ كدا إنها تعمل دا في أي حد تاني.

ظهر الفضول على هذا الرجل وقال:

- وهتعمل كدا إزاي؟

قال (كريم) وهو ينظر للرجل بنظرة مشفقة:

- أول حاجة لازم أعملها إني أكون عايش عشان أعرف أمنعهم.. عشان أمنع الشر دا.. صدقني دول الشر بعينه.

ثم سالت دمعة من عين (كريم) الذي نظر له الرجل في حيرة حقيقية وهو يشاهده ويستمع له وهو يقول:

- أنا آسف جدًّا.

قالها (كريم) قبل أن يدفعه فجأة خارج قاربه فوقع الرجل على ظهره في النهر بقوة وهو يصرخ، بينما أمسك (كريم) المجدافين وأخذ يجدف بعيدًا..

ودقت في عقله عبارة أخيه له "انت اتنازلت عن جزء من مبادئك.. لكن التنازل بيجيب تنازل.. وتدريجيًا هتلاقي نفسك بقيت إنسان كنت بتحتقره زمان!"

لقد كان أخيه على حق!!

حاول الرجل التشبث بقاربه وهو يبكي ويقول متوسلًا:

- بتعمل إيه؟! أنا ما باعرفش اعوم! أنا أنقذتك! الحقووني!

ولكن (كريم) جدف بعيدًا بالقارب وهو يبكي بصوت مرتفع متأوهًا في ألم نفسي حاد، وهو يسمع من خلفه صراخ الرجل وهو يقاوم الغرق، ولكنه لم يلبث أن انقطع صوت صراخه..

انقطع للأبد!

وبعد مرور ساعات كان (كريم) ذاهبًا للفيلا.. لم يكن قد حدد ما سيقوم بفعله بعد ولكن غضبه لم يمنحه وقتًا للتفكير..

كان في التاكسي ذاهبًا به للفيلا، ولكن فجأة لمح في الطريقة سيارة (ممدوح) مركونة بشكل عشوائي، فصاح بالسائق:

- نزلني هنا.

وخرج (كريم) من التاكسي بسرعة وألقى للسائق حسابه وقال:

- امشي انت.

انصرف التاكسي بسرعة، بينما اقترب (كريم) في حذر من السيارة ونظر بداخلها ورفع حاجبيه في دهشة عندما رأى بداخلها (يوسف) فاقدًا الوعي، حتى أنه قال بصوت مرتفع:

- (يوسف)!

وفتح باب السيارة بسرعة وأخذ يحاول أن يعيد لـ (يوسف) وعيه ولكنه فشل، فأزاح (يوسف) جانبًا من مقعد القيادة، ثم قاد السيارة ذاهبًا لمنزله و...

بتر (كريم) حديثه وقاطع حكايته، عندما فتحت (نرمين) عيناها عائدة للحياة، واتسعت عيناها في دهشة كبيرة عندما رأت (كريم) ينظر لها، فنهضت من مكانها وهي تنظر له غير مصدقة، أما (لؤي) فقال لـ (كريم) قائلًا وقد نفد صبره:

- وبعدين؟

أجابه (كريم) وهو ينظر للجميع في زهو وثقة:

- وبدأت تحالف مع (يوسف).. اتفقت معاه إننا لازم ننهي الشر.. ننهي حياتكم.

ردت عليه (نور):

- إحنا الشر؟! لو في حد شرير فهي (نرمين)!! أو الدجال اللي عمل التعويذة أصلًا.. آه! هو السبب ف..

قاطعتها (نرمين) وهي تقول لـ (كريم) في برود:

- مالك واقف كدا تتباهى بذكائك وانت أصلًا أغبى واحد قابلته في حياتي؟

لم يفقد (كريم) هدوءه وقال متجاهلًا كلامها:

- ما كانش لازم حد فيكم يعرف إني رجعت تاني.. واتفقت مع (يوسف) إزاي نقلب الطربيزة عليكِ يا (نرمين).. خططت معاه كويس إزاي هنقدر نخلهم كلهم عاوزين يقتلوكِ.. إزاي يوصلوا للحظة اللي إحنا فيها دي.. وزي ما انتِ شفتِ آديني نجحت وقتلوكِ.. وانا ما كنتش عايز غير كدا.. إنك تموتي.

قالت هي في برود:

- ويا ترى دا برضه عشان أنا السبب في تدمير حياتك؟ عايزني أعتذر ليك انت كمان؟! طيب يا سيدي.. أنا آسفة يا دكتور! أنا آسفة إني حاولت أخليك تعيش مع اللي بتحبها واخليك تصدق إنها بتحبك.. أنا آسفة إني خليتك تعيش ولو لفترة قصيرة أجمل وقت في حياتك.. إني خليتك تقرب من هدف ما ينفعش توصله بالمذاكرة.

ضحك (كريم) قائلًا:

- كلامك ظريف بجد! بس انا كنت عاوزهم يقتلوكِ مش عشان انتِ السبب في تدمير حياتي.. لكن عشان سبب تاني خالص!

تساءلت (مريم):

- وهتعرف تنهي حياتنا ازاي أصلًا؟!

نظر (كريم) لـ (ممدوح) ولـ (نرمين) وقال في سخرية:

- لحد دلوقتي ما حكيتوش ليهم؟!

قال (لؤي) في قلق:

- يحكوا لنا إيه؟!

أجابه (كريم) وهو ينظر للجميع مستمتعًا:

- إكسير الموت.. قزازة كدا صغيرة زي قزازة الدوا.. لو شربها حد يبقى خلودنا كله معتمد على إنه يفضل عايش! إنما لو مات يبقى كلنا هنموت معاه.

ثم صمت ثانية وقال في خبث:

- أو على الأقل خلودنا هينتهي.. إنما مش كلنا هنموت.. اللي هيموت معاه فينا بس اللي اتعرض للموت قبل كدا والتعويذة هي سبب إنه يرجع للحياة.. فلما تنتهي التعويذة ما ينفعش يفضل عايش.

كان الجميع يسمع هذه المعلومة لأول مرة، ما عدا (ممدوح) و(نرمين) بالطبع، واستطرد (كريم) مكملًا:

- إكسير الموت دا معايا.. ودا السبب اللي عشانه (ممدوح) و(نرمين) رموني في النيل وسابوني أموت.. لكن قدركم الأسود إني لسا عايش عشان أنهي حياتي وحياتكم.

ثم التفت لـ (نرمين) قائلًا:

- عرفتِ بقى السبب اللي خلاني ألعب بيهم لحد لما يتجمعوا عليكِ ويقتلوكِ؟ دا لو ينفع نسميه تلاعب! أنا كل اللي عملته في الواقع إني كشفت كل اللي انتِ عملتيه!

قال (لؤي) في حيرة:

- أيوة يعني ليه برضه استخدمت (يوسف) وخليت كل دا يحصل عشان نقتل (نرمين)؟!

أجابه (كريم) في عصبية:

- المفروض تفهمها لوحدك! (نرمين) كانت الوحيدة فينا كلنا اللي لسا ما ماتتش! الوحيدة اللي التعويذة ما أنقذتهاش.. فكان لازم أعرضها للموت عشان لما اكسر التعويذة تموت معانا.

ظهر التوتر على وجه الجميع، والتفت (كريم) لـ (نرمين) قائلًا في حزم:

- واعتذارك دا لو اعتبرناه كان اعتذار فانا مش محتاجه.. لإن الحقيقة ما حدش دمر حياتي غيري! أنا اللي صريح مع نفسي بجد!

كان (يوسف) واقفًا خلفه مستمتعًا بالمشهد، وقد أخذ (كريم) ينقل نظره بين وجوه الجميع وقال في حدة:

- على عكسكم كلكم.

وصمت فترة لم ينطق فيها أحدهم، ثم أكمل حديثه في صرامة:

- كل ذنوبكم بتعلقوها على شماعة التعويذة أو (نرمين)؟! أحب أقول لكم إن الدجال خلانا خالدين لكن ما أجبرناش نبقى وحوش..

الدجال ما أجبركش تتاجر في المخدرات ولا تخون حبيبتك مع (نرمين) يا (لؤي)!!

ولا الدجال أجبرك يا (ممدوح) تاخدني ترميني في البحر لمجرد إني كنت باحاول أنهي خلودنا الملعون وامنع قتلنا لناس تانية.. وتسيبني لعذاب مستحيل أبدًا حد فيكم يتخيله!!

ولا الدجال اللي خلاكِ يا (مريم) توقعي بين صديقة عمرك وحبيبها وتفتني عليها؟! ولا هو اللي خلاكِ تستغليني وتلعبي بيَّ وبمشاعري لمجرد إني حبيتك بجد من قلبي؟! أو يمكن هو السبب إن انتِ و(نور) و(نرمين) تستحلوا قتل أمي!!

يا ترى يا (نور) كان إيه تبريرك وانتِ بتقتلي أم حبيبك؟! إنها كانت قاسية عليكِ بالكلام؟! ولا عشان الضروروات تبيح المحظورات زي ما الحب خلاكِ تغلطي قبل كدا مع (أشرف)؟!

التعويذة اللي خلت (نرمين) تستغلنا كلنا وتخدعنا وتعمل كل اللي هي عملته فينا دا؟! التعويذة اللي خلتها شيطانة كدا؟!

التعويذة اللي خلتني مجرم أقتل إنسان بريء ساعدني وأنقذ حياتي؟!

أو اللي خلتني أقتل عشان واحدة يا ريتها حتى بتحبني؟!

انتو مصدقين إن التعويذة هي اللي خلتنا أوساخ قوي كدا؟!

لا!!

إحنا أوساخ قوي من غير تعويذة! مافيش حاجة خلتنا وحوش!

إحنا اللي عملنا دا في نفسنا.

ساد الصمت على الجميع فترة لم تكن قصيرة، وقد هزهم كلامه بشدة، حتى قال (لؤي) في توتر:

- يعني هتنهي حياتنا خلاص؟ اعقل يا (كريم)!

قال (كريم) في جمود:

- أنا شربت إكسير الموت خلاص! كان أول حاجة عملتها لما وصلت القاهرة تاني بعد أسبوعين العذاب! يعني كدا حياتكم كلها مرهونة بحياتي.

قال (لؤي) في قلق متلعثمًا:

- اعقل يا (كريم).. احنا مش مضطرين نقتل أي إنسان بريء.. هنقتل ناس تستحق الموت وبس زي ما قلت لك.

قال (كريم) في تهكم:

- مافيش ستة يستحقوا الموت أكتر مننا! مش ناقص بس غير إني أقتل نفسي.

ارتعشت (نور) في رعب والتصقت في الحائط، بينما قالت (مريم) له في رجاء:

- معقولة يبقى انت السبب في موتي؟! دا انا الفرحة مش سايعاني إنك رجعت لي! انت أكتر شخص باحس وانا معاه إني متطمنة.. دا انت أكتر إنسان بتخاف عليَّ و..

قاطعها (كريم) هاتفًا في غضب:

- كفاية بقى.. ما هي الجملة دي السبب في كل حاجة وحشة أنا عملتها.. نفس الكلام وبنفس الأداء.. هي دي اللي بتجيبني دايمًا ورا! برافو عليكِ يا ممثلة يا عظيمة!

لم تنطق (مريم) بعد هذا الرد الصادم، ولكن (ممدوح) أخذ يتوسل إليه قائلا:

- أرجوك يا (كريم).. اعقل!

قال (كريم) وقد أصبح يضحك في هستيريا:

- أعقل؟! أنا عمري ما كنت عاقل قد دلوقتي!

وفجأة تأوه ووضع يده على معدته متألمًا دون أن يكف عن الضحك وهو يقول:

- كلامكم متأخر.. أنا خدت سم من ساعة.. ومفعوله بدأ يشتغل اهو!

شهقت (مريم) واتسعت عيناها، بينما أخذت (نور) تبكي.. لم يتبقَ سوى لحظات معدودة في حياتهم!

أما (نرمين) فقد تحركت في هدوء ناحية السرير واحتضنت جثة أخيها فربما هي الوحيدة التي لم تعتبرها صدمة.. لقد أتت وهي تعلم أن حياتها انتهت.. فإذا بـ (كريم) يفجر مفاجأة معلنًا أنها نهاية حياتهم جميعًا.. بالتأكد شعور أفضل أن تموت وهي تعرف جيدًا أن هؤلاء الأوغاد سيموتون معها بدلًا من أن يقتلونها وحدها!

اشتد ألم (كريم) فوقع أرضًا متأوهًا، وظل (لؤي) واقفًا يحدق في أخيه في ذهول غير مصدق ما يحدث، بينما صاح (ممدوح) عبر هاتفه:

- ألو.. الإسعاف؟! تعالوا بسرعة معانا واحد شرب سم! بسرعة!!

وتعالت عليه ضحكات (كريم) الهستيرية التي تحولت لصراخ نتيجة شدة الألم، وكانت (نور) و(مريم) يرتعشان في خوف كبير ويبكيان بغزارة..

حاول (ممدوح) أن يستجمع أعصابه ليملي عنوان الفيلا على الإسعاف، ولكن صراخ (كريم) كان مرعبًا حقًّا وكأنه عد تنازلي لآخر لحظات في حياتهم جميعًا..

وفجأة كف (كريم) عن الصراخ وانتفض جسده في عنف، وتصاعد صراخ (ممدوح) بينما ما زال (لؤي) يحدق بأخيه في صدمة وشرود، و(مريم) و(نور) يبكيان في خوف، و(نرمين) واضعة رأسها على صدر أخيها منتظرة لحظة النهاية!

وفجأة توقف كل هذا.. فقد استكان جسد (كريم) وفارقته روحه للمرة الأخيرة، ووقع (لؤي) و(ممدوح) و(مريم) و(نور) بأجسادهم أرضًا في نفس اللحظة، بينما ظلت (نرمين) ملقية بجسدها على جثة أخيها محتضنة إياه، حتى أصبحت جثة مثله تمامًا..

بينما ظل (يوسف) واقفًا في صدمة وذهول وخوف لدقائق غير قادرٍ على الحركة، وهو ينظر للجثث السبعة في هذه الغرفة..

وبعد دقائق وبمجرد خروج (يوسف) من جموده، تحرك ناحية (علي) وأزاح من فوقه جثة (نرمين)، ووضع يده على وجهه ونظر له في حب وسالت دمعة من عينيه وقال محدثًا إياه:

- الوداع يا صاحبي!

فلم يكن من السهل عليه فقدانه ولا فقدان السيدة (سعاد) الذي أحبها بصدق كذلك..

انتبه (يوسف) لشيء يجب عليه فعله قبل أن يغادر هذا المكان!

تحرك ناحية جثة (ممدوح) وأدخل يده في جيبه وأخرجها ممسكًا بالخاتم الألماس.. لم يكن ليتركه يضيع هباءً بالطبع.. إن كان هناك من يستحق الحصول عليه بعد كل هذا فإنه هو هذا الشخص بالتأكيد!

وضع الخاتم في جيبه، ثم نظر متأملًا جثث الخالدين في أوضاعهم المختلفة.. الخالدون سابقًا بالطبع!

جاءوا لا يعرفون من أين، وسيمضون إلى مجهول يتمنوه بالتأكيد عدمًا؛ ليضمنوا لأنفسهم راحة الفناء؛ لأنهم لم يستعدوا لوجود جديد يحاسبون فيه على ما فعلوه..

ولكن هيهات أن يفلتوا!!

تنهد (يوسف) في ارتياح، ثم غادر في هدوء بعدما ألقى نظرة أخيرة عليهم..

لقد انتهت التعويذة.. وانتهت معها قصتهم..

ومات شرهم..

مات للأبد.

تمت

* * *